خفايا وأسرار داعش

من عمامة أسامة بن لادن
إلى قبعة صدّام حسين



نضال حمادة

بيسان

نضال حمادة

خفايا وأسرار داعش

من عمامة أسامة بن لادن إلى قبعة صدّام حسين

خفايا وأسرار داعش

من عمامة أسامة بن لادن إلى قبعة صدّام حسين



دولة داعش... الجذور والفروع

ليس ظهور الدولة الإسلامية في العراق والشام وليد صدفة أو عمل وقت قصير، هو تراكم حروب وأحداث عصفت بالعالم العربي والإسلامي، منذ الحرب العالمية الأولى وما نتج عنها من قيام الدول والممالك الوطنية حتى يومنا هذا.

شكّل الغزو السوفياتي لأفغانستان أهم هذه المنعطفات فهو السبب المباشر لإنتاج السلفية الجهادية بنسختها السعودية الأميركية التي شكّل تنظيم القاعدة وأسامة بن لادن عنوان جميع مراحلها حتى الغزو الأميركي لبلاد الأفغان وبعده الغزو الأميركي للعراق.

في ظهور داعش وفكرها وتنظيمها أيادٍ استخباراتية متعددة، ويعود الفضل في هذا الظهور لتراكمات الحروب والأحداث والغزوات في عالمنا العربي والإسلامي.

قُدّر لي وأنا المقيم في بلاد الغرب منذ ربع قرن من الزمن أن أكون في قلب صناعة الحدث من الغرب، ومن باريس التي لعبت طوال العقدين الماضيين دور العرّاب لكل المعارك التي خيضت في الشرق الأوسط بينما كان دور واشنطن يتلخص بالقوة والعسكر.

من مقدمة الكتاب

Desined by Hassan Computer Press 00961 1 345 687
ISBN-13: 978-3899-11-125-5
9 783899 111255

$. 12.00

بيسان

خفايا وأسرار داعش

من عمامة أسامة بن لادن
إلى قبعة صدام حسين

نضال حمادة

خفايا وأسرار داعش

من عمامة أسامة بن لادن
إلى قبعة صدام حسين

بيسان

● اســــم الكـتـــاب: خفايا وأسرار داعش (من عمامة أسامة بن لادن إلى قبعة صدام حسين)

● المــــــــــؤلــــف: نضال حمادة

● الطبعة الأولى: كانون الثاني (يناير) 2015م

● ISBN 978 - 3899 - 11 - 125 - 5

● الناشر: بيسان للنشر والتوزيع

ص. ب: 5261 ـ 13 بيروت ـ لبنان

تلفاكس: 00961 1 351291

E-mail: info@bissan-bookshop.com

Website: www.bissan-bookshop.com

Facebook: مكتبة بيسان للنشر والتوزيع

إذا أردتم الحصول على تأييد الجماهير
يجب أن تقولوا لهم أغبى الأشياء وأكثرها فظاعة

أدولف هتلر

إهداء

إلى قرائي الأعزاء

محبة ودعاء . .

مقدمة الكتاب

هذا كتابي الرابع بعد كتاب «صناعة شهود الزور»؛ والوجه الآخر للثورات العربية وأسرار حرب القصير. وللمفارقة فإنَّ ما احتواه الكتاب الأول (صناعة شهود الزور) شرح مسبقاً الأحداث التي اهتم بها هذا الكتاب، خصوصاً في مسألة الصراع على المنطقة وعودة السلفية الخليجية المحاربة التي كانت وراء تأسيس داعش.

ليس ظهور الدولة الاسلامية في العراق والشام وليد صدفة أو عمل وقت قصير، هو تراكم حروب وأحداث عصفت بالعالم العربي والاسلامي، منذ الحرب العالمية الأولى وما نتج عنها من قيام الدول والممالك الوطنية حتى يومنا هذا.

شكل الغزو السوفياتي لأفغانستان أهم هذه المتعطفات فهو السبب المباشر لإنتاج السلفية الجهادية بنسختها السعودية الأميركية التي شكل تنظيم القاعدة وأسامة بن لادن عنوان جميع مراحلها حتى الغزو الأميركي لبلاد الأفغان وبعده الغزو الأميركي للعراق.

في ظهور داعش وفكرها وتنظيمها أياد استخباراتية متعددة،

ويعود الفضل في هذا الظهور لتراكمات الحروب والاحداث والغزوات في عالمنا العربي والاسلامي.

قُدِّر لي وانا المقيم في بلاد الغرب منذ ربع قرن من الزمن أن أكون في قلب صناعة الحدث من الغرب، ومن باريس التي لعبت طوال العقدين الماضيين دور العراب لكل المعارك التي خيضت في الشرق الاوسط بينما كان دور واشنطن يتلخص بالقوة والعسكر.

من لجان الدعم الدولية للجمعيات الخيرية في الخليج التي اصدر جورج بوش بحقها احكاماً وقرارات إغلاق وملاحقة إلى اللجنة الدولية لإغلاق غوانتانامو إلى لجان الدفاع عن شبكة غرناطة، مرورا بمشهد صناعة شهود الزور في قضية اغتيال الرئيس رفيق الحريري، قُدّر لي أن أعايش وأحتكّ بصناع لداعش وشهود الزور و تنظيم القاعدة بنسخته الجديدة الإخوانية التي تديرها قطر وتركيا، وسمحت لي الظروف أن اتعرف عن قرب على الممولين والمدبرين والدبلوماسيين الذين داروا في فلك تنظيم القاعدة والدول التي أمنت لهم كل أنواع الغطاء؛ السياسي والدبلوماسي والمالي والإعلامي.

ولأن هذه الأحداث تحدد مصير شعوب أمتنا، ولأن أبناء الأمة لهم الحق بالاطلاع ومعرفة التفاصيل الخفية في كل ما يدور وكل ما حيك لتحديد مستقبلهم ومستقبل ابنائهم وهويتهم، أنشر هذا الكتاب الذي أضع فيه تفاصيل تجربةٍ وعملٍ ومتابعة دقيقة ومرهقة لأحداث ارهقت أمتنا طيلة عقد ونصف من الزمن وقراءة تفصيلية

للمقدمات التي هيأت الظروق الموضوعية لحدوث الانفجار العربي الكبير الذي تحضّرت أرضيته منذ احتلال العراق عام 2003، وتحدّدت ساعة انطلاقته تزامناً مع الانسحاب الأميركي منه.

الحدث الداعشي ليس جديداً على صعيد لعبة الأمم، ولكن الجديد هو وصول هذه اللعبة إلى داخل مجتمعاتنا، ونجاحها في ركوب موجة الاحتجاجات، وتسييرها في عملية تسلح عنيفة حملت أبشع ما في التاريخ العربي من فتاوى تكفيرية وماض دموي مظلم تضمنته كتب التاريخ العربي والإسلامي، خدمة لمصالح من احتل العراق؛ وكانت سوريا السبب الأساس في إخراجه منه، وكل هذا بمعزل عن مصالح الشعب العربي والشعوب الإسلامية.

كان العمل الجدي والمهني يتطلب تواصلاً مع شرائح ونوعيات من المجتمع مختلفة المشارب والتوجهات والانتماءات، لذلك اعتمدت في معلوماتي على مصادر مفيدة وأكيدة؛ هذا بالتوازي مع الأخبار المتداولة من هنا وهناك، والتي قد يكون بعض منها صحيحاً، لكنها في معظمها تحمل الكثير من الشكوك والغِلّ.

لقد استندت في عملي هذا إلى ستة أصناف من البشر:

1 ـ سياسيون وبرلمانيون ودبلوماسيون على شيء من التواصل مع خفايا السياسة الغربية والعربية عبر صداقات قديمة وحالية، فضلاً عن إعلاميين جمعتني بهم الزمالة والتعاون المهني.

2 ـ العسكر ورجال الأمن، وهذه الشريحة من المجتمع هي الأكثر إفادة في مثل هذه الأزمات، والأكثر اطلاعاً وجدية في

تعاطيها مع الخبر، كما أنها تملك عقلية ممنهجة في تحليلها السياسي للأحداث الحاصلة كافة.

3 ـ الباحثون في معاهد الدراسات الاستراتيجية والسياسية، وأساتذة العلوم السياسية في الجامعات، فضلاً عن ناشطي حقوق الإنسان والمجتمع المدني والأهلي.

4 ـ رجال المال والعلاقات العامة لما لهم من تأثير وعلاقات مع النافذين في البلد؛ فالمال عصب كل شيء، ومن أجله تشنّ الحروب وتسفك الدماء.

5 ـ الوسط السلفي في بلد مثل فرنسا شكّل رأس حربة في الحرب على سوريا.

6 ـ الأحزاب الأوروبية وناشطو المجتمع المدني الأوروبي.

7 ـ الأحزاب الكردية في سوريا وتركيا والعراق والناشطون الأكراد.

فإلى كل الذين تعاونوا، والذين ساعدوا في إخراج هذا الكتاب، أقدم شكري الخالص، ومحبة مِلأها الأمل...

الجهاد العالمي بقيادة عراقية

المكان مبنى الأمم المتحدة في نيويورك، الزمان 5 شباط 2003، المتحدث الجنرال كولن باول وزير الخارجية الأميركي في ذلك الوقت، وكان باول يقدم أدلته امام مجلس الامن الدولي لتبرير الغزو الذي كانت تحضره الولايات المتحدة للعراق.

في كلمته هذه ربط باول بين تنظيم القاعدة ونظام صدام حسين في العراق قائلاً (يوجد في العراق شبكة إرهابية قاتلة يديرها ابو مصعب الزرقاوي شريك بن لادن).

بهذه الكلمات أرادت الولايات المتحدة إقناع العالم بوجود علاقة بين نظام صدام حسين والقاعدة، وكان وجود الزرقاوي في العراق إحدى الحجج الأميركية الكبرى في هذه المداخلة التي كانت فضيحة من فضائح الكذب في التاريخ المعاصر بعدما اعترف باول نفسه ان الصور التي عرضها على انها معامل اسلحة كيماوية متنقلة في العراق ليست سوى حاويات متروكة ومرمية أو تستعمل في اماكن عديدة في العراق لأغراض النقل والتخزين.

جورج تينيت مسؤول وكالة الاستخبارات الأميركية قبل ذلك

بسنة تقريباً يوم 19 آذار عام 2002 وأمام لجنة القوات المسلحة في الكونغرس الأميركي ذهب في هذا الاتجاه أيضاً.

غير ان تقارير المخابرات الأميركية كانت تنفي كلام الساسة هذا حول وجود علاقة حيوية بين تنظيم القاعدة ونظام صدام حسين في العراق، بسبب ايديولوجية أسامة بن لادن عابرة الحدود والتي لا تعترف بالدول الإسلامية والعربية الموجودة وبالحدود في ما بينها، وقد ظهر هذا النفي في تقرير بعنوان (الدعم العراقي للإرهاب) قدمته وكالة المخابرات الأميركية في أيلول عام 2002 بعد أشهر من شهادة تينيت، وقال التقرير (حسب أقوال أحد مسؤولي القاعدة المدعو أبو زبيدة، من المستبعد أن يعقد أسامة بن لادن تحالفاً مع نظام صدام حسين في العراق. ويشير التقرير أيضاً إلى خالد الشيخ محمد الذي خطط لعمليات أيلول 2001 في نيويورك الذي يؤكد الكلام السابق في التحقيقات التي اجريت معه بعد توقيفه.

غير أنه قبل سنتين من الغزو الأميركي للعراق وبعد احتلال أفغانستان وبعيداً عن مكان وجود أسامة بن لادن، كان أحد رجاله وأتباعة الأردني محمد فضل نزال الخلايلة، الملقب (أبو مصعب الزرقاوي) قد غادر أفغانستان إلى كردستان العراق وافتتح معسكر (خرمال) هناك وبدأ في بناء علاقات استراتيجية مع المخابرات العراقية ومع اعضاء في حزب البعث العراقي وضباط في الحرس الجمهوري العراقي مقربين من صدام حسين بدءاً من عام 2001 بعدما أصبح العراق المكان الطبيعي والاستراتيجي الذي لجأت إليه

خلايا مسلحي تنظيم القاعدة بعد احتلال أفغانستان وسقوط دولة حركة طالبان هناك، التي شكلت حاضنة وحامية لهولاء المقاتلين العرب الخارجين بقوة السلاح على الانظمة القائمة في الوطن العربي، وعلى النظام العالمي الجديد بقيادة أميركا التي كانت حليفهم الاول طيلة الحرب على الاحتلال السوفييتي لأفغانستان.

وقد أصبح العراق نفسه مستقراً وبلادَ جهاد لهؤلاء المقاتلين بعد سقوط نظام صدام حسين، ولكن هذه المرة بقيادة عراقية بعيدة عن النفوذ والسيطرة التاريخية للسلفية الخليجية، ممثلة بالزعيم التاريخي الكاريزمي للجهاد العربي في أفغانستان (أسامة بن لادن).

لقد فرضت أميركا بسياستها الهجومية تحالف مصالح بين تنظيم القاعدة وبين القيادات الأمنية والعسكرية التابعة لصدام حسين تحول مع الاحتلال الأميركي في العراق، إلى جهاد عالمي بنسخة وقيادة عراقية على أنقاض الجهاد العالمي الذي مثله بن لادن والقيادات السلفية الخليجية طيلة ثلاثة عقود بعد الاحتلال السوفييتي لأفغانستان.

من جبال أفغانستان
الى جبال كردستان العراق

بعدما أسقط الغزو الأميركي لأفغانستان إمارة طالبان في كابول، علم أسامة بن لادن والمحيطون به من العرب أنه ليس لإمكانهم الصمود طويلاً أمام هذا الهجوم الغربي والعالمي الكبير، وبداوأ عملية طويلة ومعقدة لنقل قواعدهم وبنيتهم العسكرية خارج بلاد الافغان باتجاه بلاد الرافدين هذه المرة، معتمدين على تعاون مباشر وغير مباشر من كل الدول التي شعرت أن الغزو الأميركي لبلاد الأفغان ليس سوى مقدمة لغزو شامل للمنطقة لتغيير معالمها وفق نظرية الشرق الوسط الجديد التي حملها فريق المحافظون الجدد المسيطر على الحكم في واشنطن، مع وصول جورج بوش الابن إلى رئاسة الولايات المتحدة.

لقد ساعدت كل من روسيا، الصين، إيران، السعودية، قطر، تركيا، العراق وغيرها مجموعات القاعدة الفارة من افغانستان في الوصول إلى العراق للاستقرار في بلاد الرافدين؛ الهدفَ المقبلَ للغزو الأميركي، عبر غض النظر عن تحركاتهم وتنقلهم، وتجاهل

تحركات الشبكات السلفية الخليجية التي شكلت مصادر تمويلهم. وقد ساهم الخلاف العربي الأفغاني في قرار القاعدة بالهجرة باتجاه العراق، حسب أكثر من شخص من عرب القاعدة الذين كانوا في سجن غوانتانامو والتقيت بهم بعد خروجهم من السجن. وكنت، خلال الفترة من احتلال أفغانستان مروراً باحتلال العراق وحتى خروجهم في عام 2010، ضمن فرق العمل واللجان الدولية العاملة في أوروبا وحول العالم لإغلاق معتقل غوانتانامو، ومن ثم في الشبكة الدولية للدفاع عن المعتقلين في شبكة غرناطة في إسبانيا وغالبيتهم من مساعدي وأنصار بن لادن، السوريين منهم تحديداً، وقد ظهر بعضهم في قيادات الجماعات الإسلامية المحاربة في سوريا أمثال محمد بهايا الملقب (أبو خالد السوري) ومصطفى ست مريم (أبو مصعب السوري) وتيسير علوني وغيرهم.

في أحاديثهم خلال جلسات جمعتنا في باريس يكشف مقاتلو (تورا بورا) وسجناء غوانتانامو السابقين عن عمق الخلافات بين تنظيم القاعدة والمسؤولين المحليين والقبليين الأفغان قبل حكومة طالبان وبعدها،[1] عندما يتحدثون عن أسامة بن لادن يشيرون إليه بكلمة الشيخ، فالشيخ قال والشيخ أشار والذين كانوا في أفغانستان يتحدثون عنه بوقائع رأوها بأعينهم. لقد قام الشيخ بالتخطيط شخصياً لعملية 11 أيلول مباشرة مع المنفذين، وحصل هذا قبل سنوات من توقيت التنفيذ في نيويورك. وحول علاقة حركة طالبان

(1) حوار مع الكاتب نشر في موقع المنار، أيار 2011.

في هذه العملية يؤكد المقاتل السابق في تورا بورا والسجين السابق في غوانتنامو والذي يحمل الجنسية الفرنسية أن حركة طالبان لم تكن تعلم بأمر العملية، وأن قادة حركة طالبان مثلهم مثل غيرهم تلقوا الخبر عبر وكالات الأخبار العالمية. إذن كان هناك خلاف بين القاعدة وحركة طالبان؟ يقول أحدهم؛ لا، لم يكن هناك خلاف بينما يقول البعض الآخر من الواضح انه كان هناك خلافات ولكن لا ندري على أي مستوى، ولكن الشيء الأكيد أن الملا عمر لم يكن على خلاف مع بن لادن، ولكن على مستوى مسؤولي المناطق والمدن كان هناك عدم رضا عن وجود المقاتلين العرب في أفغانستان وهذا ظهر في طريقة التعاطي مع المقاتلين العرب خلال الغزو الأميركي حيث تُرِك المقاتلون العرب يواجهون مصيرهم لوحدهم بينما أنهى الأفغان القتال بينهم باتفاقات محلية في المدن والقرى.

يتدخل الرجل الذي تولى رئاسة لجان الدفاع عن فرنسيي غوانتانامو ويقول؛ لقد كان هناك تعاون أميركي في عملية 11 أيلول مع القاعدة. ينفي المقاتل السابق في القاعدة ذلك ويقول؛ أبداً هذه دعايات لا تستقيم. فيجيب الرجل الذي يحظى بمحبة هؤلاء نظراً لدفاعه عنهم منذ عام 2001 أن التعاون لم يكن مباشراً ولكن كانت المساعدة الأميركية في غض النظر عن التحضيرات للعملية وعن تنفيذها، لقد كانت المخابرات الأميركية على علم بالمجموعة التي ذهبت للتدريب على قيادة الطائرات وكان هؤلاء تحت المراقبة طيلة فترة إقامتهم في الولايات المتحدة وحتى تاريخ 11 أيلول. لا يجيب

الجمع الحاضر عن السؤال ولكن يظهر من نظراتهم أنهم لم يقتنعوا بهذا الكلام ولا يريدون حتى خوض النقاش فيه.

يقول أحد سجناء غوانتانامو السابقين انه ينتمي فكرياً لحركة طالبان وهو يفتخر بذلك وهو غير نادم على ذهابه لأفغانستان وعلى مشاركته في القتال هناك ضد الأميركيين وأعوانهم من الأفغان الذين يطلق عليهم لقب «المخالفين» وهذه التسمية كانت تطلق على جماعة أحمد شاه مسعود والفصائل الأفغانية المعادية لحكومة طالبان في كابول، مضيفاً أنه قال للقاضي الفرنسي الذي مَثُل أمامه بعد عودته من غوانتنامو أنه ينتمي لحركة طالبان وليس بنادم على ذهابه لأفغانستان، غير أنه يقول أنه أنكر أمام القاضي مشاركته في القتال رغم أنه اعترف بهذا في التحقيقات التي أجرتها معه المخابرات الفرنسية عقب عودته إلى فرنسا من سجن غوانتنامو على متن طائرة عسكرية فرنسية.

إذاً، قام بن لادن بعملية 11 ايلول دون إخبار حركة طالبان، التي دفعت ثمن هذا العمل حرباً عالمية ضدها أفقدتها الحكم في كابول.

ولم يقتصر التوتر في العلاقة وانعدام الود على هذا فحسب بل تعداه إلى ما يمكن تسميته تآمراً قامت به حركة طالبان مع الأميركيين عشية سقوط كابول للقضاء على محموعات تنظيم القاعدة العرب الموجودين في كابول كما يروي لنا نفس الاشخاص بحيث يقول الفرنسي والمقاتل السابق في تنظيم القاعدة أن رجلا أفغانيا أنقذ

المئات من المقاتلين العرب في أفغانستان من الموت المحتم على أيدي قوات المخالفين (يقصد بذلك قوات الطاجيك). ويشرح السجين السابق في غوانتنامو ما حصل معهم يوم سقوط كابول بالقول: تجمع المئات من المقاتلين العرب في معسكر في كابول مؤلف من عدة منازل، وكانت الأخبار تردنا تباعاً عن دخول قوات المخالفين للمدينة، غير أننا لم نكن نعلم حقيقة الوضع العسكري، ونتيجة لجهلنا بما يدور حولنا قررنا القتال في حال اقتربت قوات المخالفين. ويضيف: في هذا الوقت آتى رجل أفغاني من حركة طالبان وكان من المحبين للعرب وقريب منا وقال لنا ماذا تفعلون هنا؟ إرحلوا فورا من المدينة لقد اتفق الأفغان فيما بينهم على حل سلمي من دون قتال، بدأ مقاتلو طالبان الانسحاب منذ ساعة وسوف تدخل قوات المخالفين المدينة بعد ساعة بناء على اتفاق حصل بين الطرفين.

هنا تدخل شخص آخر من المطلعين على القصة بالقول، الحقيقة أنه لم يحصل انسحاب لقوات طالبان ولكن نزع الأفغان الموالون لطالبان أسلحتهم وارتدوا اللباس الأفغاني وعادوا لمنازلهم بناء على اتفاق بين المتصارعين الأفغان. لقد دبروا الأمر بينهم وكنا نحن الغرباء الذين لم يهتم أحد بمصيرهم من كلا الطرفين.

إذن كان هناك عدم رضا أفغاني عن وجود مقاتلي القاعدة في أفغانستان ومن جميع الأطراف الأفغانية؟ يتدخل الأول نافياً الأمر بشدة، وعندما نقول له إذن لماذا اتفق طالبان مع الفصائل الأفغانية الأخرى على حل سلمي ولم تكونوا ضمن هذا الحل؟

أحد الحاضرين قال؛ لو اقتصر الأمر على هذا لكان مقبولاً نوعاً ما، ولكن الحقيقة المرة التي حصلت أن القرى الأفغانية بمجملها بما فيها البشتون رفضت إيواءنا ما اضطرنا للذهاب لتورا بورا.

■ **لماذا اخترتم تورا بورا بالتحديد؟**

يجيب المقاتل القاعدي السابق، لم يكن لنا خيار آخر، كانت هذه المنطقة هي المنفذ الوحيد لنا بعد أن رفضت جميع القرى الأفغانية أن نمر عبرها، كانت هذه منطقة جبلية وعرة مليئة بالكهوف وتقع على الطرف الجبلي المقابل للحدود الباكستانية، كنا نريد الفرار إلى باكستان عبر هذه المنطقة بعد أن رفضتنا القرى الأفغانية وكانت تردنا أخبار عن مقاتلين عرب حاولوا الفرار عبر قرى أفغانية لكن سكان تلك القرى كان يقومون بأسرهم وتسليمهم للمخالفين وللقوات الأميركية.

ويروي احدهم قصة حصار تورا بورا فيقول: كنا حوالى ثلاثمائة من العرب في المنطقة عندما بدأت الطائرات الأميركية تقصفنا بشكل عنيف، وأذكر في البداية أننا رأينا جسماً كبيراً في السماء وما هي إلا لحظات حتى كانت القنابل الكبيرة تنهمر على المنطقة لقد كانت طائرة الـ ب 52 الأميركية. ويضيف: كنا مقطوعين عن العالم وكان لدي جهاز راديو متطور اشتريته من باريس قبل ذهابي لأفغانستان وكنا في أوقات بعد الظهر نسمع إذاعة فرنسا الدولية، التي كانت تتحدث عن قتال عنيف في تورا بورا وكنا

نضحك عند سماعنا هذه الأكاذيب لأننا لم نقاتل أحداً هناك أبداً وإنما كنا نتعرض للقصف الجوي اليومي. هل كان أسامة بن لادن في المنطقة؟ يضحك صاحب الراديو قائلاً: لا لم يكن هناك أبداً وكنا نسمع عبر الراديو قصصاً وحكايات عن وجوده وعن مخابىء متطورة وأسلحة وذخائر وهذا كان يضحكنا كثيراً وينسينا القصف الجوي نظراً لحجم الأكاذيب التي كان الإعلام يسوقها للعالم حولنا.

في موضوع بن لادن قال احد الحاضرين: كان الشيخ حينها موجوداً في باكستان وكان مكانه معروفاً للجميع.

حتى للأميركيين وللباكستانيين؟ سألته؟

الباكستانيون كانوا على علم بمكانه، أما الأميركان فلست ادري.. الله أعلم. ختم حديثه[1].

هذا الواقع الصعب والمرير أجبر تنظيم القاعدة على مغادرة أفغانستان فيما كان أسامة بن لادن في باكستان تحت أعين المخابرات الباكستانية، بعيداً عن الارض لا يظهر سوى عبر قناة الجزيرة بين حين وآخر. وقد خلق غياب الزعيم التاريخي للقاعدة، وهزيمة التنظيم في افغانستان ووجود مناطق جهاد في العراق بعيداً عن الأرض التي ينوجد فيها بن لادن هاربا، زعامات جديدة في تنظيم القاعدة تحلم بميراث بن لادن على راسها الاردني محمد فضل نزال الخلايلة (ابو مصعب الزرقاوي) الذي حظي بكل تعاون

(1) المصدر السابق.

بعد سقوط النظام العراقي وقد احتضن من قبل انصار صدام حسين وقياداتهم العسكرية والأمنية. مثال على هذا الاحتضان اعترافات حسنة اليمنية[1] زوجة ابو حمزة المهاجر مساعد الزرقاوي ومن ثم الرجل الثاني في تنظيم الدولة الاسلامية في العراق مع ابو عمر البغدادي، قالت أنها تزوجت من المصري في صنعاء عام 1998 ولها منه ثلاثة اطفال، مؤكدة أن اسمه الحقيقي هو (عبد المنعم عز الدين علي البدوي) لكنه دخل اليمن بجواز مصري باسم (يوسف حداد لبيب)، ومارس التعليم خارج العاصمة، وكان يبقى في القرية أكثر من شهر ويتردد عليها ليوم أو يومين. وأضافت أنه سبقها في الوصول إلى العراق عبر دولة الامارات ولحقت به آتيةً من عمان عام 2002 فمكثا سبعة اشهر في الكرادة وفي العامرية ستة أشهر ثم انتقلا إلى منطقة بغداد الجديدة وفي هذه الاثناء حصل الغزو الأميركي الذي أسقط نظام صدام حسين.

اختفى الحرس الجمهوري العراقي[2] وأجهزة الامن العراقية في نظام صدام حسين أثناء الغزو الأميركي وعملت بخفاء تحت غطاء قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين، حتى استولت على التنظيم بعد مقتل الزرقاوي وتسلمت قيادة الجهاد العالمي بقبعته الجديدة (تنظيم دولة الاسلام) الذي أنشئ في عام 2006 في الرمادي كما سوف نشرح لاحقاً.

كان العراق يخضع لحظر جوي فرضته الولايات المتحدة

---

(1) صحيفة البيان العراقية، 10 نيسان 2010.

(2) قيل حينها انهم عادوا إلى بيوتهم.

والتحالف الذي ساندها في حرب الكويت على مجمل مناطق أكراد العراق، ما جعل مناطق شاسعة في الجبال الكردية على الحدود العراقية التركية والعراقية الإيرانية تخرج عن سلطة بغداد وتصبح من ثمّ مركزاً للكثير من التنظيمات السلفية المحاربة التي تدور في فلك القاعدة. وللحقيقة يعود تاريخ الوجود السلفي المحارب في كردستان العراق إلى ستينات القرن الماضي مع تنظيم الإخوان المسلمين بداية، غير ان الفصائل السلفية المحاربة ظهرت في المنطقة عام 1992 مع تأسيس الحركة الاسلامية في كردستان العراق بقيادة العراقي (عثمان بن عبد العزيز)، وكان التحول الكبير في عام 2001 عندما وصلت مجموعات من المقاتلين الأجانب من العرب الأفغان وأنشأت فصائل مقاتلة تحت أكثر من مسمّى كان أبرزها (التوحيد الاسلامي) و(قوات صوران)، في هذه الفترة ظهر اسم أبو مصعب الزرقاوي في كردستان العراق مبعوثاً من بن لادن وقد بدأ في تجنيد مقاتلين غرباء في المعسكر معتمداً على العنصر الأردني بشكل مباشر ومتغطياً بالملا كريكار، الكردي الذي أمنّ له الوجود والاستقرار في بلاد الكرد تفادياً لحساسية السكان.

شهدت هذه الفترة تأسيس جماعة (جند الإسلام) في كردستان العراق بعد توحد (صوران) و (التوحيد الإسلامي) وقد نالت مباركة من أسامة بن لادن في بيان في ايلول عام 2001، ويظهر من لائحة الداعمين للجماعة اسماء مثل أبو مصعب السوري الذي كان ضمن خلية غرناطة في أسبانيا، وهو من الفريق القطري التركي في تنظيم القاعدة والذين ظهروا على يمين الظواهري بعد اختفاء أسامة بن

لادن في باكستان، وتظهر تحقيقات شبكة غرناطة في أسبانيا التي كنت شخصياً ضمن شبكة الدفاع الدولية عن سجنائها، أن أبا مصعب السوري غادر أفغانستان إلى العراق بعد سقوط حكومة طالبان وقاتل إلى جانب أبو مصعب الزرقاوي[1].

في عام 2003 أوقفت قوات البشمركة في كردستان العراق المواطن الأردني (أحمد محمد صالح الرياتي) وسلمته للجيش الأميركي في العراق الذي سلمه بدوره للسلطات الاردنية، وقد اعترف أحمد صالح أن الزرقاوي منذ نهاية عام 1999 بدأ يعرض على مقاتلين من أصول أردنية وغالبيتهم من المنتسبين إلى جماعة (جيش محمد) وجماعة بيت الإمام، وعلى جماعات عراقية منضوية تحت عباءة الملا (كريكار) المجيء إلى أفغانستان وتلقي التدريبات في معسكرات القاعدة هناك، وقد نجح خلال بضعة أشهر بتشكيل جماعة مقاتلة تحت إمرته تتالف من اردنيين وعراقيين وشيشان وبعض الافغان وكانت اعمارهم تراوح بين 17 و43 عاماً، حسب جريدة الرأي الاردنية.

وفي شهر تموز عام 2001 وصل المئات من الإسلاميين الأكراد إلى أفغانستان لتلقي التدريبات في معسكرات القاعدة.

بعد تأسيس جماعة (جند الإسلام) في كردستان العراق لم تُخْفِ الجماعة المذكورة علاقتها مع تنظيم القاعدة بل أعلنت ذلك في بيان عام 2001: (نحن حلفاء مع الشيخ اسامة بن

---

(1) من ارشيف الكاتب، أنظر: وثائق خلية غرناطة.

لادن، وأصدقاء لمن هم قريبون من الإسلام وأعداء لمن يعادي الله).

لم يتنبّه أحد لصعود جماعة (جند الإسلام)، التي قويت شوكتها مع مجيء قائد عسكري عمل في أفغانستان إلى جانب أسامة بن لادن ـ فرج أحمد نجم الدين الملقب (إلياس ملا كريكار) والتي أصبحت بغطائه وبفضل المقاتلين الأفغان العرب الجماعة السلفية المسلحة الأساس في كردستان العراق عام 2001.

ولم يكن تولي الملا كريكار إمرة جند الإسلام صدفة، فالرجل كان من رفقاء عبد الله عزام في الجهاد الأفغاني، عمل مدرساً في باكستان عام 1985 ويقال إنه درس الشريعة في إيران سنتين قبل دخوله إلى باكستان.

في عام 1988 أسس الملا كريكار مركز إيواء للمقاتلين الأكراد الذين يريدون الجهاد في أفغانستان ضد العدو السوفييتي، وكان تدرب عسكرياً في أحد معسكرات القاعدة في أفغانستان، ويعترف أنه التقى أسامة بن لادن عام 1988 في أفغانستان. وبعدها بعام أسس الحركة الإسلامية الكردية.

في عام 1995 أسس أكاديمية عسكرية في كردستان العراق، وأنشأ مجموعات دعم مالي في هولندا والنروج والمانيا وإنكلترا.[1]

---

(1) مقابلة مع الملا كريكار، مجلة نضال الإسلام، أيلول 1997.

في عام 2001 جرت نقاشات بين مختلف الجماعات السلفية المسلحة في كردستان العراق للتوحد مع جند الإسلام التي كان يقودها في العلن ملا كريكار الكردي، وفي الظل أبو مصعب الزرقاوي، وقد أراد الزرقاوي الاستحواذ علي جميع المناصب الأساسية ما أفشل المباحثات في ايجاد ارضية مشتركة مع تنظيم الجماعة الإسلامية بسبب اشتراط جند الإسلام الحصول على المسؤولية العسكرية لحماية المقاتلين العرب والأفغان والأجانب غير الأكراد في صفوفها.

في عام 2001 حصل توحد بين جند الإسلام والحركة الإسلامية الكردية، وكانت هذه الحركة الجديدة تخضع لسيطرة قادة عسكريين أتوا من أفغانستان أطلق عليها أنصار الإسلام.

في 10 كانون الأول عام 2001 تم تغيير اسم جند الإسلام التي أصبحت أنصار الإسلام، وأعلن عن تسلّم الملا كريكار زعامتها، وكان للجماعة معسكرات في كل من البيارة، سارغات، وخرمال، وعملت حركة أنصار الإسلام على جمع الأموال عبر تهريب النفط وفرض الضرائب على البضائع التي تمر من إيران إلى كردستان العراق.

في حديث اجراه مع صحيفة الشرق الأوسط السعودية عام 2003 تحدث الملا كريكار عن لقائه مع أسامة بن لادن عام 1988 (لقد حصل اللقاء في فيلا في مدينة (حياة آباد) قرب بيشاور وكانت الفيلا ملكاً لأمير سعودي وكان أسامة بن لادن بصحبة 7 مسؤولين سعوديين.

في عام 2002 سلم الملا كريكار إلى أبو مصعب الزرقاوي جماعة أنصار الإسلام بمعسكراتها وبنيتها التحتية في اجتماع حضره معظم مسؤولي شبكة الزرقاوي الأردنية (عساف عبدالله النسور، رايب إبراهيم قطيشات، منير عبد اللطيف، يوسف شما، وهمام عز الدين العتيبي.

ابتداءً من هذا الإجتماع أصبح لأنصار الزرقاوي مدخل وسلطة على كل قواعد أنصار الإسلام في كردستان وعلى ترسانته من السلاح والمتفجرات.

في رسالة كتبها يوم 3 أيلول عام 2002 أعلن الملا كريكار أنهم يملكون مدفع 155 وحوالى ألف قذيفة من مخلفات الحرب العراقية الإيرانية، أو اشتروها من السوق السوداء، وأعلن أنهم حفروا الأنفاق والخنادق للإحتماء من الغارات الجوية الأميركية والبريطانية، وكان أنصار الزرقاوي يتدربون في معسكر (خرمال) على الحدود مع إيران على يد الأردني أحمد محمد صالح الرياتي[1].

أصبح الزرقاوي وجماعته يتحركون بحرية أكثر بين بغداد والحدود العراقية الإيرانية في كردستان العراق، ومع مرور الوقت وبسبب قرب الملا كريكار من القيادات التاريخية في القاعدة، بدأ مئات المجاهدين العرب الأفغان بالتوافد إلى معسكرات أنصار

(1) محضر تحقيقات محكمة ميلانو حول خلية أنصار الإسلام 21 تشرين الثاني 2003.

الإسلام، وشيئاً فشيئاً أصبحت المعسكرات تحت قيادة رجال أبو مصعب الزرقاوي، واستبدلت قيادات أنصار الإسلام بقيادات عرب من الجهاد الافغاني، نجحت الخطة التي اعتمدت المرور عبر جسم كردي للتمركز والسيطرة في كردستان العراق،وهذا ما حصل عندما اختفت جماعة أنصار الإسلام وعاد الملا كريكار إلى أوروبا عبر إيران التي سفرته إلى أمستردام، وقد ألقي القبض عليه في هولندا يوم 13 ايلول عام 2002، وفي اليوم نفسه أرسل الأردن طلباً قضائياً بتسلّمه بسبب وجود مذكرة توقيف أردنية بحقه بتهمة القتل، غير أن هذا الطلب الأردني بقي من دون رد ورحّلت هولندا الملا كريكار إلى النروج يوم 13 كانون الثاني عام 2003 حيث حققت السلطات النروجية معه لأشهر عدة قبل أن يُخلى سبيله، وخلال توقيفه في هولندا حصلت الشرطة الهولندية على دفتر هاتف للملا كريكار فيه رقم هاتف عبر الأقمار الصناعية تابع للزرقاوي تحت إسم رشيد[1].

لقد أمّن الملا كريكار دخول تنظيم القاعدة عبر أبو مصعب الزرقاوي إلى كردستان العراق وسيطرته على معسكرات تدريب أنصار الإسلام وتمركزه بداخلها، ولاستكمال المشهد قام مجلس شورى أنصار الإسلام في شباط عام 2003 بعزل الملا كريكار من منصب زعيم الجماعة، وفي الشهر ذاته وضعت الولايات المتحدة جماعة أنصار الإسلام على لائحة الإرهاب.

---

(1) المصدر السابق.

في نهاية اللعبة وعشية الغزو الأميركي للعراق كانت جماعة أنصار الإسلام تعد حوالى 600 مقاتل من العرب الأفغان تحت قيادة أبو مصعب الزرقاوي.

■ التوحيد والجهاد

شكل الغزو الأميركي للعراق في شهر آذار عام 2003 نقطة تحول استراتيجية بالنسبة للحركات السلفية المقاتلة في كردستان العراق، وقد أعلنت جماعة أنصار الإسلام في بيان بتاريخ 13 حزيران عام 2003 الجهاد ضد الإحتلال الأميركي للعراق داعية كل المتطوعين للإنضمام إليها لقتال الجيش المحتل، وأعلنت أنها سوف تستخدم أسلوب حرب المدن في مواجهة الإحتلال، كما أعلنت أن المعابر قد تأمّنت لدخول المتطوعين إلى العراق[1].

في شهر آب من العام نفسه أعلن الملا كريكار أن الإحتلال الأميركي للعراق لا يختلف عن الإحتلال السوفييتي لأفغانستان معلناً أن تنظيم القاعدة يشارك في قتال الإحتلال، ومنذ بداية الغزو الأميركي بدأت حركة أنصار الإسلام تمركزها وعملياتها في كل مناطق العراق خصوصاً المناطق الغربية منه، وفي حزيران عام 2003 أعلن عن تشكيل فصيل جديد (أنصار السنة) بقيادة (أبو عبدالله حسين بن محمود) شقيق أبو عبدالله الشامي أحد مساعدي الزرقاوي الذي قتل في كردستان العراق عام 2001.

---

(1) جريدة الشرق الأوسط، 13 حزيران 2003، أف ب، رويترز.

نفذت أنصار السنة عملية إنتحارية ضد السفارة التركية في بغداد يوم 14 تشرين الأول عام 2004 ونفذت عملية اغتيال ناجحة ضد عدد من رجال الأمن الإسبان في العراق يوم 29 تشرين الثاني من العام نفسه.

يعد الهجوم الأميركي عليها في جبال كردستان العراق أعلنت حركة أنصار الإسلام يوم 5 ايلول 2003 أن مجاهديها تمكنوا من إعادة تنظيم صفوفهم بعد إنسحابهم إلى بلد مجاور في إشارة إلى (إيران) حيث حصلنا على دعم إخوتنا الذين يشكلون الإمتداد الطبيعي لعملنا)[1].

---

(1) في بداية عام 2004 تلقى تنظيم القاعدة في العراق وأفغانستان ضربة قوية بعد حملة الإعتقالات الأميركية التي طالت مسؤولين في الجماعات السلفية المحاربة تحت بيعته في العراق وفي أفغانستان (حسن غول أحد مساعدي بن لادن إعتقل في كردستان العراق، خالد شيخ محمد في باكستان، الياس أسد محمد حسن الرقم 3 في أنصار الإسلام واحد مساعدي الزرقاوي إعتقل في الموصل وعمر بيزاني منظم عمليات الزرقاوي في العراق إعتقل يوم 30 نيسان 2004) شعرت القاعدة أن الجماعات السلفية المسلحة التي بايعتها تصارع لأجل البقاء وأصبحت عملية توحيد البندقية مسالة حيوية بالنسبة للجميع، وهنا ضرب الزرقاوي ضربته الإعلامية القوية، يوم 9 نيسان 2004 حيث تم اختطاف أميركي اسمه (نيكولاس بيرغ) ويوم 11 أيار من العام نفسه قام أبو مصعب الزرقاوي شخصياً بذبحه وتم نشر فيديو العملية على الإنترنت وفي وسائل الإعلام العالمية. في اليوم التالي أعلنت الجماعة الإسلأمية المسلحة وهي جماعة تضم ضباطاً سابقين في الجيش العراقي ومسؤولين أمنيين سابقين من عهد صدام مع بعض السلفيين العراقيين إنضمامها الى جماعة (التوحيد والجهاد) التي أسسها الزرقاوي وصدر بيان باسم الجماعة الجديدة موقع من قبل الزرقاوي والعراقي زعيم الحركة السلفية وهو أحد ضباط الحرس الجمهوري العراقي أيام صدام حسين تحدث عن التفرقة التي تسبب الضعف والوحدة التي تاتي بالقوة وأعلن العراقي في هذا البيان زعامة الزرقاوي لجماعة التوحيد والجهاد).

بعد الهجوم الأميركي الكبير في كردستان العراق في صيف عام 2003 بدأت محاولات لتوحيد جميع الفصائل المسلحة في كردستان العراق تحت راية واحدة، وأعلنت حركة أنصار الإسلام التي تخضع لسيطرة الزرقاوي أن عملها إمتد إلى كل أنحاء العراق وأنها يمكن أن تغير إسمها في حال تم أي توحد مع فصيل آخر، وأعلنت أنها سوف تكشف عن إسمها الجديد قريباً، كما وطلبت في بيانها من كل المرجعيات السلفية عدم إصدار أي بيان يمنع الجهاد في العراق في إشارة إلى المقدسي، وكان الشيخ (ابو محمد المقدسي) شيخ أبو مصعب الزرقاوي أصدر فتوى من سجنه الأردني يحرم فيه الجهاد في العراق ناسفاً كل نظرياته وفتاواه إبان حقبة الحرب الأفغانية.

منذ شهر نيسان 2003، أصدر المقدسي بياناً إبتعد فيه عن الجماعات السلفية المسلحة في العراق وأدان التضحية بالشباب المسلم في حرب بين مشتركين؛ نظام صدام والأميركيين كما وأدان إرسال الافغان العرب للقتال في العراق.

المقدسي كشف في هذه الفتاوى من سجنه عن شخصية غريبة الأطوار في بيان ثانٍ أرسل من سجنه في كفكفة في الأردن عام 2004 لم يتوانَ المقدسي عن إدانة عمليات الزرقاوي (أحياناً[1] كانت خياراته غير جيدة لأن الزرقاوي اختار أشخاصاً غير خبيرين

(1) الجزيرة، 13 نيسان عام 2000.
(2) الجزيرة، عام 2004.

بالجهاد) غير أنه عاد في البيان نفسه وأعلن تاييده للزرقاوي: (أضيف بكل صراحة وأعلن تأييدي له في العراق في حربه ضد جميع أعدائه، أنا أعلم أن الزرقاوي مستعد للتضحية بالدم والمال والحياة في سبيل إخوته).

لم تتأخر جماعة أنصار الإسلام في إعلان إنضمامها للجماعة الجديدة، أما أنصار السنة[1] فأعلنت مشاركتها بأكثر من عملية عسكرية مع جماعة التوحيد والجهاد، كما أعلن (أبو عبدالله الشافعي) الذي يدير جماعة الفصائل الإسلامية في كردستان العراق بعد أن كان اسمها جماعة التوحيد تأييده للزرقاوي، وليس من قبيل الصدفة أن الزرقاوي اختار إسم (التوحيد) لجماعته في إشارة شكر لأبي عبدالله الشافعي الذي كان مؤسس حركة التوحيد قبل أن يشكل مع الملا كريكار جماعة أنصار الإسلام التي سلّمها للزرقاوي وكانت الباب الكردي الذي دخل عبره المقاتلون العرب الأفغان إلى كردستان العراق، كما ذكرنا سابقاً.

في أيار عام 2004 توحّدت جميع الفصائل الإسلامية التي اتخذت من كردستان العراق مقر إنطلاق للحرب على أميركا في بلاد الرافدين تحت إمرة أبو مصعب الزرقاوي في جماعة التوحيد والجهاد التي شكلت تحالفاً جدياً للجماعات الإسلامية التي استمر بعضها في العمل تحت إسمه الخاص لكنها كانت جميعاً تحت إمرة الزرقاوي (أنصار الإسلام، أنصار السنة، جيش محمد، الجماعة

---

(1) بيان أنصار السنة، 10 تشرين ثاني 2004.

السلفية، التكفير والهجرة وجند الشام)، وغالبية هذه الجماعات كانت من العراقيين الذين كانوا في الأجهزة العسكرية والأمنية لعهد صدام حسين.

خلال عام 2004 كان إسم الزرقاوي يحتل أولى نشرات الأخبار العالمية وعلى لسان المسؤولين الأميركيين والعراقيين والعرب في كل عمل يطال قوات الإحتلال الأميركي للعراق، حظي الرجل بالشهرة وتفوق بها على الأب التاريخي لتنظيم القاعدة أسامة بن لادن، ووصل إلى مرحلة خلاف وعدم بيعة لتنظيم القاعدة الذي تولى أمره الظواهري عبر تسجيلات كانت تبث على قناة الجزيرة في فترة اختفاء أسامة بن لادن، التي سبقت اختفاء الكثير من الأسماء والحركات إما بالقتل أو بالتبخر كما حصل خلال الغزو الأميركي للعراق مع الحرس الجمهوري العراقي الذي تبخر، أو لاحقاً مع التوحيد والجهاد وقاعدة الجهاد في بلاد الرافدين، ومع دولة الإسلام في العراق التي تبخرت وتحولت إلى صحوات، أو عاد أفرادها إلى بيوتهم حتى حان موعد بعثها ونشرها مع الحرب في سوريا.

كانت عمليات أبو مصعب الزرقاوي والجماعة الأردنية والأفغانية التابعة له مباشرة، ضد الإحتلال الأميركي وقواته أقل بكثير من عمليات الفصائل الأخرى التي كان غالبيتها من الحرس الجمهوري السابق والجيش العراقي السابق مثل الجيش الإسلامي في العراق، لكن الزرقاوي كان في مقدمة الحدث الإعلامي وكان

ينسب إليه أكثر الأعمال فظاعة وإجراماً والتي تحتل بطبيعتها مركز الصدارة في الإعلام، مثل ذبح الرهائن أمام الكاميرا، وخطف الأجانب وتوقيت إصدار البيانات. وهناك أمثلة لا تعد عن هذا الأسلوب الإستخباري؛ مثالاً على هذه السياسة الإعلامية الناجحة البيان الذي صدر في اليوم الثاني للهجوم الأميركي على الفلوجة والذي أعلن فيه الزرقاوي أن التوحيد والجهاد ينضوون تحت لواء القاعدة لتنسيق الحرب ضد الأميركيين في العراق، هذا الإعلان لا يعبر إلا عن واقع موجود، لكن توقيت الإعلان كان مهماً وأعطى الزرقاوي صدارة المشهد بينما على الأرض كان الحرس الجمهوري العراقي والجيش العراقي السابقين يخوضون المعارك ويقودون كل شيء تقريباً.

كان أبو مصعب الزرقاوي الشّماعة الإعلامية والغطاء الأخلاقي والسياسي لكل الأعمال الإجرامية التي تمت بإسم محاربة الإحتلال في العراق، خصوصاً عمليات قتل المدنيين وتحليل سفك دماء عامة الشيعة وعامة المخالفين من السنة بفتاوى التكفير، هذا النمط المحارب لم يكن من سياسة تنظيم القاعدة في أفغانستان خلال سنوات وجوده هناك، ولم يصدر عن أسامة بن لادن أية فتاوى أو بيانات تحلل سفك دماء عامة الشيعة وعموم المخالفين، لم تهاجم القاعدة الشيعة في السعودية ولم تهاجمهم في أفغانستان ولم تهاجم إيران، وهنا يظهر عمل الزرقاوي امتداداً لسياسة الأجهزة الأمنية العراقية السابقة التي تغطت بقناع القاعدة والسلفية المحاربة متمثلة بالزرقاوي (العنيف والقاتل) كما يسميه رفاق السلاح، في حربها

الخاصة لاستعادة الحكم المفقود، فهي بتخفيها وراء مجموعة قليلة العدد كثيرة الشهرة إعلامياً من العرب الأفغان تجذب الجهاد العالمي إلى العراق لخوض الحرب معها، وتستمر في ضبط إيقاع هذا الجهاد وتتحكم به بعيداً عن قيادته التاريخية البعيدة جغرافياً في مخابىء باكستان وأفغانستان، وهذا ما سوف نبينه في ملف تأسيس دولة الإسلام في العراق على جثة الزرقاوي. . .

■ القاعدة بفتاوى الحرس الجمهوري

لم يشكل العراق أي إهتمام إستراتيجي لتنظيم القاعدة، وبالكاد كان أسامة بن لادن يذكر العراق قبيل احتلاله من قبل الجيش الأميركي في كل الخطابات والبيانات التي بثها وكان يتناول فيها ممالك وإمارات الخليج.

لم يذكر بن لادن الشيعة بلغة التكفير والقتل الجماعي، وكان في كثير من الأحيان يراعي إيران التي كانت أميركا تشاركه عداءها في العالم الإسلامي، كما أنه لم يناد بقتال الشيعة في العراق، بل إنه نفى أن يكون تنظيمه متورطاً بعملية اغتيال رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في العراق السيد محمد باقر الحكيم التي تبين لاحقاً تورط عناصر من أجهزة أمن صدام فيها،و هذه السياسة التي اتبعها بن لادن كانت بفعل الاوضاع في المنطقة واستمرت حتى الغزو الأميركي للعراق.

على عكس هذا التوجه كان الزرقاوي يتناول الشيعة والأكراد في كل خطاباته ويتهمهم بالتعاون مع الإحتلال، وفي رسالة نسبت

له ونشرتها السلطات العراقية والقوات الأميركية يوم 23 كانون الثاني عام 2004 وصف الزرقاوي الشيعة بشيطان الإنسانية، والأفعى الملعونة، والذين يظهرون الصداقة حتى يطعنوك في الظهر، ويقول إن الشيعة يريدون جعل العراق إيران ثانية.

وفي رسالة صوتية بثت بعد ذلك بأشهر عدة وصف الزرقاوي الشيعة بالخاصرة الرخوة للأمة الإسلامية وحصان طراودة الأميركي في العراق، في مواقف تتعارض مع سياسة قيادات القاعدة التي أرادت الحفاظ على نوع من الحيادية داخل مكونات المجتمع العراقي.

في هذا الوضع المضطرب يمكن القول أن حرب الزرقاوي على الشيعة، كانت سياسة موضوعة من قبل أنصار النظام السابق الذين أرادوا استنفار المتطرفين في العالم الإسلامي للمجيء والقتال معهم في العراق، وبطريقة غير مباشرة وغير مقصودة خدمت الخطة السياسة الأميركية التي رأت في الصراع السني الشيعي في العراق تبريراً لوجودها في البلد.

في كانون الثاني عام 2004 وفي الرسالة التي نسبتها إليه الحكومة العراقية والقوات الأميركية، عرض الزرقاوي من موقع الندية على تنظيم القاعدة تحالفاً تحت راية البيعة للقاعدة بشروطه هو: (نحن[1] بحاجة لتشكيل جيش المجاهدين لقتال العدو

---

(1) من رسالة الزرقاوي 23 كانون ثاني 2004.

الأميركي، الشرطة والجنود، نحن مستمرون في قتالهم وفي تنفيذ العمليات الانتحارية، نحن مستمرون في التدريب وتقوية صفوفنا، في حال شاطرتمونا الرأي، إذا جعلتم منه برنامجاً لكم، وفي حال اقتنعتم بقتال المشركين، سوف نكون جنودكم تحت رايتكم، نستمع لأوامركم وندعو لبيعتكم على الملأ).

كان لهذه الرسالة وقع كبير داخل قيادات كثيرة في تنظيم القاعدة، غيرت نظرتها في طريقة قيادة الزرقاوي للقتال في العراق، وها هو موقع (صوت الجهاد) التابع لتنظيم القاعدة ينشر رسالة للشيخ (عبد الرحمن بن سالم الشمري) يمتدح ذبح مصري في العراق في مقالة بعنوان (يا شيخ القاتلين) يمكننا قراءة: (يا شيخ القاتلين، أبو مصعب الزرقاوي استمر في اتباع طريق الحق، اقتل المشركين، ضد العملاء مع المجاهدين دون رحمة).

تسهيل الإنسحاب الأميركي من العراق

كان الطقس البارد يلف باريس في ذلك اليوم من شهر كانون الثاني عام 2003 عندما ذهبت إلى قاعة مؤتمرات تقع في 197 جادة مونبارناس في الدائرة الرابعة عشرة من باريس لحضور المؤتمر الدولي الاول للجمعيات الخيرية والإنسانية الذي شكله عشرات الناشطين العرب والغربيين ومن أميركا اللاتينية وأفريقيا لمواجهة الهجمة الأميركية على الجمعيات الخيرية في العالم الإسلامي بعد أحداث 11 أيلول وبعد الغزو الأميركي لأفغانستان، كانت أول معرفتي بالشيخ القطري عبد الرحمن النعيمي الذي التقيته مرات عدة فيما بعد وعلمت من احتكاكي به عبر لجنة الدفاع عن خلية غرناطة واللجنة الدولية لإغلاق سجن غوانتانامو أنه حافظ أموال تنظيم القاعدة الخفي ويفوق ياسين القاضي أهمية وفعالية، كما التقيت في المؤتمر بالنائب السلفي الكويتي وليد طباطبائي شريك النعيمي في قناة وصال التكفيرية وشريكه في الحرب السورية وفي تشكيل الغطاء المالي والسياسي لناشطي تنظيم القاعدة عبر العالم.

إزدادت زيارات الشيخ النعيمي إلى أوروبا، ولم يكن يواجه أية

مشكلة في الحصول على تأشيرات دخول إلى أي بلد أوروبي رغم علاقاته مع القاعدة، ولم يتم وضعه على لائحة ممولي الإرهاب من قبل وزارة الخزانة الأميركية إلا في شهر 12 عام 2013.

وسهلت العلاقات الفرنسية القطرية الجيدة تحركات النعيمي كما تحركات الكثيرين من قياديي القاعدة الجدد من جنسيات سورية ومصرية وتركية، وهذه العلاقات شهدت في تلك الفترة تطورات سريعة ومهمة وكان الإتفاق الأميركي الفرنسي في النورماندي خريف 2003 على تغيير خريطة الشرق الأوسط، وقبلها وصول حزب العدالة والتنمية بقيادة رجب طيب أردوغان إلى الحكم في تركيا، ومن ثم الإعلان الأميركي عن إستراتيجية (تحوير النار) التي تقول بعدم مواجهة العدو مباشرة ومحاولة إختراقه لإلهائه بمعارك أخرى، وهذه النظرية الأخيرة تولت قطر تنفيذها عبر عملية إختراق تنظيم القاعدة والسيطرة عليه. كل هذه الأحداث والوقائع كانت مقدمة لظهور دولة الإسلام في العراق على جثة أبو مصعب الزرقاوي وعلى أنقاض تنظيمه، وقد تولت قطر ومعها الظواهري وقيادات سلفية خليجية عملية تحوير النار في العراق ظناً منها أن الإنسحاب الأميركي سوف يتم عبر هذه الطريقة وأنها سوف تطرد حكام بغداد الجدد فور انسحاب الجيش الأميركي من العراق.

كان وجودي ضمن اللجنة الدولية لإغلاق سجن غوانتانامو ومتابعتي لكامل ملفات التحقيقات الإسبانية في شبكة غرناطة وانخراطي في اللجنة الدولية للدفاع عن تيسير علوني مراسل

الجزيرة الذي اتهم بالانتماء لخلية غرناطة في إسبانيا المتهمة بتفجيرات قطارات مدريد، والانتماء لتنظيم القاعدة، سبباً لاطلاعي عن قرب على الكثير من التفاصيل المتعلقة بتنظيم القاعدة والشبكات العالمية الملحقة به، ومعرفة الكثير من تحركاتها وخيوطها وبرامجها المستقبلية وصراعات الاجنحة داخلها والحالم كل منها بوراثة أسامة بن لادن في زعامة الجهاد العالمي والسلفية العالمية المحاربة، كما كان كل ما ذكرت سبباً في معرفتي بالدول الداعمة لهذه الشبكات القاعدية وخريطة رجالها في القاعدة، وأيضاً كان هذا التواجد النشِط في اللجان المذكورة سبباً في احتكاكي بشخصيات شكلت محورا في دبلوماسية تنظيم القاعدة والشبكات السلفية الدائرة في فلكه، وكان لهذه الشخصيات ثقل استراتيجي في العمل السلفي الدولي لناحية التمويل وتأمين الغطاء العملاني كونها تتحرك حول العالم دون مشاكل تذكر.

شكلت خلية غرناطة[1] منعطفاً كبيراً في معرفتي بالتركيب المعقد البسيط لتنظيم القاعدة، وكان مشهد الصراع داخل أجنحة التنظيم بعدما أجبر قائده التاريخي الكاريزمي اسامة بن لادن على التخفي والابتعاد عن قواعد التنظيم. كان هذا المشهد يثير دهشتنا نحن المدافعين عن هذه الخلية، ويكشف المستور من خفايا الصراع الخليجي ـ المصري الشامي ـ والعربي الافغاني في تنظيم القاعدة.

---

(1) انظر وثائق التحقيقات الإسبانية في خلية غرناطة من أرشيف الكاتب الخاص.

كشفت خلية غرناطة التي تابعت أدق مراحل تحقيقاتها وتفاصيله، عن صراع خفي على تركة أسامة بن لادن قبل مقتله على يدي القوات الأميركية عام 2010، كان العنصر المصري والشامي اساس هذا الصراع مع العنصر الخليجي الذي ضعف مع هزيمة طالبان وتنظيم القاعدة أمام الغزو الأميركي الضخم لأفغانستان. لقد شكل إختفاء أسامة بن لادن وبعده عن أرضية العمل التنظيمي وقواعده البشرية جغرافياً وجسدياً، فرصة لظهور طموحات جدية بخلافته، وخروج من ينافسه في الميدان وفي الفتاوى وفي القرار وفي إختيار أسلوب العمل دون عودة للقيادة الأم التي فقدت سطوتها التاريخية. فالظواهري ليس بن لادن، وتالياً فالخروج عليه وعلى أوامره لم يكن بالأمر الصعب ولا العمل المنفرد المعزول ضمن الجماعات المتقاتلة على النفوذ داخل التيارات السلفية العالمية المحاربة، وهذا ما حصل مع الزرقاوي في العراق، وما حصل بين الظواهري وتيار الخليجيين السعودي الذي كان يرى الجهاد السلفي العالمي الذي قاده طيلة عقود عبر وجود أسامة بن لادن الخليجي الجنسية وإن كان يمني الأصل،رآه يفلت من يده لصالح أيمن الظواهري ومجموعة من مساعديه السوريين والمصريين والأردنيين، من الذين أطلق عليهم سفر الحوالي لقب المتسلقون الجدد (على وزن المحافظون الجدد) وهذا ما أدى بهذا التيار إلى دعم تأسيس الدولة الإسلامية في العراق وتنسيق هذا التأسيس مع دولة قطر التي كانت صلة الوصل بينه وبين قوات الإحتلال الأميركي وتولى هذا التيار حينها عبر الشيخ حارث

الضاري عملية التواصل مع ضباط وعناصر الحرس الجمهوري العراقي والمخابرات العراقية السابقين الذين لبسوا قبعة الإسلام الجهادي وتخفوا تحت قبعة الزرقاوي، في سعيهم لاستعادة الحكم المفقود الذي أخذه الشيعة عبر التدخل الأميركي كما قال لأحد النشطاء الحقوقيين العرب أحد الضباط في الحرس الجمهوري العراقي أيام صدام وكان من قادة محاور معركة الفلوجة (أميركا تدخلت في العراق لأن الشيعة لم يقاتلوها، نحن سوف نقتل الشيعة تحت عباءة القاعدة لأنهم أخذوا الحكم ولأننا لن نقبل أن يستمروا في السلطة).

بعد الغزو الأميركي للعراق إتخذ جورج بوش إجراءات عقابية صارمة بحق العشرات من الجمعيات الخيرية السلفية التي كانت تنشط سابقاً بدعم من الولايات المتحدة والسعودية في جمع التبرعات وحشد المقاتلين للذهاب إلى أفغانستان والجهاد ضد الجيش السوفييتي الكافر، حسب مصطلحات المشايخ القيمين على الدعوة للجهاد وعلى الفتاوى بخصوص الجهاد في بلاد الأفغان.

خَبِرت جمعيات الدعم السلفية لتنظيم القاعدة العمل السري سنوات طويلة وما إن أصدر جورج ويليام بوش قراراً بمنع بعضها في بداية الأمر حتى حلت هذه الجمعيات نفسها وبدأت العمل على مستوى آخر اقليمي ودولي:

1 ـ الإقليمي تمثل بتسليم جميع أموال الجمعيات السلفية لشخص قطري هو الشيخ عبد الرحمن النعيمي المعارض

للحكم القطري والذي يعيش في كنف آل ثاني وفي حمايتهم في مفارقة ملفتة.

2 ـ العالمي عبر التواصل مع ناشطي حقوق الإنسان العرب في الغرب والعمل معهم عبر جمعيات أهلية ولجان دولية لمواجهة الهحوم الدبلوماسي والحقوقي الأميركي حول العالم بعد تعثر مواجهة الهجوم العسكري الأميركي في أفغانستان والعراق.

كان للنعيمي الدور الأكبر في التواصل مع الخارج وفي حفظ الأموال التي كانت ترسل إلى التنظيم في العراق وأفغانستان وفي لبنان وسوريا واليمن والسودان والصومال، وكان للشيخ حارث الضاري حصته الكبرى التي كان يوزعها على ضباط في الحرس الجمهوري العراقي عملوا تحت راية مجموعات سلفية وشكلوا في نهاية الأمر النواة الصلبة للدولة الإسلامية في العراق.

شكلت باريس الوجهة الأولى للشيخ النعيمي القطري وذلك بسبب الإعتراض الفرنسي حينها على الغزو الأميركي للعراق وبسبب بدء صفحة من العلاقات المميزة بين باريس والدوحة، وكان النائب السلفي الكويتي وليد الطباطبائي أيضاً من الشخصيات التي تزور باريس قبل أن يتم اعتماد النعيمي وابتعاد الطباطبائي إلى الخلف للعمل صلة وصل مع حارث الضاري وهيئة العلماء المسلمين في العراق وبينهم وبين مشايخ السلفية السعودية وخلايا تنظيم القاعدة في الخليج وفي افغانستان.

كان افتتاح سجن غوانتانامو مناسبة للجمعيات الأهلية والحقوقية والناشطين العرب في بلاد الغرب لاتخاذ مواقف معارضة للولايات المتحدة الأميركية ولثقافة المحافظين الجدد التي سيطرت على قرار البيت الأبيض والحكومة الأميركية طيلة دورتين انتخابيتين كان جورج بوش الإبن فيها رئيساً للولايات المتحدة الأميركية.

تم تشكيل اللجنة الدولية لإغلاق سجن غوانتانامو من عشرات الناشطين العرب والأجانب في كل أنحاء أوروبا وصولاً إلى أميركا الشمالية واللاتينية وانتشرت نشاطاتها في أكثر من مدينة عالمية، خصوصاً باريس وجنيف حيث منظمات الأمم المتحدة وبروكسيل حيث الإتحاد الأوروبي وحلف الأطلسي، ولاهاي حيث المحكمة الجنائية الدولية، وكانت تلك المؤتمرات والنشاطات مكان لقاء مع الكثير من الشخصيات السلفية التي كانت تدير دفة القيادة الدبلوماسية لتنظيم القاعدة بعناوين كثيرة جميعها حمل مصطلحات لغوية قريبة للعلمانية وبعيدة كل البعد عن المصطلحات السلفية المستعملة مثل طقوس العبادة في يوميات السلفي العربي.

كان النعيمي يحمل جواز سفر دبلوماسي قطري، وكان آل ثاني بهذا الكرم عليه وهو عاقد البيعة للسعودية والمدرسة السلفية فيها التي تناصب قطر العداء وعدم الإعتراف بشرعية وجودها كدولة، كان هذا الكرم جزءاً من السياسة القطرية التي اتبعت مع التيارات السلفية في العالم بعد افتتاح الجزيرة، وكان عنوانها التواصل مع الجميع للتأثير عليهم واتقاء شرهم واختراقهم ومعرفة أخبارهم

وبيعها في سوق الرضا الأميركي على آل ثاني المحتضنين أكبر القواعد الأميركية في العالم.

اخترقت قطر تنظيم القاعدة عبر فريق من الإعلاميين غالبيتهم من السوريين من الذين عملوا في فريق الجزيرة في افغانستان والعراق ومن ثم في سوريا، وكانت شبكة غرناطة والكشف عنها في إسبانيا الضربة القاسية التي كشفت النفوذ القطري في تنظيم القاعدة الذي كان سببه حاجة قيادات القاعدة المشتتين في جبال الافغان وباكستان وكردستان العراق وغيرها إلى منبر إعلامي يبقيهم في الساحة العالمية، وحاجتهم إلى الغطاء القطري للتنقل في العالم كما حصل مع محمد بهايا[1] وأبو مصعب السوري[2] وتيسير علوني[3] في خلية غرناطة الإسبانية حيث كان الجميع يحمل جوازات سفر قطرية وكان غطاء العمل في الجزيرة مصدر نقل الأموال لهذه الشبكة وعبرها للقاعدة الأم في أفغانستان.

في تلك الفترة كنت أرى الشيخ النعيمي في باريس و جنيف خلال المؤتمرات والندوات التي كنا نعقدها في إطار لجان غوانتانامو ولجان شبكة غرناطة.

شهد العامان 2004 و 2005 ضربات قاسية لتنظيم القاعدة في العراق وفي أفغانستان، وللمسلحين العراقيين في الفلوجة والأنبار،

---

(1) ابو خالد السوري الذي قتل على يد داعش في سوريا وكان من قيادات أحرار الشام؛ انظر وثائق تحقيقات غرناطة.

(2) أنظر تحقيقات غرناطة.

(3) المصدر السابق.

ودخل على خط الحرب كتائب الموت التي شكلت من الشيعة في العراق للرد على السيارات المفخخة وعمليات الخطف والقتل، واعتمدت القتل الطائفي وسيلة على غرار ما فعلته كتائب الحرس الجمهوري والمخابرات العراقية تحت مسميات إسلامية وأصبحت الحرب بلا أفق للجميع مع استمرار الشيعة في السلطة وازدياد ثقتهم بالقدرة على الوجود في الحكم، مع فقدان الأمل لدى كل الفئات العراقية الرافضة للعهد الجديد محلياً داخل العراق، وإقليمياً في الخليج، بإمكانية الإنتصار في هذه الحرب طالما انْوجَد الإحتلال الأميركي في العراق، ومن هنا بدأت قطر والسعودية وتركيا محاولات مع قيادات المسلحين العراقيين لوقف القتال مع الجيش الأميركي تمهيدا لتأمين إنسحاب أميركي من العراق، وكان دور القيادات السلفية الخليجية إقناع أبو مصعب الزرقاوي بالتخلي عن السلاح وحل تنظيم التوحيد والجهاد وهذا كان مطلباً أميركياً أساساً.

في إحدى الجلسات اثناء زيارة قام بها لباريس الشيخ عبد الرحمن النعيمي وفي نقاش حول خلية غرناطة والخلاف بين السلفية الخليجية والشيخ أيمن الظواهري، قال لي الشيخ النعيمي: «كم مصري يوجد في تنظيم القاعدة، وكم يقدم المصريون من المال حتى يحلم الظواهري بوراثة الشيخ أسامة؟ الخلافة في الخليجيين وليست في المصري ولا الشامي ولا غيره». كان من الواضح أن الخلافات على النفوذ والسلطة بين الخليجيين من ناحية والمتحدّرين من مصر ومن بلاد الشام من ناحية أخرى، وهذا ما ظهر جلياً في خلية غرناطة

التي كان غالبيتها من السوريين والمصريين المقربين من أيمن الظواهري والذين تولوا مهمات كبيرة في القاعدة بعد غياب بن لادن في باكستان، أمثال محمد بهايا [1] وتيسير علوني، وأبو الدحداح ومصطفى ست مريم، رياض عقلة،سعيد منصور، مأمون دركزلي وجميع هؤلاء من التابعية السورية.

وصلت الوساطات الخليجية إلى ما تريده مع الفصائل العراقية التابعة للنظام السابق وكانت المعضلة في أبي مصعب الزرقاوي وجماعة التوحيد والجهاد والتي غالبيتها من غير العراقيين ولم تكن مهمة عددياً بقدر ما هي مهمة اعلامياً ومعنوياً للاستخدام في المستقبل كما استخدمت منذ عام 2003، هنا كان للنعيمي كلام حاسم يتحدث عن قرار سلفي ورسمي خليجي، بفرض التسوية على الزرقاوي: «الشيخ الزرقاوي يجب أن يقبل بوقف إطلاق النار لتسهيل إنسحاب الإحتلال الأميركي من العراق». سألته: وهل هذا سوف ينهي المشكلة بالنسبة لكم؟ هناك سلطة عراقية قائمة. أجابني: كل هؤلاء الذين أتوا مع الإحتلال سوف يرحلون بعد رحيله بستة أشهر، لن يتمكنوا من الصمود كثيراً، وفي حال رفض الشيخ أبو مصعب؟ سألته مرة أخرى. أشار بكفه للأعلى: يقبل بالتي هي أحسن. على أية حال لا يمكن إقناع الأميركي بالتسوية وجديتها بوجود الشيخ أبو مصعب، سوف يكون هناك حل لوضعه». طبعاً الجميع يعرف كيف تم حل معضلة الزرقاوي.

---

(1) انظر تحقيقات خلية غرناطة في «من ملفات الكاتب».

رسالة الظواهري للزرقاوي

كلام الشيخ عبد الرحمن النعيمي عن أولوية تأمين الإنسحاب الأميركي من العراق، نجده في رسالة كتبها أيمن الظواهري لأبي مصعب الزرقاوي هي أشبه بتوصيات عمل إستراتيجي وسياسي، ويظهر فيها الأولوية للإنسحاب الأميركي ومن ثم إقامة الإمارة الإسلامية في العراق، وثالثاً التوسع نحو الدولة العلمانية المجاورة للعراق. يقول الظواهري في الرسالة:

المرحلة الأولى: إخراج الأميركان من العراق.

المرحلة الثانية: إقامة سلطة أو إمارة إسلامية - ثم تطويرها وتدعيمها حتى تبلغ مرتبة الخلافة، على أكبر جزء تستطيع أن تبسط سلطانها عليه من العراق، وبالذات في مناطق أهل السنة العرب حتى تملأ الفراغ الناشىء عن خروج الأميركان فور انسحابهم، قبل أن تحاول ملء هذا الفراغ قوى غير إسلامية سواء من سيتركهم الأميركيون خلفهم، أو من يسعي للقفز على السلطة من القوى غير الإسلامية.

ولا شك أن هذه الإمارة ستدخل في صراع عنيف مع القوى

الأجنبية الكافرة ومن تدعمهم من القوى المحلية، لتجعلها في حالة إنشغال دائم بالدفاع عن نفسها، ولتحول بينها وبين إقامة الدولة المستقرة التي تعلن الخلافة، ولتبقى دائماً في مرحلة حرب العصابات الجهادية، حتى تجد هذه القوى فرصة للقضاء عليها.

المرحلة الثالثة: مدُّ الموجة الجهادية إلى ما جاور العراق من دول علمانية.

إذن الهدف الأول هو خروج الأميركي من العراق وهذا الهدف يعرقله أبو مصعب الزرقاوي بسياسته وتصرفاته في العراق كما يظهر في الفقرات التالية من رسالة الظواهري:

ولكن إلى جانب ذلك لا بد من الإقرار بأن ما ذكرناه سابقاً لا يعيه عوام المسلمين، بل وقد لا يتصورونه. ولذلك يتساءل كثير من المحبين لكن من عوام المسلمين عن سبب مهاجمتكم للشيعة، ويزداد هذا التساؤل حدة إذا كان الهجوم علي مسجد من مساجدهم، ويزداد أكثر إذا كان الهجوم علي مرقد الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ورأيي أنك مهما حاولت أن توضح هذا الأمر فلن يتقبله العوام، وسيظل النفور منه قائماً.

بل وستدور التساؤلات في أوساط المجاهدين وأهل الرأي فيهم عن صواب هذا الصدام مع الشيعة في هذا الوقت، وهل كان لا بد منه أم كان يمكن تأجيله حتى يقوي عود الحركة المجاهدة في العراق؟ وإذا كانت بعض العمليات ضرورية للدفاع عن النفس فهل

كل العمليات كانت ضرورية؟ أم أن بعض العمليات كانت لا داعي لها؟ وهل فتح جبهة أخرى الآن بالإضافة لجبهة الأميركان والحكومة يعد قراراً حكيماً؟ وألا يرفع هذا الصدام مع الشيعة العبء عن الأميركان بإشغال المجاهدين مع الشيعة، ويظلّون يديرون الأمور من بعد؟ وإذا كان الهجوم علي بعض رؤوس الشيعة ضرورياً لإيقاف مخططاتهم، فلماذا الهجوم على عوام الشيعة؟ ألا يؤدي هذا لترسيخ المعتقدات الباطلة في أذهانهم، بينما يجب علينا أن نخاطبهم بالدعوة والبيان والتبليغ لهدايتهم للحق؟ وهل سيستطيع المجاهدون قتل كل الشيعة في العراق؟ وهل حاولت أية دولة إسلامية في التاريخ ذلك؟ ولماذا يقتل عوام الشيعة مع أنهم معذورون بالجهل؟

وما الخسارة التي كانت ستلحق بنا لو لم نهاجم الشيعة؟ وهل تناسى الإخوة أن لدينا أكثر من مئة أسير - كثير منهم من القيادات المطلوبة في بلادهم - لدى الإيرانيين؟ وحتى إذا هاجمنا الشيعة للضرورة لماذا الإعلان عن هذا الأمر وإظهاره مما يضطر الإيراينيين إلى اتخاذ مواقف مضادة؟ وهل تناسى الإخوة أن كلاً منا والإيرانيين في حاجة إلي أن يكف كل منا أذاه عن الآخر في هذا الوقت الذي يستهدفنا فيه الأميركان؟

هذه الأسئلة وغيرها تدور بين إخوانك وهم يراقبون الصورة عن بعد كما ذكرت لكم، والمراقب عن بعد تغيب عنه كثير من التفاصيل، إلا أن المراقب عن بعد له ميزة رؤية الصورة المجملة

ومراقبة الخط عام دون أن يغرق في التفاصيل، التي قد تحوّل الإنتباه عن اتجاه الهدف، وكما يقال في المثل الإنكليزي فإن الواقف بين أوراق الشجرة قد لا يرى الشجرة.

هنا أيضاً الظواهري يحدد للزرقاوي أخطاءه في العراق ويدغدغ كبرياءه بالقول أنك أعلم بالتفاصيل، لكنه يختم الفقرة بالإشارة إلى أنه يرى ما لا يراه الزرقاوي الغارق في التفاصيل فالمشهد الكامل يراه الظواهري.

ويتناول الظواهري أخطاء الزرقاوي عبر عمليات الذبح المصورة بالقول:

من الأشياء التي لن يستسيغها شعور عوام المسلمين الذين يحبونكم ويؤيدونكم - أيضاً - مشاهد ذبح الرهائن، ولا يغرنك ثناء بعض الشباب المتحمس ووصفهم لكم بشيخ الذباحين وما أشبه، فهم لا يعبرون عن الرأي عام المعجب والمؤيد للمقاومة في العراق عموماً ولكم خصوصاً بفضل الله ومنته.

وقد يكون ردكم وهو حق: ولماذا لا نلقي الرعب في قلوب الصليبيين وأعوانهم؟ وأليس هدم القرى والمدن علي رؤوس ساكنيها أشد قسوة من الذبح، وأليست القنابل العنقودية وقنابل السبعة أطنان وقنابل اليورانيوم المنضب أشد بشاعة من الذبح؟ وأليس القتل من التعذيب أشد من الذبح؟ وأليس هتك أعراض الرجال والنساء أشد إيلاماً وأبعد أثراً من الذبح؟

كل هذه الأسئلة وأكثر منها قد تسألها وأنت محق، ولكن هذا

لا يغير من الواقع شيئاً، وهو أن الرأي عام المؤيد لنا لا يتفهم ذلك، وأن هذا الرأي العام واقع تحت حملة شرسة كاذبة مضللة من الإعلام المفتري المخادع، وأننا أغنى الناس عن إثارة تساؤلات حول جدوى أعمالنا في أذهان وقلوب وعقول الرأي عام المتعاطف معنا أصلاً.

وينتقل الظواهري في رسالته إلى الكلام بوضوح عن خلافات العرب الأفغان مع حركة طالبان وينصح الزرقاوي بعدم تكرار أخطاء الطالبان :

لا نريد ان نكرر خطأ طالبان الذين قَصَروا المشاركة في الحكم علي الطلبة وبخاصة أهل قندهار فقط، ولم يكن لديهم أي تمثيل للشعب الأفغاني في نظام حكمهم، فكانت النتيجة أن الشعب الأفغاني إنفصل عنهم، حتى الصالحين فيه اتخذوا موقف المتفرج، ولما جاء الغزو إنهارت الإمارة في أيام، لأن الناس كانوا بين سلبي أو مُعادٍ، حتى الطلبة أنفسهم كان انتماؤهم لأقوامهم ولقراهم أقوى من انتمائهم للإمارة الإسلامية أو لحركة طالبان أو للمسؤولية المنوطة بكل واحد منهم في موقعه، فانسحب كل منهم لقريته ولقبيلته حيث إنتماؤه الأقوى!

والمقارن بين سقوط كابول ومقاومة الفلوجة والرمادي والقائم وأخواتها الباسلات يرى فارقاً واضحاً بفضل الله ومنته، وهو الأمر الذي يجب أن نحرص عليه وندعمه ونقويه.

وتحدث الظواهري عن رفض العراقيين لزعامة الغرباء للجهاد

في بلادهم وهذه النصيحة التي لم يستمع إليها الزرقاوي والتي كلفته حياته فيما بعد في الوقت الذي يظهر فيه مدى حرص الظواهري على إخراج الزرقاوي من دائرة الزعامة بحجة إمكانية رفض العراقيين له:

ولا يتصور أن المجاهدين، فضلاً عن جماعة قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين، سيستأثرون بالحكم دون أهل العراق، ففضلاً عن مخالفة ذلك لمنهج الشورى، فإنه في نظري ليس ممكناً عملياً.

ويقول الظواهري في مكان آخر:

قضية أخرى متعلقة بالعراق أرجو أن توضحها لنا، فأنت بلا شك أدرى بها، وهي هل تولي قيادة من غير العراقيين للمجاهدين أو لفصيل من المجاهدين يمكن أن يثير حساسية لدى البعض؟ وإذا كان ثمة حساسية فما أثرها؟ وما الطريق لإزالتها؟ مع الحفاظ على تماسك العمل الجهادي وعدم تعريضه لأي إهتزازات، نرجو إفادتنا تفصيلاً في هذا الشأن.

غير أن الظواهري لم يلبث أن ناقض الفقرة المذكورة أعلاه عندما أبلغ الزرقاوي عن نيته بالذهاب إلى العراق، وهنا يظهر جلياً أن المسالة الكبرى لدى الظواهري كانت في استقلالية الزرقاوي وأحلامه بزعامة الجهاد في العراق وعبر في العالم:

عندي رغبة أكيدة في السفر إليكم، ولا أدري إمكانية ذلك من حيث السفر والإستقرار، فنرجو أن تفيدوني والله الموفق لكل خير.

وتظهر الرسالة أيضاً أن الظواهري كان في بعض جوانب أموره

المالية يعتمد على الزرقاوي، والمال هو أحد أركان العادة والقيادة داخل هذه التيارات السلفية المحاربة، فالخليجي أدارها وحكمها بالمال طيلة زعامة بن لادن لتنظيم القاعدة وتوابعه، وها هو الظواهري المصاب بالعوز والمحاصر في جبال الأفغان يطلب من أبي مصعب الزرقاوي دعماً مالياً في الرسالة:

أبلغني الإخوة أنكم عرضتم عليهم إرسال بعض الدعم، وأحوالنا بعد أبي الفرج جيدة بفضل الله، ولكن تقطعت عديد من الخطوط، ولذا فقد نحتاج لدفعة لحين فتح خطوط جديدة. فإذا أمكنكم إرسال دفعة قرابة مائة الف نكون لكم من الشاكرين.

لم يتأخر رد الزرقاوي في رسالة تحمل في ظاهرها كل تعابير التوقير والتعظيم لأيمن الظواهري ولكن معناها وفقراتها تظهر تعالي الزرقاوي عن الدخول في الكثير من التفاصيل التي تناولها الظواهري في رسالته، وكانت ردود الزرقاوي مقتضبه في كثير من النقاط.

بدأ الزرقاوي رسالته برفض غير مباشر لطلب الظواهري المجيء إلى العراق، وأبلغه أنه قرر مستقلاً ما يجب فعله في العراق، وحرص في هذه الفقرة على إظهار قيادته للجهاد وعلى الكلام عن إصابات تعرض لها، معطياً نفسه بُعداً إسلامياً عالمياً عندما طلب من الظواهري طمأنة المسلمين في العالم أن الزرقاوي بخير:

(أميرنا الغالي . .نحن على يقين أنكم تتطلعون بلهفة وشغف لمعرفة أخبارنا والإطمئنان على أحوالنا جرياً منكم على سنة أئمتنا

وقادتنا من السلف الصالح فقد كان عمر رضي الله عنه إذا أرسل بِعَثاً يذهب كل يوم إلى أطراف المدينة يستطلع أخبار الجيش ينظر خبرهم كصيحة الحبلى فنؤكد لكم أننا على درب الجهاد سائرون وعلى العهد ماضون.. نسترخص فى ذلك الغالي والنفيس حتى يُظهِر الله دينه ويعلي كلمته أو نَهْلَكَ دونه.. ولقد عزمنا أمرنا وحسمنا خيارنا ورفعنا راية الجهاد وسللنا سيوفنا الحداد وأعلينا لواء الكفاح واتخذنا الأسنّة والرماح مركباً نبحر فيه إلى العز والتمكين إيماناً منا بأن صهيل الخيول وصليل السيوف هو مفتاح النصر وسبيل الظفر ..أظنه قد تناهى إلى أسماعكم الخبر الذي تتناقله وسائل الإعلام وحارت به العقول والأفهام والذي مفاده أنني قد أصبت بجراح بليغة عولجت على إثرها في مستشفى الرمادي.. فأحب أن أطمئنك وأطمئن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بأن هذا كله محض إشاعات لا أساس لها من الصحة وإنما هي جراح خفيفة كما ذكر الإخوة في القسم الإعلامي وإني الآن بحمد لله أتقلب بنعم الله الوافرة بين أخوتي وأهلي في أرض الرافدين.. وأباشر معهم مقارعة الصليبين ومنازلة أعداء الملة).

في الجزء الثاني من الرسالة يرفض الزرقاوي نصائح الظواهري بعدم قتال الشيعة، ويقول له أن خطة الجهاد وضعت وأنه أرسلها له وهي قد تكون وصلته أو في طريقها إليه، يقول هذا حاسماً دون أن يسأل الظواهري رأيه في الخطة، كما ويجدد قراره بضرورة قتال الشيعة مستشهداً بكلام للصحافي توماس فريدمان، هاجم فيها آية الله السيستاني الذي وصفه الزرقاوي في رسالته بـ (إمام الكفر

والزندقة) كما صبّ جام غضبه على الشيعة واتهمهم بالتسبب ببقاء الأميركي في العراق عبر دعمهم له).

إن العدو بتوفيق الله يسير كما رُسِم له وإننا بفضل الله نوشك أن نحكم الخناق عليه وإن سارت الخطة بأمر الله كما أُعدّ لها فإن نتائجها ستظهر لكل ذي عينين بما يُسّر كل مسلم ويسوء كل كافر ومنافق وإني لأحسب أن الخطة المرسومة قد وصلتكم أو في طريقها إليكم فالعدو اليوم يعيش أسوأ أيامه في أرض الرافدين ولولا ما قدمه ويقدمه الروافض أحفاد أبن العلقمي وعلى رأسهم إمام الكفر والزندقة السيستاني لكان حال بني الأصفر غير ما ترى الأمة اليوم وهذا ما نبه عليه توماس فريدمان الكاتب الأميركي في جريدة نيويورك تايمز، حيث قال : (يمكن القول أن السيستاني وفي أوجه عدة لعب لصالح الرئيس بوش نفس الدور الذي لعبه مانديلا وغرباتشوف لصالح بوش الأب حينما كان رئيساً إذ بفضل أفكار وقيادة منديلا تحققت لهم السلطة إلى الأغلبية السوداء في جنوب إفريقيا بطريقة سلمية، وهذا مما ساعد إدارة الأب وحلفاءها على تحقيق العملية بشكل هادئ . . كذلك كان إصرار غرباتشوف على تفكيك الإتحاد السوفييتي وخصوصا ألمانيا الشرقية بطريقة غير عنيفة وهذا مما سهل هبوط الإتحاد السوفييتي هبوطاً ناعماً فوق سطح الأرض ومثلما هو الحال في العلاقات الدولية أو الرياضة فإنه من الأفضل أن تكون محظوظاً على أن تكون جيداً،وأن تكون محظوظاً أن يكون إلى جانبك مثل مانديلا وغرباتشوف والسيستاني بصفتهم شركاء للوصول إلى اتفاق تاريخي عند مفترق تاريخي

فاصل). .يضيف فريدمان قائلاً : (إن الشيء الذي قام به السيستاني والأكثر أهمية هو منحه السياسة العربية تأويلاً شرعياً ((وبرا غماتياً)) للإسلام وستكون عملية الدمقرطة في العالم العربي طويلة وتمر فوق مطبات كثيرة ولكن فرص النجاح تتحسن بشكل هائل حينما يكون لدينا شركاء من داخل المنطقة يتمتعون بالشرعية ولديهم حس تقدمي وهذا ما يتوفر في السيستاني، لقد ظل الحظ رفيقنا ببقاء آية الله الذي يبلغ من العمر 75سنة حياً والذي يقيم في منزله الصغير بزقاق ضيق في النجف. كيف يمكن لرجل بهذا الحس وبهذه الحكمة أن يظهر من وسط حطام العراق الذي سببه صدام وأنا لم أعرف ذلك أبداً ولكن كل ما أستطيع قوله هو أنني آمل أن يعيش حتى سن المائة والعشرين عاماً (120عاماً) وآمل أن يحصل هذا الرجل على جائزة نوبل. .). ولقد راع هؤلاء العبيد الخونة من الرافضة والبشمركة ما رأوا من حال سيدهم ومعبودهم وكونه أضحى مهاناً حسيراً كسيراً فعزموا عزمة العبيد لأستنقاذه وإخراجه من المستنقع الذي غرق فيه وليس أدلّ على ذلك من قول رئيس الأركان الأميركي رتشارد مايرز : (إن الحرب على العراق قد بددت القوة العسكرية الأميركية وإن أي حرب جديدة سوف تستغرق وقتاً أطول وتحتاج إلى مواد أضافية).

في الجزء الثالث من الرسالة المقتضبة يمدح الزرقاوي نفسه ويرجع بكرمه إلى أيام رسول الله مستشهداً بكلام بعض الصحابة، ومن ثم يرمي بوجه الظواهري كلامه النهائي مشيراً إلى أسامة بن لادن بالزعامة وليس للظواهري ومقارناً بين أسامة بن لادن وأسامة

بن زيد، في نص واضح المدلول باستبعاد الزرقاوي زعامة الظواهري واقعاً والتشبث بقيادته والتفرد بقراراتها دون وصاية من أحد.

(وإننا على يقين بأن الله كما هيأ للأمة في محنتها بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم يوم أن ارتدت الأمة بأسرها ولم يبق إلا مكة والمدينة حتى استوحش المسلمون وهاب الصالحون ونجم قرن الكافرين والمنافقين وبدأت باللمعان سيوفهم فهيأ الله لها الجبل الأشم الصِدّيق رضوان الله عليه فجيّش الجيوش لمحاربة المرتدين وأنفذ بعث أسامة لمحاربة بني الأصفر أعداء الملة والدين ذلك البعث الذي خرج في أحلك الظروف وأصعبها فكان أعظم الجيوش بركةً وأيمنها نقيبةً فإن الذي بعث ذلك الجيش في ذلك الظرف العصيب قادر على أن ينفذ هذا البعث . . اللهم أنفذ بعث أسامة، نسأل الله تعالى أن يحفظك ويمد في عمرك ويجعلك شوكة في حلوق أعدائه وأن يختم لك بالشهادة ونحن بانتظار توجيهاتكم وأوامركم . . وأسلم لأخيك الصغير).

خلية غرناطة[1]

في تلك الفترة التي شهد فيها الميدان الجهادي العراقي تغيرات جذرية كانت إسبانيا تشهد محاكمة شبكة غرناطة التي يمكن اعتبارها الجسم الدبلوماسي والسياسي لتنظيم القاعدة حول العالم، وشهدت هذه المحاكمة الكشف عن أسماء وشبكات مرتبطة بقطر وتركيا، وكانت تتحرك بحرية حول العالم من دون أن يزعجها أحد..

كان واضحاً لنا نحن الذين انشأنا اللجان الدولية للدفاع عن المتهمين في هذه المحاكمة أن النفوذ القطري بلغ مبلغاً حاسماً ومقرراً داخل تنظيم القاعدة مع وجود أيمن الظواهري وغياب أسامة بن لادن في متاهات باكستان، لقد كان العنصر السوري الغالب على قيادات القاعدة المحيطة بالظواهري فيما ضعف نفوذ العنصر الخليجي بشكل ملفت.

هذه المجموعات من الناس أتت بعد سنوات إلى سوريا حاملة أسماءها الوهمية التي اعتنقتها في بلاد الغرب وأفغانستان وباكستان

(1) انظر الوثائق آخر الكتاب.

وتركيا والخليج حتى ظن المواطن السوري والعربي أنها أشباح لكثرة الهالة الكبرى من الغموض التي أحاطت بها نفسها وأحاطها بها الإعلام الخليجي والغربي. أسماء صُوِّرت للناس كأنها كائنات خارقة للطبيعة أصبحت هذه الأسماء تدخل الرعب في قلوب الكثيرين، وهذا سببٌ كبير من أسباب التقدم في المعركة الذي حققته هذه الجماعات حيث كانت أسماء قياداتها المجهولي الهوية والصورة تسبقها بالرعب قبل كل معركة. أناس أجادوا فن الخطابة بلغة الوعيد والتهديد وتفننوا بلفظه يهددون بقطع الرؤوس وبقر البطون وينفذون تهديداتهم. كشفت شبكة غرناطة عن الصراع داخل تنظيم القاعدة وعن الدخول القطري التركي إلى صلب هذا التنظيم وفيها تكمن الإجابات الواضحة حول أصل الجماعات التكفيرية المحاربة في سوريا وماهية إرتباطها بقطر وتركيا. كان المشهد أمام أعيننا ورأينا بعد سنوات تكرار ذكر غالبية الأسماء التي كانت في خلية غرناطة وأصبحت من الأسماء القيادية المحاربة في العراق مع بداية الغزو الأميركي تحت راية الزرقاوي ودولة الإسلام، ومن ثمَّ في سوريا تحت راية النصرة وأحرار الشام ودولة الإسلام (داعش).

وتظهر في التحقيقات شخصية أبو خالد السوري (محمد بهايا) والذي قتل على يد مقاتلي داعش رفقاء الأمس في السلاح والعقيدة في عملية في شمال حلب، وكشفت عن شخصية أبو مصعب السوري (مصطفى ست مريم) والشخصيتان من قادة السلفية المحاربة في سوريا وكانا من ضمن شبكة غرناطة الاسبانية. وأريد

أن أشير هنا أني كنت من المدافعين عن سجناء خلية غرناطة، وكنت في لجنة الدفاع الدولية والدعم لهم، وحضرت محاكماتهم في إسبانيا ضمن لجنة الدفاع وساهمتُ في فعاليات في فرنسا وأوروبا لدعمهم، وكنت منذ تلك الأيام على اطلاع قريب على ملفات هذه الشخصيات التي ظهرت في سوريا، ورغم قناعتي يومها أنهم ليسوا براءً من كل التهم التي وجهت اليهم، غير أن الهجمة الأميركية الوحشية والرعناء ضد أمتنا العربية والإسلامية دفعتني مثلما دفعت الكثيرين إلى محاولة الوقوف بوجه هذا التعسف الأميركي. لست نادماً على ما عملت، فالخطر الأميركي هو الأساس وهو الذي جعل من هذه الفئة تغلو في وحشيتها في بلادنا، بسبب الحماية الغربية التي ظللتها كما تظهر التحقيقات المليئة بالأدلة والقرائن على وجود هذه الفئة في بلاد الغرب وتحركها في بلدانه بحرية كاملة.

والأمر الأكيد لدي بعد تجربتي الطويلة معهم هو عندما تتراجع أميركا ينتهي هؤلاء ويصبحون من الماضي السيئ.

- **محمد بهايا: أبو خالد السوري**

يقول تقرير المخابرات الإسبانية في الصفحة الأولى بتاريخ 18/ 11/ 2001 صدر قرار بالسجن ضد بعض الأشخاص اعتماداً على ما يلي: (بدء تشكيل جماعة إسلامية غالبية عناصرها من ذوي الفكر الإسلامي المتطرف. ويضيف في مكان آخر (تزعّمَ التحالفَ الإسلامي شخص فلسطيني إسمه صلاح، غادر إسبانيا إلى باكستان

وترأس بعده (عماد الدين بركات جركس ـ أبو الدحداح) سوري الجنسية، الذي كان يؤمِّن تجنيد المجاهدين من إسبانيا وإرسالهم إلى الشيخ صلاح الذي أوكل بتجنيد المجاهدين حول العالم وكان على تواصل مع أسامة بن لادن).

ويصف التقرير الأمني الإسباني محمد بهايا أنه بريد لتنظيم القاعدة بين أفغانستان وأوروبا، وهنا تبدو كلمة أوروبا شاملة لكل الدول الأوروبية وليست فقط لإسبانيا البلد الذي جرت فيه محاكمة هذه الشبكة، وهذا التقرير يؤيده كلام كان متداولاً في أوساط الناشطين الذين تابعوا قضية هذه الخلية. ومختصر هذا الكلام أن بعض أفراد هذه الخلية كانوا ينعمون بتسهيلات من أجهزة مخابرات ودول، وكانوا يستعملون جوازات سفر متعددة في تنقلاتهم، ومنها جوازات سفر قطرية، وهذا أيضاً ما يفسر تحركات محمد بهايا المرتاحة بين إسبانيا وتركيا وأفغانستان وبريطانيا ومن بعدها باكستان والعراق.

ويعود التقرير الإسباني ليذكر تركيا على أنها مركزاً لمحمد بهايا الذي غادرها إلى أفغانستان بعد أن إنكشف أمره للسلطات هناك، غير أن التقرير يستكمل الجملة نفسها بالقول إن لبهايا ممثلاً في تركيا، إسمه فواز وينادى (ابو الفوز) ويبدو أنه على إتصال دائم بمحمد بهايا.

وأظهر تقرير المدعي عام الإسباني المستند إلى معلومات المخابرات الإسبانية حركة سفرٍ مهمة يقوم بها محمد بهايا بكل

حرية وأريحية عبر قارات الأرض طولاً وعرضاً، وهذا أيضا يطرح تساؤلات كثيرة حول أجهزة المخابرات العالمية التي كانت تغطي هذه الشبكات. ويقول تقرير المدعي عام الإسباني عن حركة سفر أبو خالد السوري: (محمد بهايا هو صهر محمد غالب كلجه زويدي الممول لخلية القاعدة والمعتقل في إسبانيا ـ بهايا هو الذي رافق ست مريم نصار إلى شخص بن لادن نفسه إلى أفغانستان حيث قاد معسكر المجاهدين لتنظيم القاعدة وكان يساعد بذلك أبو خالد وكلاهما واصلا الإتصال مع تيسير علوني).

في التقرير نفسه تتضح رؤية أوسع للدور الذي كان يقوم به السوريون أو الذي أُنيط بهم ضمن تنظيم القاعدة، ويظهر هنا دور ساعي البريد الدولي والمحرك الخارجي للتنظيم في العالم عبر شبكة من الرجال في الغرب وتركيا والخليج، وعبر شبكة دولية تحميهم وترعاهم بإنتظار الفرصة التي أتت مع الأحداث في سوريا، وليس من المستغرب أن الدول التي تشكل منذ ثلاث سنوات رأس الحربة في الهجوم على سوريا هي الدول ذاتها التي رعت هذه الشبكة السورية وأمّنت لها حرية التحرك حول العالم. يقول التقرير: (كان يتردد بهايا كثيراً إلى إسبانيا والمملكة المتحدة حيث كان على إتصال مع أبي قتادة ومع أبو الدحداح ومحمود غالب كلجه وغصوب الأبرش غليون ومع تيسير علوني ومحمد خير سقا ومحمد صبحي بلطي زعيم النهضة في تونس) ومن يتفحص هذه الاسماء سوف يكتشف أن غالبيتها من السوريين.

ويصف التقرير محمد بهايا (رجل البنية التحتية لبن لادن في

أوروبا) وهذا أيضاً من الأدوار التي أوكلت للسوريين ضمن خلايا القاعدة، خصوصاً أن لهؤلاء تجربة بناء بُنى تحتية متشعبة بسبب إنتمائهم جميعاً إلى تنظيم الإخوان المسلمين وتجربتهم في حماه ومدن سورية أخرى خلال سبعينات وثمانينات القرن الماضي واستفادتهم من غطاء تركيا والسعودية والغرب المعادي لسوريا تاريخياً، وقطر التي ظهر عداؤها لسوريا متأخراً بسبب الدور الذي أنيط بها والذي ظهر للعلن مع بداية الأحداث العربية.

ويظهر هنا أن الجهات التي أدارت وموّلت تنظيم القاعدة والتنظيمات التكفيرية المحاربة في أفغانستان اعتمدت كثيراً على سوريين، وكان هؤلاء يعملون ضمن خلايا غالبيتها منهم كونهم لا يثقون كثيرا بالآخرين، ويعتبرون من الصف الدبلوماسي والتنفيذي في القاعدة إستناداً إلى محضر التحقيقات مع أبي الدحداح زعيم خلية غرناطة، وفي كلامنا عن مصطفى ست مريم (أبو مصعب السوري) الذي يُقدَّم أنه القائد الروحي لجبهة النصرة في سوريا.

لم يكن أفراد هذه الشبكة من الناس فوق المعتاد، بل على العكس من ذلك، أغلبهم أناس عاديون على المستويات كافة، وقياداتهم الكبرى كانت تسعى جهدها للحصول على إقامة أوروبية فرنسية هنا وإسبانية هناك وبريطانية في مكان آخر. وكانت محاكمة هذه الخلية مشهداً مخجلاً لحالة الخوف واليأس التي طبعت كلّ من تم إعتقاله منهم، فلا أبو الدحداح كان بطلاً ومجاهداً أثناء اعتقاله، ولا تيسير علوني ظهر بمظهر الذي يواجه ويصمد إنطلاقاً من عقيدة، خصوصاً أن مراحل التحقيق لم تشهد تعذيباً جسدياً

يذكر، ورغم ذلك كانت حالته المعنوية والنفسية في انهيار كامل، وانشغلت لجنة الدفاع عن علوني بإثبات أنه مريض بالقلب ولا يتحمل السجن وأن حالته النفسية صعبة، وكل هذا، وللأمانة، كان يجري تضخيمه من قبل لجنة الدفاع والمحامين والحملة الدولية الداعمة، وكان منبر الجزيرة أفضل سلاح تشهيري في هذه القضية.

في الإدعاء عام الإسباني وفي تقرير المخابرات تفصيل لشبكة التواصل الدولي التي تمتعت بها هذه الشبكة العنكبوتية عبر العالم؛ وهنا أيضاً يطرح السؤال الكبير عن الغطاء العالمي الغربي والخليجي الذي كانت تتمتع به شبكات القاعدة والسلفية المحاربة. ويشير التقرير إلى الدول التي كان لأبي الدحداح سفراء فيها وشبكات وعملاء يتعاونون معه إنطلاقاً منها.

وهذه الدول حسب تقرير المخابرات الإسبانية:

1 ـ في المملكة المتحدة مع أبي قتادة الذي يذكرنا نحن اللبنانيين بالشيخ عمر بكري.

2 ـ في بلجيكا: مع طارق معروفي، وهو بلجيكي من أصل تونسي ويعتبر مسؤولاً كبيراً لابن لادن في أوروبا، وهنا أيضاً يطرح السؤال الكبير عن أصل الشبكات التونسية التي ذهبت لتقاتل في سوريا وعلاقتها بالنهضة كما يشير التحقيق الإسباني في مكان آخر.

3 ـ في ألمانيا: مع مأمون دركزلّي (أبو الياس) وهذا كان على

علاقة مع ثلاثة من منفذي عملية 11 أيلول (سعيد بهاجي، رمزي بن الشيبه، ومحمد عطا).

4 - في الدانمارك: مع سعيد منصور، وهذا موجود في سوريا حالياً.

5 - في تركيا، مع محمد بهايا (أبو خالد السوري).

6 - في أفغانستان: مع مصطفى ست مريم (أبو مصعب السوري).

7 - في الأردن: مع رياض عقلة (ابو نبيل) وهو سوري من زعماء الطليعة المقاتلة لجماعة الإخوان المسلمين وهي التي ينتمي اليها أبو الدحداح. وهنا أيضاً إشارة واضحة إلى علاقة الجماعة بالتنظيمات التكفيرية حول العالم، ومن ضمنها جبهة النصرة في سوريا.

8 - في اندونيسيا: مع شخص يدعى بارليندونغان سيريغار.

ويشير تقرير المخابرات الإسبانية إلى الدور المفصلي لقطر وتالياً لجماعة الإخوان المسلمين في إنشاء وتثبيت البنى التحتية للقاعدة وللجماعات التكفيرية المحاربة حالياً في سوريا (أحد أعضاء الخلية هو تيسير علوني المولود في دير الزور بسوريا ويحمل الجنسية الإسبانية). ويقول أيضاً (ومن أبرز عناصرها الذين شاركوا في بنائها على الصعيدين المحلي والدولي كان تيسير علوني الذي على هامش عمله الصحفي ومستغلا مهنته، قام بأعمال دعم

وتمويل رقابة وتنسيق وهي ميزات عنصر مميز في هذا التنظيم الإجرامي).

هذه العلاقة العضوية للتنظيمات التكفيرية المحاربة مع جماعة الإخوان المسلمين جعلت من الإخوان المسلمين، بدعم تركي استراتيجي وعقائدي ودعم مالي قطري، القوَة الخفية الحقيقية التي تقف وراء جبهة النصرة ومن بعدها أحرار الشام والجبهة الإسلامية، وكل هذه المسميات الإعلامية التي تظهر وتختفي تباعاً في سوريا ويظهرها تقرير المدعي عام الإسباني جلياً في فقرة وردت عن مصطفى ست مريم (أبو مصعب السوري) الذي ظهر في صورة مشتركة مع (عبد القادر الصالح) وهو مؤسس لواء التوحيد التابع لجماعة الإخوان المسلمين ومع محمد بهايا[1].

ويقول التقرير الإسباني في هذا الصدد: (علاقة ست مريم بتنظيم القاعدة ثابتة وكذلك علاقته بتيسير علوني حيث تعود إلى إقامة ست مريم في غرناطة وكان ينتمي إلى تنظيم الإخوان المسلمين الذي ينتمي إليه علوني وكذلك علاقة ست مريم مع محمد بهايا حتى تاريخ توجهه إلى أفغانستان).

وتبرز العلاقة المبكرة بين تنظيم الإخوان المسلمين السوري وتنظيم القاعدة حيث تعود إلى ثمانينات القرن الماضي حسب التقرير (العلاقة بين بن لادن وست مريم تعود إلى عام 1988 حيث

(1) انظر الوثائق.

تحول ست مريم إلى أمير للمجموعة السورية المشاركة في القاعدة وعضو مجلس الشورى وما زال عضواً في القاعدة وكان كل أتباعه، تيسير علوني وأبو الدحداح يعملون بمشاركة الجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر).

نعود إلى الحلقة الأساس في كل هذه المسميات التكفيرية المحاربة، إلى جماعة الإخوان المسلمين وتحديداً السورية، والتقرير يكرر في سرد الوقائع العلاقة بين جماعة الإخوان السورية وبين القاعدة (حسين حسين أبو علي هو من مجموعة شباب غرناطة من الإخوان المسلمين كما هو حال تيسير علوني ومن خلية أبو الدحداح أرسل نقوداً إلى عضو القاعدة سدر وليد عوض المعروف صادق بورمان الذي هو على علاقة مع دركزلّي ومع الممول كلجو ومع الأخوين أحمد ومحمد الكيلاني كلهم مع تيسير وأبو الدحداح.

علاقة جماعة الإخوان المسلمين السورية بكل هذه التنظيمات يوردها أيضا تقرير للمعهد الاسكندينافي قدم للأمم المتحدة، وهذا التقرير كتب للأمم المتحدة ضمن تقارير عدة عن الجماعات السورية المسلحة طلبتها الأمم المتحدة من أربعة مراكز أبحاث أميركية ومن مركز أبحاث أوروبي (تواصل قدامى المعتقلين في العراق وفي سوريا مع تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وتوجه عدد كبير من أنصارهم من العراق ولبنان والأردن للديار الشامية، وقد وجد الإسلام السياسي السوري بكتلته الإخوانية وبعض أساتذة كلية

الشريعة المنشقين في ذلك فرصة لتقوية نفوذهم الضعيف فرحبوا بهذه الهجرة ولعبوا دور الغطاء المسؤول عن الشحن والتعبئة التي تكفل بها الإعلام السعودي ـ القطري، وقد لعب عدد من أوساط الإخوان دوراً في عملية التدخل غير السوري في الجيش الحر، فقد أكدت قوائم القتلى وجود أعضاء من حركة الإخوان المسلمين المصرية في سورية، ولم تتخذ الحكومة التونسية قراراً بمنع سفر المقاتلين لسورية حتى تسلم وزارة الداخلية وزير مستقل في حكومة العريض. وقد كان لعناصر من الإخوان نشطوا في إعلام حماس دوراً في مشاركة عدد من الحماسيين في القتال الدائر في سورية).

ويقول تقرير المعهد الأسكندينافي في مكان آخر متحدثاً عن الدور الإخواني في التحريض وفي إيجاد هذا الجماعات (والذي بلغ قمته في مؤتمر القاهرة لعلماء المسلمين في 13/ 6/ 2013 الذي جمع الإخوان والسلفية في الشعارات نفسها بحضور الرئيس الإخواني محمد مرسي).

ونعود إلى إتهامات المدعي عام الإسباني في المحضر: (عندما انتقل بن لادن إلى السودان عام 1991 مكث ست مريم في أفغانستان حتى عاد بن لادن والقاعدة إلى أفغانستان عام 1996 وكان ست مريم مدرباً في معسكرات إرهابية).

بعد عودة بن لادن إلى أفغانستان عاد ست مريم للتجوال حول العالم، وهنا نعود إلى أجواء لجان الدفاع ومتابعة التحقيق التي كانت تتحدث عن جوازات السفر القطرية الصحيحة بإشراف أميركي

التي كان يتنقل بها هؤلاء بأسماء مستعارة وفي كثير من الأحيان بتأشيرات دخول جانبية. وما يثير التساؤل الكبير هو احتفاظ ست مريم بإقامته الإسبانية رغم غيابه سنوات في أفغانستان مدرباً في معسكرات تنظيم القاعدة. يقول تقرير المخابرات الإسبانية (إنتقل ست مريم إعتباراً من عام 1995 إلى إسبانيا والمملكة المتحدة ودعم الجماعة الإسلامية المسلّحة في الجزائر وترأس صحيفة الأنصار للجماعة السلفية للدعوة والقتال، وفي عام 1998 عاد إلى أفغانستان حيث كان يستقبل المجاهدين الأوروبيين المتحولين من فرنسا وإيطاليا وإسبانيا، حيث بعد عودتهم من أفغانستان إلى بلدانهم كانوا كخلايا نائمة بانتظار أوامر التنظيم، وحتى عام 2001 استمر بالعمل للقاعدة وفي معسكر للتدريب في أفغانستان).

هذا الكلام الذي يشير إلى بلدان أخرى مثل إيطاليا وفرنسا، حيث تشكل الأخيرة راس حربة عالمية في قيادة الحرب السورية، فالأوروبيون العائدون إلى بلدانهم كانوا يمرون عبر المطارات ويعودون إلى بيوتهم ويقومون بأعمال ويترددون إلى مساجد تحت المراقبة المستمرة والدقيقة من أجهزة المخابرات التي لم تكن لتسمح لهم بهذه الحركة لولا إرتباطهم الوثيق بها والمصلحة المشتركة بين الطرفين التي بدأت في أفغانستان بحرب السوفيات ونراها الآن في سوريا كما رأيناها في ليبيا والجزائر من قبل.

تنقسم الجماعات التكفيرية السورية المحاربة إلى ثلاثة أقسم أو مصادر:

1 ـ جماعات أتت مباشرة من أفغانستان والعراق وهذه الجماعات مرتبطة مباشرة بملف شبكة غرناطة وكانت تشكل ذات الجسم الحركي والتنظيمي، فضلاً عن كونها مرتبطة بالداخل السوري بشكل مباشر وعلى علاقة مع تركيا وقطر والسعودية والمخابرات الغربية والعربية بفعل التحالفات السابقة التي ذكرنا.

2 ـ الجماعات التي أتت من القتال في الشيشان ومن البوسنة وهذه الجماعات يطلق عليها جماعات كوسوفو أو ألبانيا، وهم يعدون مئات الأشخاص الذين بقوا في البوسنة بعد إنتهاء الحرب وتزوجوا بوسنيات، غير أن الولايات المتحدة فرضت على الحكومة البوسنية سحب جنسياتهم وأجريت لهم محاكمة ووضع قانون خاص بهم، ما أجبر المئات منهم على مغادرة البوسنة فيما بقي مئات آخرون في الارياف البوسنية وتغاضت عنهم الحكومة هناك بسبب زواجهم من بوسنيات ولكنها سحبت جنسياتهم البوسنية.

3 ـ جماعة كانت في الداخل السوري وطفت على السطح عند إندلاع الحرب في سوريا.

شكلت المجموعة الأولى الواجهة الإعلامية والعسكرية الميدانية للتيار التكفيري المحارب، مع وجود نزعة سورية في مواجهة النزعة الخليجية للتنظيم التكفيري العالمي، وهذه النزعة السورية في مواجهة الخليجيين عززتها عوامل كثيرة أهمها الجوار

التركي للشمال السوري حامل راية جماعة الإخوان المسلمين في صراعها المستمر مع الوهابية السلفية لسورية.

شكل السوريون في تنظيم القاعدة بنية ثابتة وقوية بقيت خارج الإعلام والأضواء لمصلحة بن لادن بداية ومن ثم الظواهري من بعده، وكان لطريقة العمل المنظمة والسرية التي يتقنها السوريون دور كبير في هذا اللعب والعمل من وراء الكواليس، وكان هذا الدور مقبولاً من قيادات الظل الخليجية تحديداً ومن خلفها دوائر المخابرات الخليجية والغربية، طالما أن العمل الحربي التكفيري ساحاته أفغانستان والعراق، بينما كانت سوريا أرض مَمرّ وليس أرض مقرّ وقتال كما هو الحال منذ أربع سنوات.

كان وجود بن لادن زعيماً للقاعدة، وتالياً للتيارات السلفية التكفيرية المحاربة حول العالم، دور المطمئن للقيادات السلفية الخليجية المذكورة وأجهزة المخابرات من ورائها، طالما أن هذه الحركة وهؤلاء المقاتلين الذين أُخِذوا بإسم الدعوة للجهاد في أفغانستان والعراق وليس في فلسطين، سوف يبقون تحت السيطرة العقائدية والمالية والمعنوية لمشايخ الفتاوى وأمراء المال الخليجي.

ويمكن القول أن وجود الظواهري على رأس القاعدة بعد بن لادن لم يزعج هذه القيادات كثيراً خصوصاً أنها تعتبر من الحق ومن حيث المبدأ أن الخلافة الإسلامية هي حق ومكتسب للخليجيين دون غيرهم، وعند موت الظواهري سوف ينتهي دور الزعامة المصرية في القاعدة وملحقاتها.

في هذه النقطة يقول تقرير المعهد الإسكنديناڤي (منذ إنطلاقتها كانت السلفية الجهادية في بحبوحة مالية وعسكرية، فقد عهدت لها الإدارة الأميركية بصواريخ لم تكن قد أعطتها إلا للكيان الاسرائيلي، وانهمرت عليها عطايا رجال الأعمال السلفيين والمنظمات الإسلامية الخيرية والحكومات الخليجية النفطية بشكل يجعل منها هيكلاً له حسابات مصرفية هائلة يغطيها بصور التقشف والورع. ووجدت في الثري اليمني من أصل سعودي (أسامة بن لادن) ابن رجل الاعمال الثري الذي يترك المال والأهل والجاه يجاهد في سبيل الله).

غير أن الحرب السورية أتت بسرعة وقوة لتعيد خلط الأوراق ضمن هذه الجماعات، وطفت على السطح ملامح الصراع السوري الخليجي، بينما زاد الصراع القطري السعودي التركي (السلفي ـ الإخواني) إسْتِعار نار الصراع هذه بين الأطراف المذكورة مع دخول أجهزة المخابرات العالمية كافة التي ارتبطت بها الخلايا السورية والخليجية منذ حرب أفغانستان. وهنا نعود إلى تقرير المعهد الإسكنديناڤي الذي يتناول هذا الموضوع بوضوح (لم تكن المخابرات الأوروبية والأميركية والخليجية بعيدة عن كل هذه التجاذبات والتحالفات والصراعات، وقد توافقت جميعها على مبدأ إسقاط النظام السوري أولاً؛ فقد أشرفت المخابرات التركية مباشرة على مكتب رياض الأسعد وكلف الضابط التركي توفيق لهذا الغرض، وقد تم عقد إجتماع بين المخابرات المركزية الأميركية والجيش الحر في ديسمبر/ أيلول عام 2011 في ألمانيا. وبعدها

سهلت علية نقل المقاتلين الأجانب من مطار إسطنبول وكانت بادىء الأمر تحتفظ بوثائقهم وتعطيهم وثائق سورية مزورة).

هذا التدخل التركي الأميركي جرى بموازاته تدخل خليجي عبر قيادات الظل الحقيقية للقاعدة التي إضطرت للخروج العلني في الحرب السورية بسبب عجز أجهزة المخابرات الخليجية وعدم قدرة حكومات الخليج على مخالفة الأميركي والغربي، فتحملت قيادات الظل مسؤولية التدخل للحفاظ على سيطرتها على الجهاد السلفي العالمي، وفي هذا يقول تقرير المعهد الإسكندينافي (لم تكن الأيادي الخليجية بعيدة، فقد توجه محمد بن عبدالله الهيدان وعبد الرحمن بن رشيد الوهيبي ومحمد العريفي وعبدالله بن حمود التويجري وحسان العتيبي ووليد الطبطبائي وعبد الرحمن النعيمي محملين بمبالغ مالية كبيرة من أجل تسليح المحتجين السلميين في سورية ثم في المشاركة في تجارة السلاح، وقد جرى التواصل منذ بداية حصار بابا عمرو عن طريق أبو أحمد من لواء الفاروق لتنظيم عملية المد بالمال وتوفير السلاح عبر الغطاء السياسي للقاعدة في طرابلس).

■ أبو الدحداح في محاضر التحقيق

وتُظهِر محاضر التحقيق الإسبانية لمعتقلي شبكة غرناطة قاضي المحكمة الإسباني يسأل أبا الدحداح كما هو مسجل في محاضر المحكمة (هل معظم الأصدقاء من سوريا؟ يجيب أبو الدحداح: نعم وبغض النظر عن المدينة التي جاؤوا منها فكلنا سوريون في

الخارج ونحن نتعاون ونتعاضد مع بعضنا البعض تطبيقاً لما قاله النبي).

هنا أيضاً يبرز الطابع القُطْري والإقليمي في تركيبة التيارات التكفيرية المحاربة رغم أنهم يجهدون لتغليف كل شيء بغلاف الدين، حتى النعرات القُطْرية والخلافات الشخصية وجدت لها غلافاً دينياً في عقيدة السلفية المحاربة، التي استفحل الصراع فيما بينها إلى حد التكفير الديني، معتمدة على التعابير البسيطة في التخوين والردة، كما اعتمدت تاريخياً على التعابير المشابهة والبالغة البساطة في تكفير الغير (نُصَيْري، رافِضي، كافر، شيوعي، الخ).

ويورد تقرير المعهد الاسكنديناڤي المقدم للأمم المتحدة في هذا الشأن (ها هو أبو عباس الشامي أحد قياديي الجماعات السورية المسلحة يكتب على حسابه في تويتر بتاريخ 22 تموز 2013 (ما أدري ما الذي يجعل قلبي مرتاباً من تحرير سجون العراق) فردت عليه المواقع المقربة من داعش يومها: من المفروض من أبو العباس أن يحمد الله على قهر الروافض وإخراج الأسرى ولكن ماذا نفعل في من هو شديد التعصب لحزبه بل بلغ الغلوّ في ذلك.)

هذا التكفير وجد في الصراع المسلح متنفساً له ومكاناً لتصفية الحسابات بين الطرفين (الدولي الخليجي) والسوري مع الإشارة إلى أن التركيبة القُطْرية والإثنية لداعش يغلب عليها الطابع الشيشاني والتونسي والخليجي والأوروبي في أرض الميدان، رغم أن قياداتها عراقية، وهذا الوجود الشيشاني هو بالأساس تركيبة معقدة من أصابع المخابرات الدولية بدأت من المخابرات المركزية الأميركية

وصولاً إلى المخابرات الروسية، التي لها علاقات واسعة وارتباطات مع جماعة الجهاد الشيشاني منذ تولي بوتين رئاسة الوزراء أواخر عهد بوريس يلتسين والكشف عن دور المخابرات الروسية يومها في دفع (خطاب) القائد السعودي في الجهاد الشيشاني للهجوم على داغستان، ما ساهم في رفع نسبة شعبية فلاديمير بوتين من 2 بالمائة إلى 34 بالمائة بعد هذه الهجوم.

هذا النفوذ الإستخباري المتعدد في صفوف الجماعات التكفيرية المحاربة وارتباطها التمويلي واللوجيستي بأكثر من طرف، يميط اللثام عن عمليات الإغتيال التي تطال جماعة الجهاد السوري تحديداً الذين فقدوا حوالى 60 قائداً ميدانياً خلال سنة في عمليات إغتيال دقيقة وناجحة، تدل على وقوف أجهزة محترفة وراء هذا الإغتيال المنظم والممنهج الذي تقوم به أجهزة إستخبارات عبر تنظيم داعش، وهنا يبدو تكذيب داعش لعملية إغتيال محمد بهايا (أبو خالد السوري) نوعاً من التحايل السياسي والنفاق، خصوصاً أن بيان داعش الذي اعتمد رسميا كان ملتبساً؛ فهو من ناحية نفى إعطاء أوامر بقتل بهايا، ومن ناحية ثانية أشار إلى إحتمال أن يكون بعض المشايخ والجنود من داعش نفذوا العملية من دون الرجوع إلى البغدادي متوعداً بالتحقيق بالأمر ومحاسبتهم. وهنا أيضاً يمكن أن يكون أكثر من جهاز إستخباري أمر بإغتيال محمد بهايا ومجموعة القيادات التكفيرية السورية المحاربة عبر مشايخ وجنود يعملون لصالحه ضمن فوضى السلاح التكفيري غير المنظم الذي يعيش على تمويل دولي لا يمكن له الإستمرار من دونه.

مراحل تاسيس داعش

من كان جديراً بالسير خلف موسيقى
عسكرية لا يحتاج للعقل، يكفيه نخاع
شوكي..

ألبرت أينشتاين

اختفى الحرس الجمهوري العراقي[1] وأجهزة الأمن العراقية في نظام صدام حسين أثناء الغزو الأميركي للعراق وانتقلت إلى العمل بسرية تامة تحت غطاء جماعة التوحيد والجهاد في بلاد الرافدين منذ 17/ 10/ 2004 تاريخ إعلان جماعة **التوحيد والجهاد** في بلاد الرافدين بقيادة أبو مصعب الزرقاوي بيعتها لأسامة بن لادن، حتى تأسيس مجلس شورى المجاهدين برئاسة عبد الله رشيد البغدادي بتاريخ 15/ 01/ 2006 الذي ضم تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين بالإضافة إلى الفصائل التالية :

(1) قيل حينها أنهم عادوا إلى بيوتهم.

جيش الطائفة المنصورة ـ سرايا أنصار التوحيد ـ سرايا الجهاد الإسلامي ـ سرايا الغرباء ـ كتائب الأهوال ـ جيش أهل السنة والجماعة ـ كتائب المرابطين ـ كتائب الأنبار. وغالبية هذه التشكيلات ما هي إلا تسميات وعناوين لجسم عسكري واحد هو الحرس الجمهوري العراقي، أجهزة المخابرات العراقية السابقة التابعة لصدام حسين، وهذا المجلس كان عبارة عن مجلس تنسيقي ينبثق عنه بيانات عسكرية وسياسية وشرعية موحدة مع احتفاظ كل فصيل بهيكليته التنظيمية. وكان هذا المجلس الوسيلة التي عَبْرها ينظم ضباط النظام العراقي السابق العمل العسكري في العراق.

قتل أبو مصعب الزرقاوي يوم 7حزيران عام 2006 وبعد خمسة أيام من مقتله تأسس حلف المطيبين بتاريخ 12/ 06/ 2006 وضم كلاً من مجلس شورى المجاهدين بفصائله كافة ـ جند الصحابة ـ جيش الفاتحين ـ كتائب أنصار التوحيد والسنة ـ عدد من شيوخ العشائر الجهادية في بلاد الرافدين، و استولت على التنظيم بعد مقتل الزرقاوي. وبعدها في مدينة الرمادي العراقية وبتاريخ 15 ـ 01 ـ 2007 تم حل جميع التشكيلات المكونة لمجلس شورى المجاهدين بما فيها تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين وإعلان دولة العراق الإسلامية تحت قيادة أبو عمر البغدادي وتسلّمت الجهاد العالمي بقبعته الجديدة (تنظيم دولة الإسلام).

شكل المجتمعون مجلس قيادة للدولة أطلقوا عليه مجلس الشورى وتولى إمارة المؤمنين فيها رجل أطلق عليه لقب (أبو عمر

البغدادي) واسمه الحقيقي **حامد داود محمد خليل الزاوي**. **امير تنظيم «دولة العراق الإسلامية» من 21 رمضان 2006**، إلى 2010. كان يعمل في سلك الأمن ثم تركه بعدما اعتنق الفكر السلفي حوالى عام 1985م وكان من أبرز منظريه. طورد من قبل **نظام صدام حسين**. كان أميراً لجيش الطائفة المنصورة ثم بايع **تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين** الذي شكل فيما بعد مع جماعات أخرى **مجلس شورى المجاهدين**، تم اختياره أميراً **لمجلس شورى المجاهدين في العراق** خلفاً **لأبو مصعب الزرقاوي** تحت اسم أبو عبد الله الراشد البغدادي، ثم أميراً **لدولة العراق الإسلامية**[1].

لقد كانت عملية حل الجيش العراقي من قبل الحاكم الأميركي للعراق (بول بريمر) السبب الأساس في توجه الكثير من ضباط وجنود الجيش المنحل إلى الطرف الأكثر شراسة والأقدر على الحصول على الإنتقام لهم، فبعدما كان هؤلاء مقدمين في المجتمع وعلى صدر كل واحد منهم عشرات النياشين بفعل حروب صدام حسين، وجدوا أنفسهم مطرودين لا يملكون ما يسدون به رمقهم فانقلبوا ضد الحكم الجديد مع أكثر الفصائل تطرفاً وإجراماً.

وقد شكل مؤسِّسو الدولة الرسلامية مجلساً عسكرياً من ثلاثة ضباط ورئيس أركان يلقب العقيد حجي بكر، وكان حجي بكر ضابطاً سابقاً في الجيش العراقي وكان الوصي المقرب على

---

(1) تغريدات على تويتر نشرها الجولاني باسم مستعار تحت عنوان: أسرار دولة البغدادي.

البغدادي والمجلس المقرب المحيط به من قبل الحرس الجمهوري والمخابرات التابعة لنظام صدام حسين، ويعتبر صلة الوصل بين الخليفة والعسكر العراقي السابق الموجود في الميدان، وكان دور العقيد ركن حجي بكر تزويد القيادة بمعلومات عسكرية وخطط وربطهم عبر وسائل الإتصال بقيادات عسكرية سابقة تابعة للحرس الجمهوري، وقد ازداد نفوذه بعد مقتل أبو عمر البغدادي فأصبح الرجل القوي والآمر الخفيّ على التنظيم حتى مقتله في سوريا بداية عام 2014.

حتى وفاة أبو عمر البغدادي كان أبو بكر البغدادي عضو في تنظيم دولة العراق خارج أسوار قيادة التنظيم وكان يقيم في مدينة الفلوجه معقل القيادات العسكرية، وبقي عضواً عادياً في القيادة حتى مقتل أبي عمر البغدادي ومعه قيادات كبيرة في تنظيم الدولة بقصف أميركي، ونجا حجي بكر، وبقي القائد الوحيد في التنظيم.

كان أبو مصعب الزرقاوي يفكر بالإلتحاق بتنظيم القاعدة بعدما شعر أن قيادات الجهاد العراقية تحاصره مالياً وأمنياً فاضطر إلى البيعة السريعة لتنظيم القاعدة وبذلك أدخل في صفوف **التوحيد والجهاد** بضع مئات من المقاتلين التابعين للقاعدة، وفي تلك الفترة كان التنظيم الحديدي للتوحيد والجهاد قد جعلها صعبة الإختراق على أجهزة المخابرات، وهذا السور الحديدي الذي حصّن به الزرقاوي جماعة التوحيد والجهاد كان أحد الأسباب التي أدت إلى

تشكيل **دولة الاسلام في العراق** وقتل الزرقاوي، لضم جماعة التوحيد والجهاد بدل مواجهتها، في تطبيق للإستراتيجية الأميركية (تحوير مسار النار) بدل مواجهتها.

بعد مقتل الزرقاوي وتولي أبو حمزة المهاجر إمارة تنظيم التوحيد والجهاد سقط السور الحديدي بفعل إقتراب المهاجر من أبي عمر البغدادي وتنظيم دولة الإسلام في العراق، وسقط الحصن الأمني مقابل سعي المهاجر للحصول على القوة والعدد الكافي والمال عبر الإقتراب من البغدادي، وما لبث هذا التقارب أن تحول إلى بيعة من أمير تنظيم التوحيد الجديد للبغدادي ودولته بعدما كان الزرقاوي يرفض البيعة.

شكلت بيعة المهاجر للبغدادي صدمة في صفوف قادة تنظيم التوحيد والجهاد خصوصاً أن انضمام مقاتلي التنظيم إلى تحت عباءة هذه البيعة يعني نهايته العملية ونهاية رحلة الجهاد العالمي الذي قاده التنظيم في العراق لصالح الجهاد العراقي الذي يدور في فلك قوات الحرس الجمهوري وضباط من مخابرات النظام السابق لها أجندتها المغايرة تماماً للأجانب الآتين من معسكرات العرب الأفغان في جبال أفغانستان إلى العراق للجهاد وفق عقيدتهم ونظرتهم للجهاد الأممي.

كانت بيعة تنظيم التوحيد والجهاد لدولة الإسلام في العراق نقطة التحول الكبير في الحرب، وبفعل هذه البيعة دخلت جميع الفصائل المسلحة على الساحة العراقية تحت بيعة دولة الإسلام

وتوافد اليها عشرات الألوف من الضباط والجنود السابقين مُقوِّين عضد الجانب العراقي وسيطرته على الجهاديين الأجانب الذين أصبحوا في وضع لا يحسدون عليه بعد مقتل الزرقاوي، فهم بعدما كانوا في مواجهة الأميركي أصبحوا في مواجهة العراقي الحاضن لهم، أما البيعة والركون لسياسته ومصالحه فهي ليست ضمن عقيدتهم الجهادية أو مواجهة البيئة الحاضنة وبالتالي فإن خوض معركة خاسرة هي بمثابة إنتحار جماعي بكل المعايير.

كما شكلت عملية إغتيال الزرقاوي منعطفاً في عملية إدارة الحرب والتخلص من الزرقاوي وتنظيمه، وكان لا بد من عملية إغتيال ثانية على مستوى القادة للتخلص من ما تبقى من الجهاديين القدامي لإستكمال عملية السيطرة على الميدان الجهادي، خصوصاً المقاتلين الأجانب والعراقيين المنتمين للفكر القاعدي، وقد جاءت عملية الإغتيال الثانية لإخفاء الدولة لصالح جسم جديد مطلوب منه القيام بعملية تأمين الأرض لتأمين الإنسحاب الأميركي وهذا الجسم هو ما عرف **بالصحوات** والتي ينتمي غالبية أفرادها إلى عشائر الأنبار التي تشكل العصب الاساس للحرس الجمهوري العراقي والبنية البشرية لنظام صدام حسين، وكانت عملية إغتيال أبو حمزة المهاجر وأبو عمر البغدادي في مكان واحد المنعطف الثاني في تطويع الميدان بعد عملية إغتيال الزرقاوي.

وفي تفاصيل عملية الإغتيال هذه، أنه يوم الاثنين الموافق 19/ 4/ 2010 شنت القوات الأميركية والعراقية عملية عسكرية في منطقة

الثرثار استهدفت منزلاً كان فيه أبو عمر البغدادي وأبو حمزة المهاجر، وبعد اشتباكات عنيفة بين الجانبين واستدعاء الطائرات تم قصف المنزل ليُقْتَلا معاً، وتمّ عرض جثتيهما على وسائل الإعلام. وبعد أسبوع واحد اعترف التنظيم في بيان له على الإنترنت بمقتلهما، وبعد حوالى عشرة أيام انعقد مجلس شورى الدولة ليختار أبا بكر البغدادي خليفة له والناصر لدين الله سليمان وزيراً للحرب.

بعد مقتل أمير دولة الإسلام في العراق أبو عمر البغدادي تم إختيار أبو بكر البغدادي أميراً عليها، وهذا ما أثار الكثير من الإعتراضات كان أبرزها إعتراض الشيخ (أبي سليمان العتيبي) قاضي شرع دولة الاسلام في العراق حينها والذي اضطر للفرار من العراق خوفاً من القيادة العراقية الجديدة.

حصل تعيين أبو بكر البغدادي أميراً على دولة الإسلام، بطريقة فوقية وغيبية غير معلومة وغير مفهومة للقواعد الجهادية، فقد أُنزل الرجل عليهم أميراً دون أن يكون له سابقة في الجهاد ودون أن يكون لها أي تاريخ في العمل الحربي أو الديني أو السياسي، وقد استغلت المجموعة العسكرية العراقية ضعف التواصل بين المجموعات على الارض وبينها وبين قادتها، وبين القادة أنفسهم، لتمرير تعيين أبو بكر البغدادي، حيث اعتقد كل شخص أن غيره بايع، وكان لانقطاع سبل التواصل والمضايقة من قبل الجيش الأميركي والجيش العراقي دوراً كبيراً في تقطّع سبل التواصل بين قادة الجهاد السلفي العالمي الموجودين في العراق خصوصاً بعد

الضربات التي تلقوها في العراق وأوروبا والعالم وعلى الأخصّ في شبكة غرناطة التي فككت العمل الخارجي لهذه المنظمات.

يروي الجولاني على التويتر عبر أحد أعوانه أن البغدادي كان في سوريا وعاد مطلع عام 2006 إلى العراق حيث اعتقل من قبل الأميركيين لمدة قصيرة، قبل أن يطلق سراحه، وبعد خروجه بايع تنظيم الدولة في العراق. وهنا يطرح سؤال كبير عن التأهيل الذي خضع له البغدادي في السجن الأميركي، وبعد خروجه بقليل أخرج الأميركي من سجن بوكا في العراق ضابطين كبيرين في الجيش العراقي السابق، لعباً دوراً محورياً وأساساً في مستقبل جولة العراق الإسلامية وثبتا البغدادي أميراً عليها، مُحضِرينه من المجهول إلى مركز الصدارة والقيادة، حيث كان رجلاً عادياً نكرةً، فجعلاه أميراً على تنظيم ودولة أُسِّست من المجهول تحت أعين الأميركي في الرمادي العراقية.

والضابطان هما:

- العميد (محمد الندى الجبوري من قرية صديرة الملقب بالراعي).
- والعميد (سمير عبد محمد حجي بكر عضو قيادة فرقة حزب البعث).

والأخير لعب دوراً كبيراً في تعيين البغدادي وفي قرارات دولة الإسلام في العراق حتى دخولها إلى سوريا في نهاية عام 2011 وقد قتل على يد **أحرار الشام** في مدينة الباب في ريف حلب الشمالي.

بعد خروج العميدين من السجن الأميركي تسلم العميد الراعي قيادة الأركان في دولة العراق الإسلامية يومها وكان معروفاً من قبل أبو عمر البغدادي وأبو حمزة المهاجر، وقتل العميد الراعي في قصف أميركي فعين المهاجر العميد حجي بكر قائداً لأركان الجدولة مكان الراعي، ويقول الجولاني في تغريداته أن الراعي كان قد زكى حجي بكر لدى البغدادي والمهاجر.

في ظل الملاحقة الأمنية والعسكرية الكبيرة من قبل الجيش الأميركي والجيش العراقي بقي أبو عمر البغدادي وأبو حمزة المهاجر في مكان واحد لبضعة أشهر ووقعوا في الخطأ الأمني ذاته الذي وقع فيه أسامة بن لادن، وتم اكتشاف مكانهم، وقتلا مع العديد من القياديين في التنظيم، فكان لخبر مقتلهما وقع سيّىء على تنظيم دولة الإسلام في العراق، وحصلت اعتقالات كثيرة في تلك الفترة وحصلت فوضى وبلبلة وعدم استقرار، وعدم تواصل بين القاعدة على الأرض وبين من تبقى من القيادة، حتى أن غالبية المقاتلين لم يكونوا يعرفون من هي القيادة ومن بقي منها، كما حدثني أحد فرنسيي الجهاد العراقي وكنت التقيت به في فرنسا أكثر من مرة.

كان حجي بكر هو الوحيد المعروف الذي بقي في الساحة، التي خلت له، فبدأ بإعادة ترميم التنظيم معتمداً على بعض أمراء المناطق أو ما يطلق عليهم (المحافظون)، وتمت البيعة لأبي بكر البغدادي في تلك الفترة.

وبعد مقتل أبي عمر البغدادي في 19/ 4/ 2010 أصبح أبو بكر

البغدادي زعيماً لهذا التنظيم، وشهد عهد أبي بكر توسعاً في العمليات النوعية المتزامنة، كعملية البنك المركزي العراقي، وتفجيرات وزارة العدل، واقتحام سجني «أبو غريب» و«الحوت».

ففي 9/ 4/ 2013 وبرسالة صوتية بُثت عن طريق **شبكة شموخ الإسلام** أعلن خلالها أبو بكر البغدادي دمج فرع التنظيم في جبهة النصرة مع دولة العراق الإسلامية تحت مسمى «داعش».

وفي 21/ 7/ 2013 قامت داعش بعملية نوعية كبيرة نفذها ما يقارب 1000 من عناصر التنظيم تدعمهم أكثر من 300 سيارة قاموا خلالها بتحرير مقاتلي الدولة الإسلامية، وكانوا بالآلاف من سجني التاجي وبغداد المركزي، وقد أمّن هذا لهم مئات المقاتلين المجربين والأشدّاء الذين خرجوا من السجون الأميركية معبأين بالحقد والسعي للثأر.

قال أبو حمزة المهاجر الأمير السابق لتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين في شريط صوتي يحمل عنوان «إِنِ الحُكْمُ إلا لله»: [أعلن ذوبان كل التشكيلات التي أسسناها بما فيها مجلس شورى المجاهدين، وبالنيابة عن إخواني في المجلس تحت سلطة دولة العراق الإسلامية].

يتضح أن تنظيم القاعدة في العراق أصبح من الماضي ولم يعد له أي وجود تنظيمي لأنه حل نفسه بنفسه منذ تاريخ 15/ 01/ 2007.

وبعد قيام بعض الجهات بربط دولة العراق الإسلامية بتنظيم القاعدة صدرت بيانات عدة وتصريحات من دولة العراق الإسلامية

تفند ذلك، فقد جاء في بيان صادر عن دولة العراق الإسلامية ما يلي: [فلقد ورد ذكر إسم «تنظيم القاعدة في العراق» بدلاً عن «دولة العراق الإسلامية» على لسانِ بعض الفضائيات.... رغم أن الدولة الإسلامية قد بينت وفي أكثر من مناسبة أن الإخوة في «تنظيم القاعدة في العراق» سابقاً أصبحوا جزءاً ومكوناً من «جيش الدولة» الذي يضم كذلك عشرات الكتائب وآلاف المقاتلين من بقية الفصائل الجهادية].

وقال أبو عمر البغدادي الأمير السابق لدولة العراق الإسلامية في شريط صوتي بُثّ في ذي الحجة 1427 حمل عنوان «وقل جاء الحق وَزَهَق الباطل»: [وما القاعدة إلا فئة من فئات دولة الإسلام].

وقال أيضاً في شريط صوتي بث بتاريخ 24/ 12/ 2007 يحمل عنوان «فأمّا الزَبَدُ فيذهبُ جُفاءً»: [وأمير القاعدة المهاجر أعلن وعلى الملأ بيعته وسمعه وطاعته للعبد الفقير وحُلَّ التنظيم رسمياً لصالح دولة الإسلام دولة العراق الإسلامية].

لذا يجب عدم إضفاء اسم تنظيم القاعدة على داعش، فلا ارتباط تنظيمي بينهما، اللهم إلا الإرتباط الفكري والتاريخي. وداعش لم تكن يوماً ما ضمن القاعدة كي تنفصل عنها.

الدخول إلى سوريا

ما أدري ما الذي يجعل قلبي مرتاباً من
تحرير سجون العراق..

أبو عباس الشامي(*)

كان أيمن الظواهري يحظى برمزية عند التيار السلفي الجهادي في الأعم الأغلب، وهذه الرمزية جعلت جهات في داعش وجهات في جبهة النصرة تراسله في أمر الخلاف، وأبدى كل منها قبوله بتحكيم الظواهري، فقرار الظواهري لا يتعدى قرار القاضي، في هذه الحالة حكم أيمن الظواهري في القضية لا يعني بالضرورة وجود سلطة تنظيمية على داعش، ولا حتى على النصرة اللهمّ إلا من باب الشرعية التاريخية، وهنا يتكرر الفراق والصراع الذي شهدته السلفية الجهادية طيلة مسارها، فخلاف الظواهري مع داعش أو مع الجهاد العراقي بصبغتيه البعثية والسلفية، ليس سوى حلقة من

(*) (قيادي في الجماعات السلفية المسلحة في سوريا) 22 تموز 2013.

الخلافات التي ظهرت بعدما أجبرت الظروف الزعيم التاريخي أسامة بن لادن على الإبتعاد، هنا أيضاً يستحضرنا خلاف الظواهري مع الزرقاوي، وخلاف الظواهري وأبو حمزة المهاجر مع شرعي دولة الإسلام في العراق بقيادة أبو عمر البغدادي، ويأتي خلاف أبو بكر البغدادي مع الجولاني، ومع كل أطراف الجهاد السلفي والإخواني السوري، وخلاف هؤلاء مع السلفية الخليجية المتمثلة بزهران علوش، وخلاف الجميع مع سلفية حسان عبود **وأحرار الشام** التي كانت الطرف الأكثر قرباً من أميركا ضمن الأطراف السلفية الجهادية.

■ **طيف الإخوان المسلمين**

كان الجولاني من مساعدي البغدادي في معركة الرمادي، حسب ما يروي لنا مصدر «إسلامي» لبناني شارك في تلك المعركة، وقد قررت الولايات المتحدة حينها تأسيس الصحوات في العراق بالتعاون مع قطر وتيارات خليجية سلفية تجنباً لدخول مواجهة مكلفة بشرياً وسياسياً كما حصل في الفلوجة، علماً أن بندر بن سلطان نفسه كان يمول البغدادي وجماعته عبر هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبوساطة رجل الدين الكويتي (وليد الطباطبائي) والقطري (عبد الرحمن النعيمي) المعروفين بولائهما المطلق للمؤسسة الدينية في السعودية. وعند بدء الحرب في سوريا طغى اسم **جبهة النصرة** ولم يسمع بالبغدادي.

عند اندلاع الحرب في سورية، وظهور الجماعات السلفية بقوة

على الأرض السورية خصوصاً في الشمال السوري، بدأت السعودية وقطر وتركيا في سعيها لإسقاط النظام في دمشق حملةَ استقطابٍ للمقاتلين من جميع أنحاء العالم، وكانت تركيا هي البوابة الأساس لدخول المقاتلين[1]. وصلت عمليات نزوح مقاتلي الجهاد العابر للحدود باتجاه سوريا، إلى المقاتلين الأجانب الموجودين في العراق تحت عباءة أبو بكر البغدادي الذي رأى تيارات سلفية صاعدة في سوريا تستقطب المقاتلين من أنحاء العالم فأرسل إلى سوريا أحد مساعديه السوريين (أسامة بن العبسي الواحدي) الملقب (أبو محمد الجولاني) وهو من ريف إدلب في سوريا، والمتحدّر من عائلة جذورها إخوانية.

وصل الجولاني إلى سوريا في شهر آب عام 2011، وواجه واقعاً ميدانياً لا يمكن له تجاهله، ولا يمكن العمل إلا من خلاله أو بالتعاون معه، وهذا الواقع هو وجود تركيا على الحدود، وتَحَكُّمها بطرق إمداد المسلحين السوريين، وطرق وصول المقاتلين من جميع انجاء العالم، فضلاً عن نفوذ كبير تتمتع بها جماعة الإخوان المسلمين في تلك المنطقة، التي تشكل تاريخياً معقلاً شعبياً للجماعة، كما ان التمويل القطري كان يصل حصرياً للجماعة التي احتكرت هيئة الإغاثة ضمن المجلس السوري المعارض ومن ثم في الإئتلاف المعارض، كما كانت جماعة الإخوان المسلمين تحظى بالدعم التركي العسكري والأمني والسياسي.

(1) انظر وثائق تجنيد المعارضين في تركيا.

عند وصول الجولاني إلى سوريا كان هناك **لواء التوحيد** التابع لجماعة الإخوان المسلمين، القوة الأكبر في الشمال السوري، وهذا اللواء هو الذي دخل أحياء مدينة حلب وكان يسيطر في ريف إدلب معقل الإخوان التاريخي في سوريا ومن حيث يتحدّر الجولاني، كما أن لواء التوحيد القوة الأساس في الريف الشمالي لحلب خصوصاً في مدن ماير عَنَدان حريتان حتى إعزاز، وهذه المنطقة أيضاً تاريخياً تعتبر حاضنة شعبية كبرى لجماعة الإخوان المسلمين، وعانت من حرمان في التنمية بعد أحداث حماه عام 1982، وتضاعف عدد سكانها منذ ذلك الوقت مرات عدة وسط كل الإهمال الذي ساهم في بقاء نفوذ جماعة الإخوان وتطرفه، إلى السلفية التكفيرية.

وأبو محمد الجولاني هو الإدلبيّ أسامة بن العبسي واحدي والذي ولد في قرية الشحيل في ريف دير الزور حيث كان والده موظفا هناك في إحدى الوظائف الحكومية ثم انتقل مع عائلته في أول مراهقته إلى مدينته الأصلية إدلب حيث درس في مدارسها وحصل على الشهادة الثانوية فيها ثم انتقل إلى حلب لدراسة الطب عندما غزت الولايات المتحدة دولة العراق لإسقاط قيادتها.

غاب أسامة الواحدي عن الأنظار لفترة مديدة وظهر في ريف إدلب أميراً لتنظيم القاعدة في سورية تحت إسم جبهة النصرة لأهل الشام حيث ساهم مع أعضاء بارزين من أقاربه في حركة الإخوان المسلمين في جلب المهاجرين العرب والأجانب واستقبالهم عبر معبر باب الهوى بعد استراحات لهم و تهيئة في بعض الشقق

المفروشة في مدينتي أنطاكية والريحانية التركيتين على الحدود السورية ثم استقطاب بعض المقاتلين المدعومين من قبل الإخوان المسلمين كلواء التوحيد الإدلبي مثلاً، وإغرائهم بالرواتب الوفيرة للإنشقاق عن كتائبهم وألويتهم التابعة للجيش الحر والإلتحاق بتنظيم القاعدة وجبهة النصرة، مع العلم أن أمير قاطع إدلب في جبهة النصرة هو أخوه فراس واحدي و يأتمر بأمره الكثير من أقاربه من العوائل الإدلبية المعروفة تاريخياً بمعارضتها.

في سوريا، سقا الجولاني للبغدادي، الكأس نفسه التي أسقاها البغدادي للزرقاوي في العراق عندما طالبت دولة الإسلام في العراق الزرقاوي بإعلان البيعة لها بحجة رفض العراقيين قيادة الغرباء لهم في بلادهم، وهذا ما حصل مع الجولاني الذي احتج على البغدادي في انشقاقه عنه أن السوريين لن يقبلوا قيادة غير سورية على العمل المسلح ضد النظام.

في تلك الفترة كانت جماعة الإخوان المسلمين تمنّي نفسها بسقوط النظام في دمشق وحكم سوريا مكانه، وكان طريق السلطة بالنسبة لقادتها التاريخيين المتحدّرين من تنظيم الطليعة المقاتلة[1] يمرّ عَبْر البطش بجماعة النظام للتمكن من المناطق التي يسيطر عليها، غير أن الحكم أيضاً يقتضي أن لا تتحمل الجماعة المسؤولية

(1) التنظيم العسكري لجماعة الإخوان المسلمين السورية في ثمانينات القرن الماضي أسسه مروان حديد ومنه اتت غالبية قيادات الصف الأول في الجماعة حالياً.

عن القتل والذبح والدماء التي تسقط خصوصاً لأن ذاكرة الناس ما زالت تحمل مسؤولية جماعة الإخوان المسلمين في حماه وفي المدرسة الحربية في حلب خلال معركتها مع النظام في ثمانينات القرن الماضي.

وفي سبيل السلطة لا بأس باستخدام الأسلوب نفسه الذي استخدمه الحرس الجمهوري العراقي والمخابرات العراقية السابقة، وليس هناك أفضل من إسم تنظيم القاعدة ليغطي عمليات القتل والذبح، وكان حضور الجولاني وتأسيس جبهة النصرة الفرصة التي استغلتها جماعة الإخوان السورية حيث اختفى لواء التوحيد فجاة في عام 2012 تاركاً المجال لإسم جبهة النصرة للظهور، واختفى التوحيد تحت قناع النصرة التي خاض كل معاركها تحت يافطتها، ولكنه حافظ على جسمه واستقلاليته على أرض الواقع، فالنصرة ليست سوى يافطة إعلامية ومطية للوصول إلى الهدف خصوصاً أنها وضعت على لائحة الإرهاب الأميركية في شهر كانون الثاني عام 2013.

بدأ الجولاني يأخذ البيعة باسم البغدادي حتى مطلع عام 2013 عندما أرسل أيمن الظواهري من مخبأة الأفغاني موفداً إلى البغدادي هو (محمد بهايا)[1] الملقب أبو خالد السوري الذي تحدثنا عنه في خلية غرناطة، وقد طلب بهايا من البغدادي تقديم البيعة لأيمن

---

(1) أنظر وثائق خلية غرناطة.

الظواهري، لكن البغدادي رفض ذلك متعللاً ببعد المسافة بينه وبين الظواهري وبعد الظواهري عن بلاد الشام والعراق، وتوجه محمد بهايا إلى الجولاني طالباً منه البيعة لأيمن الظواهري. وحسب ما يقوله فرنسيو غوانتانامو الذين لديهم أقرباء في العراق وفي سوريا في صفوف المنظمات السلفية المحاربة فقد حصل بهايا على بيعة الجولاني واتفقا أن لا يتم الإعلان عن هذا الاتفاق حتى لا يثيرا غضب البغدادي، غير أن خبر اتفاق الجولاني مع محمد بهايا وصل إلى البغدادي الذي توترت العلاقة بينه وبين الجولاني وتراكمت الخلافات إثر رفض الجولاني مساعدة تنظيم دولة الإسلام في العراق، ومن التراكمات أيضاً كان تهرب الجولاني من تنفيذ أوامر البغدادي، وبدأت الاخبار تصل إلى العراق عن نية الجولاني الإبتعاد عن البغدادي وتقديم البيعة للظواهري. وأيضاً هنا، كان الجولاني يعلم أن بُعد الظواهري الجغرافي عنه وضعفه العسكري والمالي سوف يمنعانه من التدخل الفعال في شؤون الجولاني وقراراته، على عكس البغدادي الذي يقيم في العراق المحاذي لسوريا ولديه إمكانية إزعاج الجولاني ومحاربته، وهذا هو الذي حصل تماما.

يقول بعض من فرنسيي غوانتانامو أن اجتماعاً حصل بين الجولاني والبغدادي في بداية ربيع عام 2013 ظهر خلاله الخلاف بين الطرفين، وتأكد للبغدادي انفصال الجولاني عنه بعد معركة خاضها جنود الطرفين في حقول نفط دير الزور، كما روى لنا

فرنسيو غوانتانامو. و بعدما أحكم الجولاني السيطرة على النصرة بالتعاون مع جماعة الإخوان المسلمين السورية وقيادات سلفية سورية على رأسهم محمد بهايا ومباركة من أيمن الظواهري.

بعد هذا الإجتماع سارع البغدادي للإعلان عن قيام (دولة الاسلام في العراق والشام) يوم 9 نيسان 2013 معلناً أن جبهة النصرة هي جزء من الدولة، غير أن الجولاني رفض الإنضمام إلى الدولة المعلنة معللاً رفضه بعدم إستشارته بموضوع التأسيس، وأعلن بشكل واضح البيعة للقاعدة الأم ممثلة بأيمن الظواهري، وما لبث الاخير أن دخل على الخط بعدما طال تجاهله من الطرفين، وطلب من البغدادي عبر تسجيل صوتي بثته قناة الجزيرة يوم 8 تشرين الثاني 2013 إلغاء الدولة الإسلامية في العراق والشام والعودة إلى العراق على أن تبقى جبهة النصرة في الشام، وعين السوري محمد بهايا (أبو خالد السوري) مندوباً ووسيطاً من قبله لنقل وجهات النظر وحل الخلافات بين الطرفين.

رفض البغدادي حلّ (داعش) وقال عبر تسجيل صوتي (الدولة الإسلامية في العراق والشام باقية ما دام فينا عرق ينبض. ولن نساوم عليها أو نتنازل عنها حتى يُظهِرها الله تعالى أو نَهْلكَ دونها، وأضاف أن تنظيمه (لن ينحسر عن البقعة التي امتد إليها ولن ينكمش بعد نموه، وتحدث عن أمر الظواهري بحلّ داعش، وقال أنه بالنسبة للرسالة التي نسبت له فإن لنا عليها مؤاخذات شرعية

ومنهجية عديدة. . وبعد مشاورة مجلس شورى الدولة الإسلامية في العراق والشام من مهاجرين وأنصار اخترت أمر ربي على الأمر المخالف له في الرسالة).

وكان الظواهري نفسه قد حسم الخلافات بين الجولاني والبغدادي في شهر أيار عام 2013 بعد اعتراض الجولاني على قرار البغدادي تولية ابن أخت ابو مصعب الزرقاوي أميراً على جبهة النصرة واعتراض الجولاني أن السوريين لن يقبلوا تولي أردني ساحة «الجهاد» في سوريا. واصطدم الطرفان عسكريا في ريف دمشق حيث تعرض الجولاني لمحاولة اغتيال في منطقة عسالي القريبة من منطقة السيدة زينب في ريف دمشق وقتل مساعده عبد العزيز العثمان وقال حينها مقرب من الجولاني ويدعى (عبد الله الدهيمان) : دم العثمان، والمحيسني في رقبة البغدادي فهو من أمر بقتلهما عليه من الله ما يستحق، لقد ثبت أن البغدادي تحرك من العراق بتوجيه حتى يقوم بدور عجز الأعداء عن تنفيذه أو تنفيذ جزء منه، والدور هو تفتيت جبهة النصرة، والقضاء على أميرها ونائبه أبو مارية العراقي، وقد حاول قتلهما ولكن تمكنا من النجاة بفضل الله.

إنتقل الجولاني بعد محاولة إغتياله إلى الجنوب السوري، وتحديداً إلى بلدة معربة شرقي درعا بأمر من الظواهري، حسب مصادر المعارضة السورية، وهناك حسم الظواهري الخلاف بين الطرفين حيث أمر بعدم اتباع الجولاني للبغدادي وذلك حتى لا تقوى شوكة البغدادي ويخرج عن طاعته.

■ القصة الكاملة للمعركة الأولى بين داعش والنصرة على النفط السوري[1]

في شهر نيسان من عام 2013 أوفد أبو بكر البغدادي إلى عامر الرفدان الذي كان يقع تحت سيطرته حقول الجفرة وكونيكو وبعض آبار المنطقة المحيطة بخشام وجديد عكيدات في دير الزور، وكان الرفدان يبايع جبهة النصرة مقابل حصة من المال يقبضها من الجولاني، وعرض موفد بغدادي أن يبايعه عامر الرفدان مع ما تحت يده من ثروات مقابل أن يأخذ نسبة أكبر من التي كان يعطيها له أبو محمد الجولاني من عائداتها مع ولاية ديرالزور كاملة. وافق عامر الرفدان على العرض وعندما توجه أبو ماريا القحطاني مفتي عام جبهة النصرة لجمع العائدات الأسبوعية رفض الرفدان اعطاءَه مبلغ العائدات التي كانت مخصصات لكونيكو والجفرة وتبلغ حوالى 5 مليون دولار، وقال له «أنت تابع للجولاني والجولاني تابع للبغدادي والبغدادي هو أميري» ومن ثم طالبه أبو ماريا بالخروج من الحقول فرفض الرفدان، وحصل بينهم سحب سلاح ولكن هدأت الأمور، وبعدها بيوم اقتحم عناصر من بلدة الشحيل وهي مركز ثقل قيادات النصرة أحد اجتماعات داعش في بلدة خشام ولكن انقضت بكتمان بعد تدخل وجهاء العشائر وانفضّت. لكن التوتر بقي قائماً وصدر قرار من الرفدان وأمراء الدولة بقطع الغاز المنزلي عن بلدة الشحيل حصراً من بعد هذه الحادثة. من ثم توالت انشقاقات

---

(1) من أرشيف الكاتب، روايةُ فرنسيّي غوانتانامو.

الحقول عن جبهة النصرة إما تحت إطار عشائري مناطقي عائلي أو تحت إطار دولة العراق والشام، أو أنه يكون في البداية تحت إطار دولة العراق والشام ثم يصبح مجّزءاً مناطقياً عشائرياً أو عائلياً وجزء كـ «أتاوى» يعطى لدولة العراق والشام. بعدها بقي الصراع خفياً وبالكتمان، والتوتر قائم، وعندما نشأ صراع الدولة مع فصيل أحفاد الرسول ساندت جبهة النصرة داعش في محاولة لتلطيف الأجواء ولكن بعدها بدأ الصراع بشكل خفي حيث أن دولة العراق كانت تتغطى بعصابات تابعة لها، وكانت جبهة النصرة تتغطى بالهيئة الشرعية.. وتوالت الإشتباكات بينهم إلى أن تم إعلان الصراع بشكل رسمي وهاجمت النصرة مع الجبهة الإسلامية مواقع الدولة بشكل كامل ومواقع الثروات وسيطرت عليها في بداية الأمر قبل الهجوم الواسع الذي شنته (داعش) وسيطرت من خلاله على غالبية مساحة الشرق السوري.

استراتيجية الإتاوات كانت تعتمدها جبهة النصرة، وهي من أسستها في ريف دير الزور مع جماعات الثروات النفيطة وتحديداً من أبناء القرى والعشائر، وكانت تفرض الإتاوى على المسيطرين على بعض الحقول النفطية أو بعض الحقول أو الآبار الموجودة في المناطق، وعلى أبناء المناطق التي تسيطر عليها أو على أبناء العشائر التي تسيطر عليها وخصوصاً في ريف البوكمال والخط الواصل بين الميادين والبوكمال، وكذلك عندما وجدت دولة العراق كانت تستخدم تلك الإستراتيجية كما كانت تفعل مع جيش حسن الضبع الملقب بـ«جوجو» حيث أنه كان ينتج النفط الأحمر

من أطراف حقل كونيكو والذي ينتج منه الغاز الأحمر مقابل نسب لوالي الدولة.

وتورد رواية فرنسيي غوانتانامو إسمين في عملية النهب؛ واحد محلي (عامر الرفدان) يتولى عملية الحراسة وبالتالي فهو يدفع للنصرة أو داعش مبلغاً مالياً مقطوعاً يمنعهم به من التعرض له ويحصل على غطائهم الديني تحديداً في عملية النهب هذه، والآخر زعيم في تنظيم القاعدة وله تاريخ في جماعة الإخوان المسلمين السورية ويقيم في تركيا وهو أبو ماريا القحطاني.

وعامر الرفدان هذا صاحب لقب **ذئب الشرقية** أصبح أمير داعش في دير الزور؛ «ولاية الخير» كما أطلقو عليها، ويتهمه البعض بأنه ركب الموجة واستغل الازمة نتيجة معاناته مع الفقر وضيق الحال وامتطى موجة الفوضى لتحقيق أكبر قدر ممكن من النفوذ والغنائم، ولم يبق الرفدان العامل السابق في مصلحة المياه على ما كان عليه، فتحول فجاة إلى قائد للثورة، ولكن الرفدان المعروف بتغير مواقفه يميل مع الأقوى وهذا ما اعتبره البعض ضعفاً في الشخصية وهدفه تحقيق أكبر قدر من الثروة وجمع المال والحصول على السطوة والنفوذ من خلال استخدام النفوذ العشائري في تلك المنطقة والسيطرة على خطوط الغاز وآبار النفط ونهب الشركات النفطية المجاورة لمنطقته ومسقط رأسه (خشام).

أما الإسم الثاني في عمليات السطو والسرقة هذه فهو أبو ماريا القحطاني وكان المسؤول الشرعي في جبهة النصرة وإسمه الحقيقي

ميسر بن عبدالله الجبوري وقد كان ضابطاً في الجيش العراقي ضمن ما كان يسمى «**فدائيو صدام**» وجرى تسريحه عندما حلت قوات الإحتلال الأميركي الجيش العراقي، وقد عمل في مجالات مختلفة وإتهم بالقيام بعمليات سطو مسلح وإنتسب للشرطة العراقية تحت الإحتلال بإشراف قائد شرطة نيويورك السابق (برنارد كيريك) قبل أن يلمع إسمه في عالم السلفية المحاربة تحت غطاء أبو ماريا القحطاني، وهذه الرواية سرّبتها مصادر سلفية عند بدء الصراع بين داعش والنصرة في ملف كامل نشر على الانترنت وأخذته الصحافة العربية[1].

■ قائد الرعب والاغتيالات أبو عمر الشيشاني

يعتبر المقاتلون الشيشان من أشد المجموعات المقاتلة في سوريا شراسة وخبرة في القتال، ويعتمد تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) عل هذا الجسم الشيشاني في تنفيذ العمليات الأكثر دموية والأكثر إثارة، كما أن هؤلاء يوكل إليهم تنفيذ عمليات القتل والإعدام، دون رحمة، ويعود هذا إلى أنهم أتوا إلى سوريا ولا يعرفون شيئاً وينفذون كل ما يطلب منهم دونما تردد.

أشهر هؤلاء الشيشان هو أبو عمر الشيشاني، وإسمه الحقيقي هو «طرخان باتيرشفيلي»، وهو شيشاني العرق من جورجيا، وتحديدًا من وادي بانكيسي، الذي يعتبر مركزًا لتجمع الشيشان في

(1) أسرار دولة البغدادي من ملفات الشبكة العنكبوتية.

جورجيا ومعقلاً للمتشددين، يبلغ من العمر حوالى 30 عاماً، أشقر وله لحية حمراء يظهر دورياً على أشرطة الفيديو التي تبثها داعش، وكان أول ظهور علني له بعد سقوط مطار مِنِّغْ العسكري في الريف الشمال في حلب عام 2012، كان لدخول أبو عمر الشيشاني في معركة منغ الدور الحاسم في إسقاط المطار الذي يعتبر أسطورة في الصمود، وقد صمدت الحامية فيه أكثر من عامين تحت حصار خانق خصوصاً أن المطار موجود على مقربة من الحدود مع تركيا.

وفي شريط فيديو صدر عن الجماعة في شهر آذار عام 2014 يظهر الشيشاني وهو يقف بجوار المتحدث بإسم الجماعة وبين مجموعة من المقاتلين عند إعلانهم إلغاء الحدود بين العراق وسوريا، سويعات قليلة قبل إعلان الجماعة إنشاء الخلافة في المناطق التي تسيطر عليها.

وقال الشيشاني: «هدفنا واضح والجميع يعرف لماذا نحن نقاتل، نريد تأسيس الخلافة»، مضيفًا «سنعيد الخلافة، وإن لم نحقق هذا الهدف فإننا نطلب من المولى عزّ وجلّ أن يمنحنا الشهادة».

وظهرت قدرات الشيشاني في اكثر من مناسبة ويعتبر المنفذ للكثير من عمليات الإغتيال التي قام بها داعش ضد قيادات الجماعات السلفية السورية المحاربة، ويعتقد أنه القائد العسكري عام لتنظيم الدولة الإسلامية، بعد مقتل القائد السابق العراقي المعروف بإسم أبو عبد الرحمن الأنباري الذي قتل في مدينة

الموصل العراقية في أوائل يونيو/ حزيران عام 2014. ورغم ظهور الشيشاني قائداً لغالبية المعارك إلا أن داعش لم يعلن رسمياً عن تعيينه قائداً عسكرياً عاماً وذلك يعود إلى عدم ثقة القيادات العراقية لداعش بكل من هو غريب وليس من الجنسية العراقية، فهم يستفيدون من خبرته وبراعته في قيادة الميدان مع عدم الإعلان لجنودهم عن توليه أي منصب كبير.

وتولى الشيشاني عملية قمع وحشية ضد تمرد عشيرة الشعيطات[1] في ريف دير الزور بداية صيف عام 2014 وقتل منهم حوالى ألف شخص في عملية القمع التي نفذها.

(1) انظر وثيقة مخابرات داعش من الأرشيف الخاص بالكاتب.

على لائحة الاغتيالات

■ محمد بهايا

عمل تنظيم داعش على اغتيال القادة التاريخيين أصحاب التاثير في السلفية السورية المحاربة، من أجل تفتيت أتباعهم وجذبهم كلهم أو جزءاً منهم إلى بيعة البغدادي وتنظيمه وكانت أهم عمليات الاغتيال تلك التي طالت محمد بهايا وسيط الظواهري ومندوبه بين الجولاني والبغدادي والقيادي في حركة أحرار الشام الذي قتل في 24 شباط عام 2014.

لقبه ابو خالد السوري وإسمه الحقيقي (محمد بهايا) من مواليد حلب عام 1963، والبعض يقول إنه من مواليد ريف حلب الشمالي، شارك في حرب حماه عام 1981 ضمن الطليعة المقاتلة، وكان إلى جانب عدنان عقلة وفاروق طيفور ومحمد رياض الشقفة في قيادة المعركة في حماه، ومن ثم انتقل إلى الأردن حيث تعرف إلى عبدالله عزام، الذي أخذه إلى أفغانستان حيث أصبح أحد حاملي رسائل أسامة بن لادن إلى العالم الخارجي، وأصبح من كبار قادة تنظيم القاعدة الذي عمل مع أسامة بن لادن وحارب في

أفغانستان، والعراق وحارب في سوريا، حيث لقي حتفه على يد تنظيم داعش في ريف حلب الشمالي.

ويبدو أن عملية إغتياله تمت أثناء إجتماع بينه وبين مساعديه، في أحد المقرات في ريف حلب الشمالي، وتنقل مواقع جهادية أن الإجتماع كان بين محمد بهايا وممثلين عن داعش غدروا بالمجتمعين عبر هجوم نفذه إنتحاريان داخل المنزل حيث كان من المقرر عقد هذا الإجتماع.

وقد ورد إسم (محمد بهايا) في تحقيقات الشرطة الإسبانية في تفجيرات قطار مدريد عام 2004، التي إعتقلت حينها والتي سميت شبكة (علوني) نسبة إلى تيسير علوني الذي عمل مراسلاً للجزيرة في أفغانستان ومن ثم إعتقل في إسبانيا بعد تفجيرات القطار السريع في مدريد.

وتشير التحقيقات الإسبانية أن (محمد بهايا) هو الذي كان يقوم بنقل رسائل أسامة بن لادن إلى مكتب الجزيرة في كابول، ويبدو أن علوني صاحب هذا الإعتراف، كما أن بهايا انتقل إلى العراق حيث عمل مع (أبو مصعب الزرقاوي) فترة من الزمن قبل أن تعتقله السلطات السورية بناء على معلومات من المخابرات الفرنسية والإسبانية، قبل أن يطلق سراحه بناء على إتفاق بين الدولة السورية و ممثلي المحتجين في درعا بداية 2011 والذي قضى بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين.

وقد أرسل الظواهري (محمد بهايا)[1] إلى سوريا للوساطة بين أبو محمد الجولاني وأبي بكر البغدادي، غير أن جميع الوساطات باءت بالفشل وكان آخرها ما سمي (مبادرة الأمة) التي أطلقها التيار السلفي السعودي، ووكل بمتابعتها السلفي السعودي عبدالله بن محمد المحيسني، بمساعدة من السلفي الاردني نادر التميمي، والتي فشلت واتخذت طريق المواجهة المفتوحة بعد مقتل حجي بكري القائد العسكري لـ «داعش» في سوريا، ويومها توعدت داعش بالثأر لمقتله متهمة جبهة النصرة بهذا العمل.

وكانت النصرة قد إتهمت داعش قبل هذا بتسريب معلومات عن مكان عبد القادر الصالح قائد لواء التوحيد التابع لجماعة الإخوان المسلمين، ما أدى إلى مقتله عبر قصف جوي سوري، وعبد القادر الصالح هو شريك أبو خالد السوري في تأسيس جبهة النصرة عام 2011.

وتروي مواقع جهادية تابعة للنصرة روايات غير متطابقة عن كيفية مقتل أبو خالد السوري، حيث أعلنت في البداية عن قيام خمسة إنتحاريين بتفجير أنفسهم بالمنزل الذي كان فيه، ثم أعلنت عن سيارة مفخخة، ومن ثم اعلنت عن ثلاثة إنتحاريين، وهذا اللغط الذي حصل خلال ساعات قليلة مرده إلى أن صورة جثة بهايا لم تكن مشوهة، وهذا ما أثار إستغراب أنصار داعش الذين طرحوا تساؤلات عديدة عن الصورة قالوا فيها:

---

(1) مواقع وصحف.

«قيل إن خمسة انتحاريين هاجموا المقر ولم ينشر سوى صورة لإنتحاري واحد»، «قيل إنها سيارة مفخخة وقيل إنه حزام ناسف ولا صور تظهر أضراراً في البيت نتيجة السيارة»، «صورة أبو خالد السوري لا تظهر أية إصابة بتفجير سيارة ويبدو أنه لا حزام ناسف».

وصدر إتهام من داعش في ساعات الصباح، أن أبو خالد السوري لم يقتل ولكنه سلم للمخابرات الأميركية، وما لبثت أن وزعت مواقع جبهة النصرة نص رسالة كتبها أبو يزن الشامي، الذي كان مع أبو خالد السوري ساعة مقتله يروي فيها القصة.

ونشرت النصرة بعد تشكيك داعش صورة تظهر جلياً مقتل أبو خالد السوري مع آثار بعض الدماء في الفم.

■ **قصة استشهاد الشيخ أبو خالد السوري رحمه الله**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد: فهذه قصة استشهاد شيخي وأميري وقرة عيني الشيخ أبي خالد السوري رحمه الله.

قدم الشيخ رحمه الله صبيحة يوم استشهاده لحلب وقدم للقائي في أحد مقرات الحركة وجعلنا نتبادل أطراف الحديث عن وضع حلب وضرورة الإهتمام بها وفي أثناء الكلام بدأ إطلاق النار باتجاه المقر الذي كنا فيه فبادر الشيخ بأخذ بندقيته وبدأ بإطلاق النار إتجاه مصدر إطلاق النار بشجاعة تليق ببطولته وهمة تليق بجهاده وكنت أحمل مسدساً ذهبت خلف عمود لأنظر للباب فالتفت فوجدت الشيخ أبو خالد جنبي وقد أصابه طلق ناري في صدره.

في هذه الأثناء تم إلقاء قنبلة فرميت نفسي منبطحاً وتعرضت لشظية حينها دخل إنغماسي من الدولة وجعل يمشط وتقدم علي فأطلقت عليه النار فالتفت وأطلقت عليه حوالى ثلاث طلقات وركضت للجانب الآخر ففجر نفسه بحزام ناسف وكأن إحدى الطلقات قد أصابته لقرب المسافة، بعد التفجير عدت للشيخ أبو خالد فوجدته استيقظ وصعد من على الأرض إلى أريكة فقلت له اذكر الله شيخنا قد طلبت الإسعاف عن طريق القبضة، ثم دخلت للداخل فقام الأخوة بالاشتباك مع انتحاري آخر فأصيب فجلس على الأرض يتألم قليلاً ثم فجر نفسه من غير أن يكون أحد حوله.

في ذلك الوقت وصل الأخوة وتعاملوا مع المحيط وتم الإسراع بالشيخ للمشفى لكن الله أراد أن يصطفيه لعنده بعد هذا العمر الطويل الذي أمضاه في سبيل الله. هذه شهادتي على ما جرى بناءاً على طلب بعض الأخوة. أحسن الله عزاء الأمة بفقيدها البطل وانتقم الله من قاتليه خوارج العصر وطهر الأرض من رجسهم.

كان الظواهري قد وصف أبا خالد السوري عندما كلفه بمهمة حل الخلاف بين البغدادي والجولاني (أفضل الرجال ممن عرفهم بين المجاهدين).

ولا تخرج عملية اغتيال أبو خالد السوري عن سياق الطريقة المتبعة من قبل داعش في اغتيال خصومها، عبر إرسال انتحاريين لقتله، وقد فعلت ذلك مع قيادات كثيرة جميعها من السلفية الجهادية السورية.

وهناك رواية أخرى لمقتله عبر شريط اعترافات بثته حركة أحرار الشام لشخص اعترف بالتواطؤ لتنفيذ العملية ويقول الرجل في شريط الفيديو:

إنه «أحمد لولو بن عمر من مواليد حلب 1979» ويعمل في مؤسسة (سوريا الخير)، بحسب ما جاء على لسانه في مقطع الفيديو. الشاب كشف عن تفاصيل تنفيذ العملية، من تجنيده، مروراً بمراقبة قيادات (أحرار الشام)، إلى تنفيذ العملية، وإرسال مكافأة له من أمير التنظيم أبو بكر البغدادي قال أنه تمت سرقتها من قبل أحد (الأمراء).

وجاء في إعترافات منفذ العملية (أحمد لولو): «تربطني علاقة جيدة مع أحرار الشام، عندما كنت أعمل في المجال الإغاثي بمؤسسة (سوريا الخير)، وهم أعضاء من المكتب الاغاثي في حركة أحرار الشام، وكانوا كلهم حلقة لتوصيل المادة الإغاثية للأحرار وعن تجنيده في تنظيم (الدولة) قال: «تعرفت على شخص في أنطاكيا يدعى (أبو هريرة) وكان مصاباً هناك، وتعمقت العلاقة بيننا لحين عودتنا إلى سوريا، لم تكن العلاقة قريبة أو بعيدة، وعرض علي الدخول في تنظيم (دولة العراق والشام) في وقت لاحق، وفعلاً دخلت في التنظيم وتمت التزكية عن طريقه». وتابع: «في التنظيم عرفوا أنني أعمل في المجال الإغاثي، وتركوني أكمل عملي في هذا المجال، إضافة إلى العمل معهم في الإستخبارات وجمع المعلومات. ورداً على سؤال عن كيفية قتل أبو خالد السوري

أجاب: «طلب منّي جمعَ أكبر كمٍّ من المعلومات عن حركة أحرار الشام، واجتمع بي (أبو عبيدة المغربي) وهو مسؤول ولاية حلب الأمني، وكان معه (أبو مريم العراقي) وكانت المهمة بإختصار شديد هي (تصفية قيادات أحرار الشام).

وتابع: «اتفقنا على التفاصيل والمهمة، وفي يوم الجمعة بعد الصلاة وصل أبو مريم ومعه اثنان (واحد سوري الأصل، والثاني مهاجر من أصول أوربية، أو مغربية)، وكان في (سيارة فان) ومعه (أبو بصير الفلسطيني الغزاوي) ووضعتهم جميعاً في منزل، وذهبنا أنا وأبو مريم للإستطلاع وعرّفته على المكتب الإنتاجي (أين مكانه والشوارع المؤدية له)، وأصبح على اطلاع مباشر بكل شيء».

وأكمل «كانت العملية تقتضي التنفيذ بمجرد وجود القيادات، وثاني يوم ذهبنا إلى المكتب نفسه، على اعتبار أن علاقة تربطني مع الأحرار، وعلمت أن في هذا اليوم لن يأتي أحد، وأعطيتهم خبراً وتابعت حياتي الطبيعية».

في اليوم التالي جاءت قيادات أحرار الشام، وكان من جملة من دخل إلى المكتب الإنتاجي، ومن بينهم (أبو يزن) و(أبو عمير) أو ما يعرف باسم أبو خالد السوري، بحسب ما جاء في اعترافات «أحمد لولو»، وتابع: «انطلقت وخبرت أبو مريم بالكلام الدقيق، والقبضة لم تتجاوب معي في ذلك اليوم، وذهبت إليه وأخبرته بشكل دقيق أن أبو خالد السوري وأبو يزن موجودان في المبنى، فقال لي (نفذ ولا تنتظر).

وأضاف «أخذت معي الشابين إلى نزلة (عين التل)، ووضعتهم هناك، ثم ذهبت وتأكدت أن القيادات موجودة، ورجعت إليهم وقلت لهم انطلقوا، وبعد فترة قصيرة جداً سمعت صوت الإشتباكات، وأنا كنت هنا قد وصلت عند صالة الإغاثة، ثم ذهبت وأرسلت أبو مريم إلى كراجات الباب، وثاني يوم تركت حلب وذهبت للباب أيضاً. وتابع: «في المقر وجدت أبو عبيدة المغربي، وسلموا عليّ سلام حار، ومنهم أبو مسلم الفلسطيني، وأبو حمزة الأسير ومعه سبعة شباب آخرين.. أثنى علي أبو عبيدة ثناء حار، ولم يكن أبو مريم موجود، وكانوا (مبسوطين) جداً في العملية، وأخبرني أن المشايخ راضون عن العمل، ولكن تكتم عليه بشكل كبير.. والمقصود بالمشايخ :(والي حلب أبو لقمان والشيخ العدناني).

وختم حديثه عن العملية بالقول «أتتني مكافأة بعد كم يوم، وسألني أحد الأمراء هل أوصل لك أبو مريم العراقي المكافأة؟ فقلت له مكافأة مِن مَن؟ فقال من الأمير (أبو بكر العراقي) فأجبت لم يصل شيء، والظاهر أن أبو مريم العراقي سرق المكافأة. تجدر الإشارة إلى أن حركة أحرار الشام أعلنت نهاية شهر شباط الماضي عن مقتل «أبو خالد السوري» القيادي في الحركة في تفجير استهدف أحد مقارها في حي الهلُّك بمدينة حلب. واتهمت حركة أحرار الشام في حينها «تنظيم الدولة الإسلامية في الشام والعراق» بالمسؤولية عن التفجير لكن التنظيم نفى في وقتها أي علاقة له بتنفيذ الهجوم في بيان نشر على مواقع إسلامية على الإنترنت جاء

فيه : «لم نأمر بقتل أبي خالد ولم نستأمر، بل نحن منقطعون كلياً عن الموطن الذي كان يتواجد فيه». وأضاف البيان: أن قرارات ومواقف الدولة الإسلامية لا تصدر إلا من أبو بكر البغدادي ثم من مجلس الشورى، لا الأفراد من طلبة العلم والجنود».

قيادة أحرار الشام

تعرضت حركة أحرار الشام الإسلامية لضربة موجعة حيث تم استهداف اجتماع هام لابرز قياديي الحركة بعبوة ناسفة مزروعة في مقر للحركة داخل مبنى البحوث العلمية و يلقب بمبنى (0) في تل صندل بالقرب من رام حمدان بريف إدلب الشمالي والذي يعرف بأنه مقر أبو أيمن القائد العسكري بحركة أحرار الشام، وقتل عدد من قيادات الحركة وأبرزهم القائد عام لحركة أحرار الشام حسان عبود أبو عبدالله الحموي، مع نخبة من القيادات السياسية والعسكرية ومنهم أبو طلحة (رئيس المؤسسة العسكرية للحركة) أبو يزن الشامي (أمير الحركة في حلب سابقاً ـ عضو مجلس شورى الجبهة الإسلامية) أبو الزبير (قائد لواء الإيمان في حماة) أبو أيمن (قائد لواء بدر ومسؤول مكتب التخطيط للحركة) أحمد يوسف بدوي ـ أبو يوسف (أمير إدلب سابقاً) أبو الخير طعوم (أمير حركة أحرار الشام حديثاً بعد استقالة أبو عبدالله، أبو عبد الملك الشرعي، أبو سارية الشامي، محب الدين الشامي، أبو حمزة

الرقة، وبلغ عدد القتلى اكثر من 40 قيادي من عناصر الحركة بينهم 10 عناصر من بلدة رام حمدان).

■ **كيف تمت عملية الإغتيال ولمن؟**

يعتبر مكان الحادث من الأماكن الأكثر أمناً وتأميناً لأحرار الشام. فضلاً عن أن الإجتماع كان يدور تحت الأرض وكانت عدة حواجز تحيط بالمكان بدائرة واسعة، ما يجعل وصول سيارة مفخخة أو حتى ركنها في المكان مستحيل عملياً. «ولا يوجد لقاعة الإجتماع إلا باب واحد محروس حراسة شديدة، ما يجعل وصول أي إنتحاري للمجتمعين مستحيل. أما وجود مدخل واحد للصالة فجعلها فخاً مُحكماً للمجتمعين لأن الإنفجار الذي حصل في معمل للذخيرة هو الآخر تحت الأرض وبجوار مكان الإجتماع والغازات [أي دخان المواد المتفجرة] التي تسربت هي التي أدت لمقتل المجتمعين».

و«الإنفجار الذي حصل في المعمل لم يكن حادثاً عرضياً بل كان معداً له ومقصوداً». ولا يمكن أن يكون من زرع عبوة في المصنع إلا من صفوف أحرار الشام ومن الملمين بجغرافية المكان. ما يدل على أنه هنالك خيانة من داخل الحركة، وما يؤكد ذلك أيضاً هو قلة عدد الأشخاص الذين كانوا على علم بساعة ومكان الإجتماع، الذي أتى إليه حسان عبود من خارج سوريا القيادي المنشق عن حركة أحرار الشام، سراج الدين الشامي، كتب في تغريدات على صفحته على موقع التواصل الإجتماعي (تويتر)، حول

أسرار الإنفجار الذي أودى بحياة معظم قادة الحركة، في رام حمدان بريف إدلب.

وسراج الدين الشامي، كان انشق عن حركة أحرار الشام، في بداية عام 2014 «بسبب قرار زعيم الحركة حسان عبود الدخول في حرب ضد تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام» (داعش).

قال سراج الدين الشامي «كعادتي في كل شهر فإني أزور أماكن وجود الفصائل المحاربة للدولة في الأماكن المحررة لأطلع على الواقع بنفسي، وكما ذكرت مراراً وتكراراً فإن حالي مجهول لهم.(لي وضع خاص لا استطيع أن اذكره لأسباب أمنية، وبقدر الله كنت أزور مناطق في ريف حلب الغربي وريف إدلب الشمالي وبعد وصولي بساعة تقريباً وقع حادث مقتل قادة الأحرار المجتمعين».

في البداية ارتبكت كثيراً لأني كنت قريباً من مكان الحادثة وخصوصاً أن الناس أصبحت مضطربة، فتركت المكان وجلست في بيت صديق قديم أعرفه وقضيت ليلة عنده، وفي اليوم الثاني زرت المكان وعاينته ومن ثم زرت أبناء أحد القادة المقتولين كوني تربطني بأبيهم علاقة قديمة ومن خلال ما رأيت وسمعت تبين لي: بالنسبة للمبنى: المبنى عبارة عن ريكار للصرف المائي الزائد من مياه الأمطار وهو بعرض 4 م وارتفاع 3,5 م وطول غير معروف: حيث تم اختيار قسم من الريكار يقع في منخفض وعلى جوانبه سواتر ترابية عالية، كما تم تقسيم الجزء المختار من الريكار

إلى ستة غرف ثم تم طمر هذا الجزء بالتراب حيث لم يظهر من المبنى إلا الباب تقريباً بفتحة تهوية واحدة من الأعلى، وهذا المبنى شديد التحصين ولا يمكن أن يتأثر بالقصف أو بالسيارات المفخخة كونه مغطى بالتراب والأحجار من كل الأطراف ويرمز له بالمقر رقم صفر.

المسؤول عن المبنى ثلاثة أشخاص فقط وهم من لديهم المفاتيح وهم من لواء بدر التابع لأبو أيمن رام حمدان وقد قتلوا جميعاً، مشيرا «إلى إن الغرفة الأولى من المبنى هي عبارة عن مستودع للذخيرة وبراميل من المواد التي تستخدم في التصنيع الحربي، ومن يعرف المبنى يعلم يقيناً أن عملية استدراج القادة إلى هذا المكان مدبرة ومخطط لها، علماً أن هذا العدد من القادة لم يجتمع بهذا الشكل من قبل، كما أن التفجير تم بعبوة ناسفة لا يتعدى وزنها الواحد كيلو تم زرعها في المستودع (الغرفة الأولى) وهي التي كانت الصاعق لإنفجار باقي المستودع الذي أدى إلى تهدم الجزء الأمامي من المبنى وبالتالي سد كل فتحات التهوية علماً أن للمبنى فتحة علوية وباب واحد كما ذكرنا، كما أدى إنفجار المستودع إلى انبعاث أبخرة سامة ودخان أدى إلى اختناق كل من بداخل المبنى وهذا السر في أن معظم الجثث كانت منتفخة وسليمة».

الإجتماع كان لكل قادة الحركة وخصوصاً مجلس الشورى، وكان مخصصاً لبحث فكرتين فقط : الرفض أو الموافقة على النظام

الداخلي لمجلس قيادة الثورة المزمع تشكيله مؤخراً، وبحث موضوع الضربات الأميركية على الدولة وتبيان موقف الحركة منها، متابعاً «من قام بزرع العبوة يعلم تماماً كل صغيرة وكبيرة في المبنى وهو من أهل المكان بل هو من الذين يدخلون إلى المبنى ويخرجون بكل ثقة وبدون تفتيش».

وكل قادة الأحرار المجتمعين تقريباً كانوا في تركيا وقد دخلوا إلى سوريا قبيل سويعات من بدء الإجتماع المقرر أن يحضره القادة الكبار والشورى والقادة العسكريون. . . وأنا هنا لا أتهم أحداً ولكن من حقنا أن نسأل: أين كان أبو العباس أبو التوت وهو القائد الفعلي للحركة؟!! أين كان أبو جابر الأمير الجديد (طبعاً هو من الشورى)!!!! أين كان أبو البراء معرشمارين وهو من الشورى الأساسيين أيضاً؟!! وقائد لواء أهل السنة في ريف إدلب!!!.

كل من كان مجتمعاً قد قتل بما فيهم المرافقة ولم يسلم إلا بعض حرس السيارات كونهم كانوا بعيدين عن المكان، وكان هناك خلاف في الفترة الأخيرة بين أبو العباس وبعض قيادات الحركة حتى أن أبو العباس اعتزل العمل في الحركة وبقي في الشور، وللعلم أيضاً أبو جابر الأمير الجديد، هو من كان أحد أسباب الفتنة بين الأحرار والدولة في مدينة مسكنة في ريف حلب، والقائد العسكري الجديد للحركة وهو أبو صالح طحان إنشق عن الحركة من فترة شهر تقريباً . .فكيف عاد للحركة فجأة وتم تعيينه قائداً عسكرياً؟!!

وبعد اجتماع المخابرات الأميركية مع قادة الفصائل أخيراً في

تركيا لأخذ موافقتهم على قتال الدولة لم يستجب الأحرار لأخذ قرار فوري. .ولم يعطوا جواباً، لذلك طلبوا اجتماعاً عاجلاً لمناقشة الأمر على أن يحضر الإجتماع كل القادة البارزين بالحركة، والقرار الجديد لقادة الحركة المجتمعين كان سيتضمن رفضاً لقتال الدولة تحت راية الحلف الأميركي مع الإستمرار في قتالها بشكل منفرد كاشفاً «أن الكثير من مشايخ السوء الذين اعتمدت عليهم الحركة بالتمويل كان يعلم بهذا القرار للحركة وأنا متأكد أن قتل القادة كان بسبب هذا القرار».

قتل القادة كان رسالة واضحة من المخابرات الدولية لكل قادة الفصائل أن مصيرهم سيكون كمصير قادة الأحرار إن لم يذعنوا لقرارات الحلف الأميركي، ولاحظوا الإغتيالات المتكررة لقادة كبار وشرعيين في جبهة النصرة في الفترة الماضية.

■ من المستفيد؟

من المؤكد أن الدولة السورية ستستفيد من تصفية قيادة «أحرار الشام» التي تعتبر من الرعيل الأول في الحراك العسكري ضدها منذ بداية العمل المسلح في سورية. فعدد من القيادات وعلى رأسها حسان عبود نفسه، هم من المعروفين لدى السلطات السورية، وكانوا في سجن صيدنايا المعروف إلى أن صدر بحقهم العفو الرئاسي الشهير عام 2011. فهؤلاء مجتمعين نجحوا ببناء «حركة أحرار الشام» وهي من أكثر الفصائل تنظيماً عدةً وعديداً واحترافاً في العمل العسكري والسياسي وعمادُ ما يعرفَ بـ«الجبهة الإسلامية».

والحركة معروفة بقربها من «جبهة النصرة» فكرياً وعملانياً، فلقد خاض الفصيلان معارك كبيرة جنباً إلى جنب ضد الجيش السوري. والحركة تعتبر من المعادين لـ«الدولة الإسلامية» ولذا فإن القضاء على قيادتها سيكون مفيداً لـ«الدولة الإسلامية»، أقلّه من الناحية المعنوية، كونها تحملهما مسؤولية الصراع معها وتتهمهما بـ«الردة».

فضلاً عن أنه عندما نرى من تسلم زمام الأمور، أي القيادة الجديدة، يمكننا أن نتخيل أن الحركة تتجه نحو مزيد من الصراع مع «الدولة الإسلامية»، فالقيادات الجديدة وعلى رأسها الأمير الجديد أبو جابر المسكني؛ أي من مدينة مسكنة، وأبو صالح من مدينة تفتناز وهو القائد العسكري الجديد، لديهما ثأر قديم مع «الدولة الإسلامية» قد يؤدي لتفاقم الوضع ميدانياً. من ناحية أخرى هذه الضربة التي تلقتها الحركة، وقربها من جبهة النصرة، أديا إلى تضعضعها وانشقاق عدد كبير من جنودها نحو ذراع الفصائل الأخرى.

أسباب عملية الإغتيال

■ أنصار الزرقاوي لقتال داعش

مع دخول تنظيم الدولة الإسلامية في حرب مع فصائل المعارضة السورية بشقيها السياسي والعسكري أصيبت الأخيرة بإنهيار تام على جميع الصعد سياسياً وعسكرياً، وفقدت مناطق شاسعة في الشرق والشمال السوري فيها منابع النفط والجزء الخارج عن سيطرة الدولة السورية في مدينة دير الزور، فضلاً عن تعرضها لموجات من الإنشقاقات المتتالية في صفوف فصائلها لمصلحة داعش كما حصل في مدينة البوكمال وكما حصل في دير الزور وريف إدلب والريف الشمالي لحمص، وأيضاً في براري جبال القلمون.

مصدر قيادي في المعارضة السورية قال في حديث لنا أن تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) يسيطر على مساحات متواصلة جغرافياً فيما بينها، بعكس المناطق التي تسيطر عليها الجماعات السورية المسلحة، وأضاف أن تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) يسيطر من منطقة الهول جنوبي الحسكة

حتى بلدة الراعي في الريف الشرقي لأعزاز في الشمال على الحدود التركية، وهو يسيطر على 90 بالمائة من محافظة الرقة كما يسيطر على أكثر من 95 بالمائة من محافظة دير الزور ويسيطر في جنوب الحسكة على مساحة عشرة آلاف كلم بإتجاه دير الزور.

وتفيد مراجع في المعارضة السورية[1] أن تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) يدفع معاشات المقاتلين لديه والموظفين المدنيين في المناطق السورية التي يسيطر عليها بالدولار الأميركي وليس بالليرة السورية، ويوزع داعش المعاشات كما يلي:

1 ـ رواتب موظفين مدنيين وموظفي الدوائر الحكومية السورية التي حصلت منهم على البيعة أو أجبرتهم عليها: 200 دولار للموظف و40 دولاراً عن كل ولد.

2 ـ المقاتلين السوريين: 400 دولار للمقاتل ومائة دولار عن المراة و50 دولاراً عن كل ولد ومصاريف البنزين للسيارات مجاناً مع حساب مصروف متوسط لكل عائلة حسب إختصاص الرجل.

3 ـ المقاتلين الأجانب: بين 800 و1000 دولار للمهاجر ومائة دولار على الزوجة وخمسين دولاراً على الولد زائد منزل مجاناً وبنزين السيارة مجاناً أيضاً.

---

(1) حوار مع الكاتب.

هذا التقدم الكاسح لداعش على حساب فصائل المعارضة السورية المسلحة خصوصاً جبهة النصرة والجبهة الإسلامية وغيرها، جعل الأخيرين يبحثون عن جسم يشبه داعش يواجهونها به، وهذا ما دفع «الجبهة الإسلامية» إلى العمل على مشروع سعى لضم عدد من الكتائب المهاجرة والمقاتلين الأجانب تحت ظل منظمة واحدة كان من المقرر أن يطلق عليها إسم (جبهة أنصار الدين قبل عملية الاغتيال الجماعية التي تعرضت لها قيادات أحرار الشام).

وتتكون الجبهة تحديداً من حركة أحرار الشام ومن مجموعات قتالية غير سورية عمل بعض قياداتها تحت إمرة أبي مصعب الزرقاوي أمير قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين، كما حازت هذه المنظمة الجديدة على مباركة رجال دين أردنيين وسعوديين من انصار وأساتذة الزرقاوي وهم:

1 - عاصم البرقاوي الملقب أبو محمد المقدسي وهو أردني من أصل فلسطيني من أبرز منظري التيارات السلفية المحاربة موجود في أحد سجون الأردن حالياً، ويعتبر أستاذ أبي مصعب الزرقاوي عندما جمعهما السجن في الأردن.

2 - إياد القنيبي: داعية سلفي أردني من المؤيدين لجبهة النصرة وكان من الذين عملوا على **مبادرة الأمة** للمصالحة بين أبي بكر البغدادي وأبي محمد الجولاني التي باءت بالفشل.

3 ـ سليمان العلواني: داعية سلفي سعودي موجود في أحد سجون السعودية منذ عام 2004 بتهمة التعامل مع أبي مصعب الزرقاوي ومعارضة النظام السعودي. وورد في النقطة الثالثة من حكم الإتهام الموجه له (تـاييده وتواصله ودعمه المادي والمعنوي لبعض قيادات وزعامات تنظيم القاعدة الإرهابي خارج البلاد، أمثال أبي مصعب الزرقاوي وأشباهه ممن هم على نفس منهجه، ما يعد خيانة لبلده وإعانة لأعدائها وتكثيراً لسوادهم ونشراً لمذهبهم الفاسد).

وفي سعيها لإستخدام الجيهة الإسلامية في الحرب ضد داعش أرسلت الولايات المتحدة بداية شهر آب 2014 من مستودعات موجودة في تركيا شحنات كبيرة من السلاح إلى «الجبهة الإسلامية» الموجود بخاصة في الشمال السوري، وتحديداً في مدينتي أعزاز ومارع، بعد إنسحاب قسم من جبهة النصرة إلى منطقة محردة غرب حماة، وذوبان الجماعات الباقية لتنظيم الإخوان تحت عباءة المجموعتين من أجل الحصول على السلاح للأميركي دون المخاطرة بالإعتراض السعودي.

هذا السلاح الأميركي الجديد أتى مشروطاً بقيام الجبهة «الإسلامية» بشن حرب على داعش في المناطق التي سيطر عليها أخيراً ودحره حتى الرقة، وكانت الخطة تلحظ قيام الطيران الأميركي بعمليات قصف تزامناً مع الهجوم الذي سوف تشنه الجبهة الإسلامية وهذا بعدما تم التوافق الروسي الأميركي على تدخل

سلاح الجو الأميركي فوق المناطق الخاضعة لسلطة داعش في الشرق والشمال السوريين.

وأرادت الولايات المتحدة في إعادة التموضع الجديد الذي قررته خلق ثلاث مناطق سيطرة على الأرض في سوريا واحدة؛ في الرقة وأقصى الشرق توجد فيها داعش، وثانية في الشمال السوري خاضعة للجبهة الإسلامية وثالثة في الوسط حتى 40 كلم جنوب دمشق خاضعة لسيطرة الدولة السورية.

هذه المحاولة كانت السبب الأساس الذي أدى إلى عملية الرغتيال الجماعية التي تعرضت لها قيادات الصفين الأول والثاني في حركة أحرار الشام.

■ **إحتلال مطار الطبْقة**

لم تشهد الساحة السورية صداماً عسكرياً مباشراً بين الجيش السوري وتنظيم داعش طيلة عام 2013 والنصف الأول من عام 2014، حيث كانت داعش تخوض الحرب مع رفاق الأمس في السلاح من التنظيمات السلفية السورية المحاربة وقيادتها التاريخية، ولم يحصل الصدام الكبير والمباشر بين الجيش السوري وداعش إلا بعدما هاجمت الأخيرة الفرقة 17 القريبة من الرقة والتي كانت محاصرة لمدة عامين من قبل تنظيمات سلفية سورية محاربة، ومن ثم حصلت معركة اللواء 93 ومعركة مطار الطبقة التي شكلت منعطفاً في استراتيجية داعش التي قررت المواجهة العسكرية مع المعارضة

السورية ومع الدولة السورية، وهذا أتى بعد معركة الموصل وإنشاء التحالف الدولي لقتال داعش.

شكل مطار الطبقة القوة العسكرية الأساس للدولة السورية في ريف الرقة، وهو كان الرديف والمساند للفرقة 17 واللواء 93 اللذين خاضا حصاراً من قبل جبهة النصرة دام أكثر من عام، حتى أتى (داعش) إلى المنطقة هازماً جحافل المعارضة السورية الإسلامية والعلمانية ومسيطراً على الأرض في الشرق السوري.

شن داعش هجماتٍ متتالية على المطار الذي يبعد حوالى 45 كلم عن مدينة الرقة، وقد شن انتحاريو داعش خمس عمليات إنتحارية ضد البوابة الرئيسة للمطار واستمرت المعارك الطاحنة لمدة خمسة أيام متتالية، وقد دكت مدفعية ودبابات «الدولة الإسلامية» المطار وتحصيناته لمدة خمسة أيام قبل البدء بالهجوم». وذلك قبل أن تنجح عملية إنتحارية، في فتح كوة في البوابة الرئيسة للمطار، واستخدمت داعش صواريخ حرارية استولت عليها في اللواء 93 في ضرب مدافع اللواء، 23 المدافع عن المطار وقد استخدمت هذه الصواريخ في تدمير عشرات المدافع الرشاشة من طراز 23 ذات الكثافة النارية العالية والتي كانت تتحصن داخل المطار بشكل دائري ما يجعل نيرانها ساحقة لصد أي هجوم ويبدو أن الجيش السوري فوجىء بتكتيك داعش ويدل على هذا الأمر أنه عشية السقوط استقدم الجيش فريقاً إعلامياً تابعاً للأخبارية السورية ما يدل نْ

المعنيين والقيادة العسكرية كانت مطمئنة للموقف العسكري ولقوة المطار وإمكانية صموده، وليس من الواضح ماذا حصل بعد سقوط المطار خصوصاً بعد إنسحاب مئات الجنود السوريين منه ومحاصرتهم في المنازل المحيطة به حتى نفاد ذخيرتهم ولم تنجح كل محاولات إنقاذهم التي يبدو أنها أتت من غير دراسة ولم تكن في الحسبان ما زاد المقتلة قتلاً وقد اعدمت داعش مئات العسكريين السوريين في الصحراء بعد هذه المعركة.

بعد معركة مطار الطبقة كان توجه داعش نحو مطار دير الزور غير أن الوضع في تلك المحافظة إنقلب على التنظيم بعد ثورة الشعيطات[1] والمذابح التي ارتكبها التنظيم بحق هذه العشيرة، كما أن تحصينات المطار أيضاً سببت تراجع داعش عنه وانتقاله إلى جبهة أخرى ضد الأكراد هذه المرة وتحديداً في مدينة كوباني.

ويذكر تقرير إستخباري لتنظيم داعش[2] الصعوبات التي تكتنف أية محاولة للهجوم على مطار دير الزور ويقول التقرير الحصري هذا:

السعي لإحتلال مطار دير الزور بعد الطبقة وصراع أجنحة داعش في تقرير لأحد مخبري التنظيم..

الجميع يترقب انقضاض جنود الدولة الإسلامية على مطار دير

---

(1) انظر الأرشيف من وثائق الكاتب تقرير مخابرات داعش عن مذبحة الشعيطات.

(2) من ارشيف الكاتب.

الزور العسكري بل إن هناك من بات يتكلم بكل ثقة على أن المطار أصبح بحكم المنتهي والمسيطر عليه لكن الذي سوف نقوم بتوضيحه الآن من معلومات ربما يمنح رؤية أفضل وأوسع لحقيقة المشهد الميداني لغرفة عمليات دولة الخلافة في دير الزور وموقف المجاهدين العسكري حالياً من المطار.

مطار دير الزور العسكري يمتد على مساحة شاسعة من الأراضي ويبعد عن المدينة حوالي 10 كم ويضم قرابة 2500 جندي بقيادة العميد عصام زهر الدين كما يحتوي المطار على سرب طائرات من طراز ميغ 21–23 ومدرجين بطول 3 كم ويقدر عدد طائرات الميغ الموجودة فيه بحوالي 25 طائرة مع سبع مروحيات نجح بعضها بالهروب من مطار الطبقة العسكري.

يحيط بمطار دير الزور العسكري الفوج 117 دفاع جوي ولواء التأمين الثالث وكتيبة الرادار ومستودعات عياش العسكرية ناهيك طبعاً عن قوات النظام المتمركزة في معسكر الطلائع وكل من أحياء الجورة والقصور والبغيلية من الغرب ومن الشرق وهرابش والطحطوح وجزء من العمال والصناعية إضافة إلى سيطرة بمرابض المدفعية على الجبل المطل على المدينة حيث تحمي هذه المرابض ما لا يقل عن كتيبتي مشاة.

هذه الصورة العسكرية الميدانية والتي تدعم أبسط النظريات العسكرية قولاً من كون السيطرة على مساحة واسعة لديها كثافة نيرانية عالية تحتاج كثافة أكبر منها بإستخدام كل من الطائرات

والصواريخ، الأمر طبعاً الذي لاتملكه قوات الدولة الإسلامية أمام النظام، ونحن نعرف ذلك جيداً لذلك قام الإخوة في شرطة الدولة الإسلامية بمصادرة كل أجهزة النت الفضائي في مدينة موحسن بالأمس رداً على عمليات التضخيم الإعلامي للسيطرة على المطار وتعريض حياة عناصر التنظيم للخطر.

لكن المهم جداً هو ما تمكنت مصادرنا الميدانية من معلومات خطيرة حصلت عليها والتي تفيد بحدوث صراع داخل أنصار الدولة الإسلامية من السكان المحليين في المدينة على أثر مقتل عدد من الأمراء والقياديين من مجاهدي الدولة الإسلامية خلال غارة نفذتها طائرات النظام على مبنى المحافظة القديم في المدينة وعلى رأس الشهداء الشهيد بإذن الله يوسف القزبير (أبو دجانة البلد) ويبلغ من العمر 30 عاماً والشهيد سوري من سكان حي الجورة وتعود أصوله لقرية جديد عكيدات الحاضن الأكبر في الريف لقوات الدولة الأسلامية.

ونحذر من أقوال بعض العملاء من أقرباء الشهيد (أبو دجانة البلد) وأغلبهم سوريون ومن أقربائه أن أبو دجانة تمت تصفيته بكواتم للصوت ولم يقتل في التفجير ويحملون المسؤولية للجهاز الأمني في الدولة الذي سمح بعملية الإختراق والتصفية من أجل تسليم أحد المهاجرين الإمارة في دير الزور كما يروجون فيما يتهم الفريق الثاني من جنود الدولة الإسلامية وأغلبهم من المهاجرين جماعة من أقرباء الشهيد أبو دجانة بأن فيهم عملاء للنظام وهم من

أعطوا إحداثيات الزمان والمكان ليتمكن النظام من قصف المقر وقتل من فيه.

بيد أن البعض داخل البلدات يهمس أن هناك عناصر تم اعتقالها داخل جيش الدولة وحالياً يتم التحقيق معها لأمور جِدّ خطيرة ومنها اغتيال أبو دجانة البلد.

هذا الصراع داخل المدينة سوف يضعف إمكانيات الدولة لذلك وبناء على طلب أمير الميادين توجهت أرتال الدولة التي كانت قادمة من الطبقة لمدينة دير الزور إلى مدينة الميادين وذلك بعد إصرار أمير الميادين هناك (سعيد الغناش) على عدم زج هذه القوة القادمة من الطبقة بهذا الصراع الطارئ في دير الزور إضافة إلى بحث إمكانيات الهجوم على مطار دير الزور التي هي الأخرى تشهد انقسامات حادة بين قادة الميدان في الدولة، فهناك من يدفع باتجاه البدء بعملية عسكرية شاملة وهناك بعض الاخوة من يطلب التريث ومفاجأة معسكر قوات النظام القريب من مدينة تدمر والسيطرة على هذه المدينة الإستراتيجية التي تقع كنقطة مركز بين كل من دمشق وحمص ودير الزور ومن ثم التحكم بخطوط إمداد النظام وإمداد المعارضين معه.

إذاً، رأينا انه في حال هجوم الدولة على مطار دير الزور العسكري فالخسائر سوف تكون كبيرة إضافة إلى أنه يحتاج أكثر من 15 يوماً لإنهائه من معارك مستمرة وكثافة نارية قوية وأن ما روِّج في الأيام القليلة الماضية عبارة عن ضخ إعلامي كبير لا يصب في

مصلحة الدولة الإسلامية وقد صادر الإخوة في جهاز شرطة الدولة كل أجهزة النت من مدينة الموحسن وأبقت فقط على جهاز واحد للمشفى الميداني.

- **معلومة أخيرة**

نتصح ببناء غرفة عمليات خاصة أمنية لتبدأ بإدارة عمليات التخريب والإغتيال في كل من حلب وإدلب لان معلوماتنا تفيد عن تجميع قوى للمرتدين وقرروا بالسرعة الممكنة إنشاء غرفة عمليات تدار من تركيا تركز على اختراق قوات الدولة الإسلامية بشكل أقوى وأوسع وإستثمار اي حالة من الخلاف مع العشائر المحلية.

الهجوم على كرد سوريا

بعد تراجع قوات تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) عن خطتها الأساس بالهجوم على مطار دير الزور، توجهت أرتالها نحو مدينة كوباني الكردية في سورية واسمها العربي (عين العرب) وهي تعتبر معقلاً لحزب الاتحاد الديمقراطي الكردي، الفرع السوري لحزب العمال الكردستاني، وهي مسقط راس صالح مسلم رئيس الحزب الديمقراطي الكردي السوري الذي أسس قوات (أسايش) وهي ميليشيا كردية أنشئت خلال الحرب السورية ومجال عملها المناطق الكردية في سوريا.

وشَنّ داعش هجوماً كبيراً على مدينة عين العرب (كوباني) الكردية على الحدود مع تركيا وهو في نطاق سعيه للسيطرة على منطقة كوباني السورية الكردية على الحدود مع تركيا، يريد فتح طريق نحو منطقة الجزيرة حيث تفصل كوباني بين جرابلس الواقعة تحت سيطرة داعش ومنطقة الجزيرة الغنية بالماء والأراضي الخصبة التي تحتاجها داعش لتأمين إنتاج ذاتي مستقل. وتحيط بكوباني مجموعة قرى يبلغ عددها حوالى 400 قرية كردية تؤمن الدفاع

عنها، وهذا ما يجعل إحتلالها أمراً صعباً حيث يوجد عشرات الألاف من أبناء العشائر الكردية وهناك أسلحة كثيرة في المنطقة، وتؤكد مراجع في المعارضة السورية أن حزب العمال الكردستاني أرسل قبل بدء معركة كوباني حوالى 900 مقاتل إلى المدينة كما أن القيادات العسكرية الكردية التي تخوض المعركة هي من قيادات الصف الأول في حزب العمال الكردستاني وغالبيتها من أكراد تركيا وفي حال سقطت كوباني سوف تجعل جميع المناطق الكردية في سوريا في متناول سيطرة داعش، لذلك شهدت كوباني ومحيطها مقاومة كردية شرسة لأن المناطق الكردية الباقية سهلية وليس فيها جبال للدفاع عنها، بينما تعتبر القرى المحيطة بكوباني نقاط دفاع مهمة لصد هجمات داعش ووضع تنظيم الدولة الإسلامية كل ثقله في هذه المعركة التي اشتركت فيها تركيا بشكل غير مباشر مع داعش ضد عدوها الكردي.

هذه المعركة إرادتها تركيا مطية لإتزاز الولايات المتحدة في حربها ضد داعش، وانتهزت تركيا الفرصة فيها للقضاء على حزب العمال الكردستاني والإدارة الذاتية الكردية في سوريا، واعتمد أردوغان خطة من ثلاثة بنود للتعامل مع هذه المعركة محلياً ودولياً:

أ ـ يعلم أردوغان أن الضربات الجوية الأميركية ضد «داعش» لن تحسم المعركة وأميركا بحاجة إلى جنود على الأرض، وليس هناك غير الجيش التركي قادراً على تنفيذ هذه المهمة

لدعم الاستراتيجية الأميركية ضد «داعش»، وهنا وضع أردوغان شرطه المسبق إسقاط النظام السوري لكن واشنطن تجاهلته.

ب ـ أعاد أردوغان التذكير بالخطة التركية القديمة بإقامة منطقة عازلة في الشمال السوري، ووضع المنطقة العازلة شرطاً للتدخل في كوباني وإخراج «داعش» منها، أيضاً هنا كان رد واشنطن التجاهل.

ج ـ خلال هذا الأخذ والرد والرفض التركي التدخل في كوباني بدا أن المدينة توشك على السقوط بيد «داعش»، وهذا يضعف مكانة حزب العمال الكردستاني عدو تركيا الأول.

هنا يمكن القول إن تركيا تدعم «داعش» في شكل سري لسحق الأكراد في شمال سورية، وفي الوقت نفسه تعرض على واشنطن المساعدة في حربها ضد «داعش»، بشرط قبول واشنطن بأطماع تركيا في الأراضي السورية الذي يمهد لتقسيم المنطقة.

وضمن هذه الحفلة من الشروط التركية كم يملك أوباما من الوقت لإستيعاب شروط أردوغان. هنا يبدو في موضوع منطقة الحظر الجوي أن وزارة الدفاع الأميركية ترفض هذا الأمر على رغم أن هناك آراء معتبرة في واشنطن تؤيد المنطقة العازلة في شمال سورية.

يوم 10 تشرين اول عام 2014 أثناء إحتدام معركة كوباني ومع

القصف الأميركي الجوي زار الأمين عام للحلف الأطلسي أنقرة في الوقت نفسه الذي وصل فيه إلى تركيا المسؤول الأميركي عن الملف السوري، جون ألين، لبحث موضوع المنطقة العازلة وإمكانية التغطي بموضوع الدفاع عن تركيا، العضو في الأطلسي.

هذا التحرك التركي الأطلسي إخرج إيران عن صمتها، وقد وجهت إنذاراً قوياً لتركيا:

(أي عبور تركي للحدود السورية سوف ينتج منه أزمات لا يمكن إصلاحها)، هذا التصريح صدر عن الناطق باسم الخارجية الإيرانية تعليقاً على قرار البرلمان التركي بالسماح للحكومة بإرسال قوات تركية إلى سورية.

هذا الكلام الإيراني العنيف وغير المسبوق بحق دولة كبيرة وجارة مثل تركيا، يظهر كم أصبحت الأمور في المنطقة قابلة للتفجير أكثر وأكثر. فالإيرانيون يعون لعبة أردوغان الحالية ولذلك قرروا التحرك وأنذروا أنهم جادون بتنفيذ تحذيراتهم.

في موضوع تدخل الأطلسي بحجة حماية تركيا، يقدر أردوغان أن أي تحرك للجيش التركي في سورية تحت غطاء حلف شمال الأطلسي، سيمنع روسيا وإيران من القيام بأي عمل لمواجهة هذا الهجوم.

طهران التي فهمت المراد التركي صرحت عبر الناطق بإسم الخارجية، يو 11 تشرين الأول 2014 أنها مستعدة للتدخل العسكري

في كوباني في حال طلبت الحكومة السورية ذلك، بمعنى آخر نزعت إيران من أردوغان حجة التدخل في سورية بغطاء أطلسي وهذا ما أثار غضب المعارضة التركية ضد أردوغان، لأن حصول الأكراد على انتصار في كوباني بمساعدة إيرانية سوف يقلب المعادلة الكردية كلياً في تركيا.

وتخشى طهران أن يؤدي غبار معركة كوباني بخسارة كردية إلى تفرغ قوات جاعش الجديد للتوجه بإتجاه بادية دير الزور المؤدية إلى حمص حيث يتواجد حزب الله.

فشل مفاوضات جنيف
سارع في بروز قوة داعش

في بداية عام 2014 كانت مفاوضات جنيف حول سوريا تتعثر، وكان صراع السعودية وقطر على الساحة السورية وفي أكثر من ساحة عربية أهمها مصر، يكبر وتكبر معه صراعات الفصائل المحاربة في سوريا، واتكلت قطر في صراعها هذا على تحالفها مع تركيا التي اعتمدت جماعة الإخوان المسلمين عالمياً حليفاً لتنفيذ سياستها في الدول العربية التي شهدت اضطرابات بعد الربيع العربي.

أتى هذا الصراع على مصداقية الفصائل السورية المعارضة في الميدان، خصوصاً في توجهاتها العقائدية التي ذهبت بإتجاه التطرف التكفيري أكثر فأكثر، وأثر هذا على اتفاق فصائل المعارضة على الإئتلاف المعارض وعلى قرار المشاركة في عملية جنيف 2 التي كانت تريدها الولايات المتحدة الأميركية في عملية تقطيع الوقت في التجاذب مع روسيا.

الولايات المتحدة أرسلت تطلب قيادات الكتل في الإئتلاف

السوري المعارض لإجتماع طارئ مع السفير الأميركي السابق في سوريا روبرت فورد عقد يوم الأربعاء 15 كانون الثاني عام 2014 في إسطنبول. الإستدعاء الأميركي أرفق بتهديد الكشف عن فضائح شخصية بكل من يتمنع عن الحضور إلى إسطنبول أرفق برسائل تحذير الجميع بقطع التمويل.

حضر في الإجتماع إضافة إلى فورد جميع قيادات الكتل في الإئتلاف المعارض والذين كانوا من أشد المعترضين على عقد مؤتمر جنيف 2 (لؤي صافي، أنس العبدة، هيثم المالح، برهان غليون، رئيس الكتلة التركمانية نجيب الغضبان عن جماعة الإخوان المسلمين في سوريا، ماهر النعيمي القيادي العسكري في جيش الإسلام).

بدأ روبرت فورد الحديث قائلا: نبلغكم أن بندر بن سلطان موجود في الولايات المتحدة في إجازة مرضية طويلة بسبب توتر في مرض (الديسك) الذي يعاني منه في ظهره وبسبب إعياء نفسي.

كما نبلغكم عن تغييرات سوف تحصل في السعودية خلال شهر آذار المقبل سوف تطال كلاً من بندر بن سلطان وآخرين وهذه التغييرات لن تكون دفعة واحدة ولكن عملية التسلم والتسليم الفعلي يجب أن تتم الان.

ونبلغكم أن الولايات المتحدة طلبت من سعد الحريري المشاركة في حكومة لبنانية فيها حزب الله.

ونبلغكم أن اللجنة السعودية الخاصة بلبنان وسورية سوف يعاد تفعيلها وهي مؤلفة من (عبد العزيز الخوجة، عبد العزيز بن عبدالله آل سعود، مقرن بن عبدالله آل سعود) وهذه اللجنة سوف تتسلّم الملف اللبناني والسوري من بندر بناء على طلب أصدقائنا السعوديين.

وقال فورد لأعضاء الوفد:

لقد كانت خطة (بندر، بترايوس) للأزمة السورية، والتي وضعت عام 2012 كارثية النتائج على سوريا والمنطقة وجعلت من سوريا مركزاً قوياً للقاعدة يصعب على الولايات المتحدة مواجهته، لذلك الآن مطلوب منكم وقف الإعتراضات والتوجه إلى جنيف، هذا مصلحة الولايات المتحدة الأميركية.

وقالت المصادر إن فورد بدأ بالتوجه للأقطاب الحاضرين فرداً فرداً كل حسب وضعه:

قال فورد لميشال كيلو:

علاقتك الآن معنا وليست مع بندر وهذا بناء على طلب من أصدقائنا السعوديين.

فورد مخاطباً هيثم المالح:

لقد دفعنا لك أربع مرات تمويلاً من أجل المحكمة الجنائية ونحن نعرف أنك لم تقم بشيء لكننا كنا نريد أن تستقر في مكتب فاخر وأن تتحسن أوضاعك المادية، وأنت الآن مطلوب منك

التصويت بنعم على حضور جنيف 2 وإيجاد فتوى قانونية تجعل القرارات بنسبة النصف زائد واحداً بدل ثلثي الأعضاء.

فورد لبرهان غليون: أنت انتهيت منذ زمن طويل.

برهان غليون: أنا سوف أحضر جنيف 2.

فورد: سمعت عكس ذلك.

غليون: كلها إشاعات أنا سوف أحضر.

وتوجه فورد إلى اثنين من قيادات جبهة ثوار سوريا كانا في الإجتماع (ماهر النعيمي وجمال معروف) قائلا تلزمنا موافقتكم على مؤتمر جنيف والأطراف الأخرى في الجبهة سوف تلتزم، إتصلنا بهم وقلنا لهم إذا لم ترغبوا بالحضور ليس هناك مشكل ولكن نريد موافقتكم وإلا سوف نقطع عنكم المساعدات.

وقال فورد لممثل الوفد التركماني أنتم في الإئتلاف لا تستحقون أكثر من ممثل واحد ولكن إرضاءَ للأتراك أعطيتم أكثر من حجمكم. المطلوب الآن منكم أن تصوتوا بنعم لمؤتمر جنيف 2.

وتوجه فورد إلى ميشال كيلو قائلاً: المشكلة ليست في الوفد ولا في الخبراء، المشكلة في التنسيق معنا، نحن نريدكم أن تنسقوا معنا في المفاوضات.

أحمد داوود أوغلو حضر يوم 16 إلى إسطنبول والتقى فورد طالباً منه توضيحاً عن ما قاله في الإجتماع مع الإئتلاف خصوصاً ما قاله للوفد التركماني، وكان جواب فورد مماثلاً لكلامه في

الإجتماع: (التركمان في سوريا أقلية وحجمها لا يسمح لها بالتمثيل بأكثر من شخص واحد في الإئتلاف).

في اليوم التالي اقتيد أعضاء الإئتلاف شبه مخفورين إلى الفندق الذي جرت فيه المناقشات وعملية التصويت للحضور إلى جنيف 2. وفي المعلومات أنه عند الساعة الثانية صباح يوم الجمعة الماضي 17 كانون الثاني 2014 تم الإتصال بجميع أعضاء الإئتلاف السوري المعارض الذين وجدوا في إسطنبول للتصويت على حضور جنيف 2، وطلب من الجميع أخذ ملابس لمدة يومين والنزول إلى بهو الفندق والصعود في الباصات التي ركنت في الخارج ولم يتم أخبارهم إلى أين تتجه بهم الحافلات حتى وصلوا إلى الفندق الذي بقوا فيه يوماً وليلة حتى تم التصويت بنعم على المشاركة في جنيف 2.

وكان روبرت فورد قد أنّب الحاضرين وقال لهم (نحن من صنعناكم لن نقبل بعد اليوم أن توجهوا إنتقادات للولايات المتحدة، لا يمكن لكم أن تنتقدوا الولايات المتحدة عندما يحلو لكم ذلك). وقال فورد لوفد الإخوان: إنكم أصلاً مهمشون ورفضكم الذهاب إلى جنيف 2 سوف يزيد تهميشكم بينما في ذهابكم فائدة لكم وسوف نزيد من عملية دعمكم وتحافظون على ملف الإغاثة.

الوفد السعودي طمأن الأميركي في جنيف أن (الشيخ) سعد الحريري سوف يقوم بدفع الأموال اللازمة لتأمين الأصوات اللازمة للذهاب إلى جنيف، وبالفعل حضر النائب في البرلمان اللبناني

(عقاب صقر) من باريس إلى إسطنبول وبدأ بتوزيع كميات كبيرة من الأموال حسب قول قيادي في المعارضة، الذي أكد لنا حصول القائد العسكري في جبهة ثوار سوريا (جمال معروف) على مبلغ مليوني دولار فيما حصل هيثم المالح على مبلغ مائة ألف دولار حسب موقع (المشاكس) السوري المعارض الذي يقيم مديره في الولايات المتحدة الأميركية.

وينقل عن ميشال كيلو إحباطه من ما يجري، ونقل هو عن فورد قوله أن الهدف الأميركي هو إيصال وفد سوري معارض ضعيف إلى جنيف حتى يتحكم الأميركي بكل مفاصل المفاوضات وهذا ما أشار إليه فورد لكيلو خلال اجتماع مع قيادات الإئتلاف في إسطنبول عندما قال له (المشكلة ليست في الوفد ولا في الخبراء، المشكلة في التنسيق معنا نحن نريدكم أن تنسقوا معنا في المفاوضات).

وقد طلب فورد من (أنس العبدة، نجيب الغضبان، فاروق طيفور، أحمد رمضان) أن يعملوا على الحصول على ما يمكن من الأصوات، وطلب من الجماعة التي تسمى جماعة قطر في حال قررت عدم التصويت أن تغادر القاعة عند بدء العملية حتى لا تعطل النصاب فخرج 44 شخصاً من القاعة من أصل 120 وبقي 75 بينما غاب كمال اللبواني وحضر كل من (23 عضواً من كتلة الإخوان التي تتألف من 28 ومجموعة ميشال كيلو 20 عضواً ومجموعة التركمان 6 أعضاء ومجموعة إعلان دمشق 15 عضواً ومجموعة

الأكراد 11 عضواً وبذلك أصبح المجموع 75 عضواً حضروا جلسة الإنتخاب). وهنا أخرج هيثم المالح فتوى قضائية تقول أن النتيجة تكون ثلثي الأعضاء الحاضرين وليس مجمل الأعضاء في الائتلاف، وقد صوت 58 عضواً لصالح الذهاب إلى جنيف أي أكثر من ثلثي الأعضاء الحاضرين ولكن أقل من نصف عدد أعضاء الإئتلاف الكامل وهو 120 عضواً وبذلك تم تأمين التصويت للـ (نعم).

بعد أربعة أيام إنعقد مؤتمر جنيف 2 في مونترو في سويسرا ومساء يوم الأربعاء 22 من شهر كانون الثاني في مقر إقامة الوفد الأميركي حصل إجتماع بين السفير الأميركي السابق في سوريا (روبرت فورد) ووفود الدول العربية والغربية المشاركة في مؤتمر جنيف 2 في مونترو السويسرية.

بدأ الوفد السعودي بالسؤال عن الأخبار التي تؤكد حصول إتصالات أميركية سورية عالية المستوى، ونُقل عن السعودي قوله في الجلسة أن مسؤولاً أميركياً كبيراً زار دمشق عدة مرات، والتقى فيصل المقداد، وأن السفير الأميركي في لبنان (دايفيد هيل) هو الموكل بهذه الإتصالات متسائلاً: هل هذا يتم بعلم فورد وفريقه؟

روبرت فورد: إذا كان هناك إتصالات أمنية تتعلق بحاجة الولايات المتحدة في حربها على الإرهاب فهي لا تعني وزارة الخارجية الأميركية ولا تعني الموقف الدبلوماسي الأميركي من السياسة السورية. الإتصالات الأمنية مع دمشق تتعلق بالأمن القومي

الأميركي وأمن الأميركيين وليس من مهمتي أن أنفي أو أؤكد حصول هذه الإتصالات وحصول هذه الإتصالات لا يعني اعترافاً أو عدم اعتراف.

- نحن نعرف أن وضع النظام السوري جيد وقوي، لكننا نعرف أيضاً أن أي تأخير في عقد مؤتمر جنيف 2 لن يخدم المعارضة السورية خصوصاً أن الأطراف المعارضة ليست مستعدة للتفاوض وليس بينها أي توافق.
- سقف توقعاتنا منخفض لكن لم يكن أمامنا خيارات كثيرة..
- نعتقد أن عقد المؤتمر حالياً أفضل حتى لا تتفاقم الخلافات وسط المعارضة أكثر من ذلك فتصبح مسالة جمعها أصعب.
- المهم إعتراف النظام السوري بهذا الوفد تحديداً وهذه المعارضة أنها الممثل الوحيد لكل أطراف المعارضة السورية لأن هذه السابقة سيكون من الصعب تغييرها أو تعديلها في المستقبل، واعتراف النظام بهذا الوفد يناسبنا حتى تبقى الأمور وفق توجيهاتنا، وتحت السيطرة.
- بعد المطالب عالية السقف التي سنعلن عنها في جلسة الافتتاح لكسب ود الرأي العام، الآن علينا أن نفهم أن المفاوضات يجب أن تجري في إطار تحقيق أي شيء مهما قلّ، حتى لا يعود وفد الإئتلاف فاشلا.
- نحن سوف نشرف على كل شيء حتى لا يبقى وفد الإئتلاف وحده، ويستفيد النظام من نقاط ضعف هذا الوفد..

- يجب العمل بحنكة كبيرة بحيث نجرّ وفد السلطة إلى النقاط التي يستطيع وفد الإئتلاف الإلتزام بها، خصوصاً أنه سوف يطلب من الإئتلاف الإلتزام بالتأثير على مجموعات مسلحة ليست على علاقة جيدة مع الإئتلاف.
- من الأفضل التركيز على ملفات تفيدنا وتبعد الأنظار عن مطالب النظام بضرورة التأثير على الجماعات المسلحة ووقف إطلاق النار.
- علينا التركيز على قضايا الحصار، وفتح ممرات آمنة، وطرح مسائل حول دخول قوات حفظ سلام دولية (لأن النظام سوف يرفضها).

خطة واشنطن لإعادة صياغة الجيش السوري

وضعت الإدارة الأميركية خطة شاملة وترغب في الدخول من خلالها إلى موقع القرار داخل المؤسسة العسكرية السورية بعدما فقدت الأمل في إنهيارها عن طريق المعارضات المسلحة أو عبر تدخل عسكري مباشر كما حصل في العراق. وفد عسكري معارض كان في طريقه إلى جنيف يوم 21 كانون الثاني/ يناير 2014، غير أنه تم تأجيل ذهابه إلى الجولة الثانية من المفاوضات بسبب خلاف بين الوفد العسكري وبين السفير الأميركي السابق في دمشق روبرت فورد على صلاحيات الوفد العسكري المؤلف من أربعة ضباط كبار في المعارضة هم من ضمن آلاف العسكريين والضباط الذين تقوم الولايات المتحدة بتأهيلهم في الأردن وتركيا بهدف إدخالهم ضمن المؤسسة العسكرية السورية في حال حصول تسوية سياسية مستقبلاً.

وكان من المقرر أن يحضر إلى جنيف أربعة ضباط يمثلون المجموعات المسلحة على الأرض، وقد حصل هؤلاء على تأشيرات دخول لسويسرا من تركيا ومن الأردن، غير أنهم إشترطوا

لحضورهم أن يحصلوا على حق الفيتو ضد أي إتفاق يتم تسويقه مع الدولة السورية في جنيف، وهذا ما رفضه السفير الأميركي السابق في دمشق روبرت فورد متوجهاً إلى عضو الوفد العسكري ماهر النعيمي، وهو نائب جمال معروف قائد جبهة ثوار سوريا، بالقول «هناك دول خمس تتمتع بحق الفيتو»، وقد قرر فورد إلغاء مشاركة العسكريين في الوفد وكان الوفد يضم العسكريين التالية أسمائهم:

- ماهر النعيمي مساعد جمال معروف قائد جبهة ثوار سوريا.
- احمد النعمة قائد المجلس العسكري الثوري في درعا[1].
- سعد عبد الإله.
- عبدالله البشي

وقد تم إستبعاد جمال معروف كونه ليس عسكرياً منشقاً عن الجيش السوري. وتقوم الخطة الأميركية على إدخال الآلاف من مسلحي المعارضة ضمن الجيش السوري في أية تسوية مستقبلية، وهي طلبت من روسيا أن يكون لها ثلاثة إلى أربعة ضباط في رئاسة الأركان السورية مستقبلاً، فضلاً عن المطالبة بأربعة وزراء في أية حكومة تنتج عن تسوية سياسية في سوريا.

رفضت سوريا وإيران وروسيا، هذه الخطوة الأميركية وقال الجانب الروسي للأميركي أنه في هذه الحالة سوف يتم إدخال قوات الدفاع الشعبي أيضاً، على أن يوضع المعارضون وقوات

(1) خطفته جبهة النصرة وأعلنت إعدامه.

الدفاع الشعبي في قطاعات خاصة بعيدة عن جسم الجيش السوري..

هذه الخطة الأميركية فشلت في جولة المفاوضات الثانية والأخيرة من جنيف 2، رفضها الجانبان الروسي والسوري وفي محادثة جرت بين وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف ونظيره الأميركي جون كيري في جنيف. قال لافروف لكيري «تريدون القول للعالم أن الوفد السوري يعرقل كل شيء وأن وفد المعارضة يسهل كل الأمور جيد، وماذا بعد ذلك؟ سوف تذهبون لمجلس الأمن أنتم تعلمون جيداً أن هذا الطريق مسدود، تعالوا لنكمل اتفاقنا.

غير أن هذا الكلام غير الودي لم يكن الوحيد الذي دار بين الطرفين الروسي والأميركي في جنيف 2، فخلال الإجتماع الذي عقد قبل يوم من إنتهاء الجولة الثانية من مؤتمر جنيف 2 وإستمر ساعة ونصف الساعة بحضور الأخضر الإبراهيمي دون التوصل إلى إتفاق الحد الأدنى حول سوريا، لحظة قال غيتالوف للمسؤولة الأميركية (أنتم تتصرفون في سوريا مثل صبية الشوارع). فأجابت شيرمان (أنتم تتصرفون في سوريا مثل قطاع الطرق)، ما جعل الأخضر الإبراهيمي الوسيط الدولي في مفاوضات جنيف يسارع إلى تعليق الجلسة بعدما شعر أن الأمر بين الطرفين خرج عن اللياقة الدبلوماسية.

التشدد الروسي في جنيف 2 كان واضحاً بسبب بدء الأحداث في أوكرانيا حينها وشعور موسكو أنها مستهدفة مباشرة في خاصرتها الأوكرانية.

■ **ماذا جرى في الإجتماع الأكثر سوءاً بين لافروف ووفد الإئتلاف السوري المعارض؟**

بين جولة التفاوض في جنيف 2 نهاية الشهر الماضي والجولة الثانية بداية الاسبوع الحالي قام وفد من الإئتلاف السوري المعارض بزيارة للعاصمة الروسية موسكو لمدة ثلاثة أيام، التقى خلال هذه الزيارة بعدد من المسؤولين الروس. وكان اللقاء الأهم بوزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف حيث وصفت مصادر من أعضاء الوفد المعارض الإجتماع بالسيّيء جداً وشكل خيبة أمل كبيرة لوفد الإئتلاف السوري المعارض الذي يقول أعضاؤه انهم أجبروا على زيارة موسكو كما أجبروا على حضور الجولة الثانية من مفاوضات جنيف 2.

دام الإجتماع قرابة ثلاث ساعات، تحدث خلاله لافروف أكثر من أعضاء وفد الإئتلاف السوري المعارض مجتمعين، وكان اللقاء الأكثر سوءاً الذي يجمع المعارضة السورية المحسوبة على الغرب ومسؤولاً روسياً تصرف خلاله لافروف بشكل متعال مع وفد الإئتلاف المعارض ووجه لهم في بعض الكلام عبارات لاذعة حسب أحد الذين حضروا الإجتماع من أعضاء الوفد السوري المعارض.

في هذا الإجتماع، كان لافروف متشدداً أكثر من الوفد السوري في جنيف؛ يقول أحد أعضاء الوفد مضيفاً، أن لافروف كان كلما فتحنا موضوعا يغلقه علينا فوراً بحجة محاربة الإرهاب، وعدم أهمية ما نقوله في الوقت الحاضر طالما هناك إرهاب وإرهابيون في سوريا.

بدأ الوفد المعارض كلامه بالحديث عن البراميل المتفجرة مطالباً الجانب الروسي بالضغط على الحكومة السورية لوقف إستخدامها، فأجاب لافروف أنه من حق الدولة السورية الدفاع عن نفسها وإستخدام ما تراه مناسباً من القوة لمحاربة الإرهاب الذي يضرب مدنها، وتحدث أحد أعضاء الوفد قائلاً أنه يجب العمل على إدخال مساعدات إنسانية للمدن المحاصرة، فأجاب لافروف إن الآن الوقت هو لمحاربة الإرهاب وليس لشيء آخر.

وطرح الوفد مسالة الحكومة الإنتقالية، فأجاب لافروف أنكم لن تنجحوا في مسعى تشكيل حكومة إنتقالية ويجب أولاً الإنتهاء من مسألة الإرهاب، مضيفاً وسط ذهول أعضاء الوفد المعارض (عليكم التوحد مع الحكومة السورية لمحاربة تركيا). وقول لافروف هذا أنه يعبر عن موقف روسيا التي تتهم تركيا بدعم التنظيمات الإرهابية في سوريا!

رئيس الوفد أحمد الجربا حاول إغراء الوزير الروسي على طريقة السعوديين، وتكلم قائلاً (نحن نضمن لروسيا مصالحها في سوريا، ونضمن بقاء قاعدة طرطوس البحرية، كما نضمن كل عقود التسلح الروسية مع الجيش السوري، وسوف نحترم كل العقود النفطية، كما أننا مستعدون لقبول حصة روسية في قيادة الإركان في الجيش السوري القادم والقبول بكل الضباط الذين تختارهم روسيا في قيادة الإركان، مقابل تخليكم عن دعم نظام الأسد)..

كان لافروف حاداً في الرد ولم يسمح للجربا بإكمال كلامه

وقاطعه بإشارة من يده قائلاً له (نحن لا نبحث عن مصالح إقتصادية في سوريا، مصالح روسيا أكبر مما تقولون، هذا الكلام ليس وقته حالياً).

وتكلم لافروف قائلاً لأعضاء الوفد أنتم وفد ناقص التمثيل وعليكم ضم أطياف المعارضة الأخرى حتى يصبح تمثيلكم حقيقياً.

الملف التركي

فلتضحِّ الامبرطوريات والمحافظات
بسبب عداوة رجل واحد ضد رجل واحد. . .

يسوع غييوم دي لامانيون. .
حقوقي فرنسي 1721 ـ 1795

■ ياسين القاضي ممول داعش وحزب العدالة والتنمية. .

عندما تشكلون مجموعة من الأصدقاء، من رجال الأعمال الذين صدر قرار دولي بتجميد أعمالهم، وآخر وصل إلى رئاسة الحكومة في بلد مهم وتريدون ان لا يعرف الرأي عام بأعمالكم، ماذا تفعل بهذه الحالة؟ الحل يكمن في تشكيل عدد كبير جداً من الشركات التي يتم تغيير أسمائها دورياً تجنباً لبقاء أي أثر يمكن أن يوصل إلى النبع والطرف الأساس، هذا النظام الذي عمل به ياسين القاضي في تركيا منذ وصول حزب العدالة والتنمية إلى الحكم هناك.

بعد أحداث الحادي عشر من أيلول وضعت الولايات المتحدة ياسين القاضي على (اللائحة الخاصة للإرهاب العالمي) وتحديداً

في تشرين الأول من عام 2001 من قبل وزارة المالية الأميركية، بسبب ما ذكرته الوزارة عن علاقة القاضي بتنظيم القاعدة حيث كان ياسين القاضي يمول عبر شركاته الوهمية جمعيات خيرية ومنظمات أهلية تابعة لأسامة بن لادن.

وقد طلبت الولايات المتحدة من مجلس الأمن الدولي في عام 2001 وضع ياسين القاضي على لائحة الإرهاب العالمية، وهذا ما حصل، غير أننا لم نعرف لحد الآن على أية أدلة استندت اميركا في طلبها هذا، وقد أصدر مجلس الأمن الدولي يومها بالإجماع قرارين (1267 و1333) جمدت الأمم المتحدة بموجبهما كل ممتلكات ياسين القاضي حول العالم.

كان ياسين القاضي ممنوعاً من دخول تركيا قبل وصول حزب العدالة والتنمية إلى الحكم، وقد جمدت السلطات التركية كل ممتلكاته في تركيا خصوصاً شركتي (إيلا فيلم للإنتاج) و(كارافان ديز تيكارت).

في عام 2012 تم سحب اسم ياسين القاضي من اللائحة الأوروبية للإرهاب، عبر دعوى قضائية رفعها محامي القاعدة (غي مارتان) الذي حصل على حكم لصالح موكله في عام 2008، وبعد أربعة أعوام تم سحب اسمه من اللائحة.

وبمراجعة حركة أموال حزب العدالة والتنمية يلاحظ أن الحزب حاول طويلاً تغطية أعمال القاضي في تركيا عبر جمعيات خيرية.

يوم 18 تشرين الثاني عام 2002 بعد أسبوعين من وصول حزب

العدالة والتنمية إلى السلطة في تركيا، كان ياسين القاضي يملك أسهماً في شركة (ساغلان أنسات) عبر شركة (كارافان ديز تيكارت) وقد قام بتحويل أسهمه إلى شركة (ساغليك في باكيم) التي أسّسها (عنايت زابسو) المقرب جداً من رجب طيب أردوغان.

في ذلك الوقت الذي تم فيه نقل الأسهم،كان (فاتح ساراس) يمثل القاعدة في شركة (كارافان) وقد وقع كل من (عزيز زابسو) و(عنايت زابسو) عقود تحويل الأسهم إلى حساب شركة (ساغليك في باكيم).

هذه العقود في التحويلات بالأسهم أصبحت فيما بعد أكثر وأهم بين (ياسين القاضي) وأكثر من شركة يملكها (عنايت زابسو) واخوته، وأيضاً مع (مصطفى لطيف توباص) الرجل الثاني في شركة (البركة التركية) هذه الشركة هي المالك الأول لشركة (بيم) التي تملك أكثر من 300 محل تجاري في تركيا، وتحتل الرقم 25 في لائحة اغنى الشركات التركية، وأحد الإسمين الكبيرين في هذه الشرك هو (فاتح ساراس) المقرب جداً من أردوغان.

في عام 2003 حصلت عملية نقل أسهم جديدة في شركة جديدة إسمها (ج ام د) كان يملك غالبيتها (عزيز زابسو) الذي نقل أسهمه عبر الإخوة (زابسو) إلى فاتح ساراس.

في نهاية عام نفسه اشترت شركة (ج أم د) أسهم شركة (ساغلام أنسات) أي في الحقيقة أسهماً من شركة (كارافان ديس تيراست) وهي الأسهم نفسها التي حُوِّلت من ياسين القاضي إلى

الأخوة (زابسوت). . مرة أخرى تدور أسهم ياسين القاضي على الشركات لتضليل الأثر.

يمكن ملاحظة حركة نقل أسهم حول ياسين القاضي لأكثر من جهة، ما يطرح تساؤلات عن الاسماء من هي الأسماء؛ المستعارة لكل من ياسين القاضي وفاتح ساراس ورجب طيب أردوغان.

في الوقت الذي يظهر فيها إسم (فاتح ساراس) أكثر من مرة هناك أكثر من مؤشر يفيد أن تنظيم القاعدة يلعب دائما في الخلف دوراً محوريا في كل هذه الشبكة الإقتصادية الخفية.

يوم 23 شباط عام 2004 إشترت شركة (ساغلام أنسات) مكاتب جديدة بقيمة 640 ألف دولار أميركي، هذه المكاتب تقع في الطابق الـ11 من مبنى يملكه ياسين القاضي عبر شركة (كارافان فيلم للإنتاج) وشركة (جي أم د) المالية التي أشترت (ساغالام أنسات) والتي اشترت في شهر آذار الطابق العاشر من المبنى نفسه الذي يملكه ياسين القاضي وفتحت فيه مكاتب لها.

■ **دور وزارة المالية التركية . .**

تمت كل عمليات نقل الأسهم هذه في وقت كان يعرف فيه ملكية ياسين القاضي لشركة (كارافان فيلم للإنتاج)، وحسب قرارات مجلس الأمن كان على تركيا تجميد ممتلكات ياسين القاضي أحد الممولين للإرهاب الأكثر ملاحقة في العالم، غير أن وزير المالية التركي تحت سيطرة حزب العدالة والتنمية، غضّ النظر

عن تمرير كل حركات نقل الأسهم هذه وسمحت لشخص واقع تحت العقوبات الدولية بالإستمرار في إدارة ممتلكاته.

عمليات نقل الأسهم والأسماء هذه تناولتها الصحف الأميركية، وفي عام 2004 كانت ضمن متابعة لجنة التحقيق الأميركية التي حققت في أموال تنظيم القاعدة حول العالم.

في تحقيقات عام 2013 أثناء الحملة ضد الفساد وتلقي العمولات التي اجتاحت تركيا، لم يستطع الإدعاء عام إكمال تحقيقه بسبب رفض الشرطة، بيما سربت تقارير عن لجنة مكافحة الفساد تشير إلى حزب العدالة والتنمية وياسين القاضي، وأسماء مثل (فاتح ساراس، مصطفى لطيف طوباس، والإخوة زابسو).

■ **شهادة أسامة قطب**

يوم 15 شباط 2013 وقع حادث سير في إسطنبول، أثار لغطاً حول إسم هو الأخر معروف للأمم المتحدة (أسامة قطب) رجل أعمال تركي من أصل مصري ولد يوم 12 حزيران 1975 وهو في الحقيقة إبن أخ المفكر الإخواني (سيد قطب).

يتحدث أسامة قطب عن الحادث: كنت في ذاك اليوم في أنقرة مع أسامة القاضي، وكان علينا أخذ الطائرة إلى إسطنبول قبل منتصف الليل بقليل، لكننا تأخرنا عن الطائرة، وانتقلنا إلى إسطنبول عبر الطائرة الخاصة التابعة لرجل الأعمال (لطيف طوباص)، في الكاراج استقبلنا (إبراهيم يلدز) وأعرف أنه ضابط في

الشرطة، هو هنا لحماية ياسين القاضي، وكان عليه أن يوصلنا إلى منازلنا، وبينما كنا ندخل حي (مرتر) في إسنطبول عند الساعة الثالثة صباحا، تعرضت سيارتنا لصدمة كبيرة من سيارة أخرى في وقت كان في الشارع خالياً، حضرت سيارتا إسعاف ونقلتنا إلى المستشفى بينما إختفى سائق السيارة الثانية، كانت قناعة رجب طيب أردوغان أنها محاولة إغتيال، ويقول قطب أنه يعرف اسامة القاضي منذ وقت طويل وكان صديقا لوالده، لقد غادر ياسين القاضي الأراضي التركية يوم 4 كانون الأول عام 2013 من دون أن يتعرض لأية مذكرة توقيف دولية، وصادف ذلك في اليوم نفسه الذي جمّدتُ فيه حسابي المصرفي لمدة 26 يوماً.

وقد أظهرت صور نشرتها الصحف التركية، ياسين القاضي يدخل الأراضي التركية أكثر من مرة في وقت كان فيه ممنوعاً من دخول تركيا بسبب قرارات مجلس الأمن وتظهر الصور أيضاً أنه شارك في إجتماعات شركة (بيم) وأنه خرج حاملاً أكياساً مليئة بالنقود.

المصدر الثاني النفط؛ الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، والأتراك الذين يشاركون في نشاطات داعش يشترون من التنظيم النفط العراقي بأقل من خُمْس سعره العالمي، وبهذه الطريقة يكسب التنظيم أموالاً طائلة وتكسب مافيا حزب العمال والتنمية الحاكمة في تركيا أموالاً طائلة أيضاً تمكنها من الإستمرار في الحكم في تركيا.

ويأتي دعم أنقرة لتنظيم الدولة الإسلامية ضمن استراتيجيتها

الكبرى لإسقاط الرئيس السوري بشار الأسد، ولإسقاط نظام الحكم في العراق.

المصدر الثالث للمال والرجال يأتي من مسلمي أوروبا؛ أكثر المسلمين الذين يقدمون تبرعات مالية يقيمون في أوروبا وليس في البلدان العربية[1]، وتقدر بـ 15 بالمائة نسبة المقاتلين الأروبيين الذين التحقوا بداعش خلال الأشهر الأولى من عام 2014، وهؤلاء يأتون بأموالهم معهم.

■ معارك تركيا

سعت تركيا في عام 2014 لإفشال الإستحقاق الرئاسي السوري، ومنذ آذار فتحت تركيا ومعها حوالى 5 آلاف مسلح ينتمون لجبهة النصرة والجبهة الإسلامية معركة الساحل الثانية، التي طالما تحدث معارضون سوريون عن وجوب فتحها لتضييق الخناق على الدولة السورية ووقف تقدم الجيش السوري وحلفائه في المنطقة الوسطى وفي ريف دمشق.

وكانت معركة الساحل الأولى إندلعت في خريف عام 2013 بعد قيام عدة آلاف من مسلحي المعارضة السورية بشن هجوم كبير على جبال اللاذقية انطلاقاً من منطقة سلمى المحاذية لتركيا، ولكن هذا الهجوم فشل بعدما تمكن الجيش السوري من استعادة كامل

(1) دومينيك توماس كتاب (لُنْدُنُسْتان الجهاد في قلب أوروبا).

المناطق والتلال التي سيطر عليها المسلحون بعد شهر من بدء الهجوم.

أتى هجوم آذار 2014 مدعوماً من قبل تركيا بشكل مباشر في وقت بدأت فيه الولايات المتحدة والغرب مراجعة سياستهم تجاه الوضع في سوريا، وفي وقت كانت تقترب فيه دمشق من الإستحقاق الرئاسي، وكان الرئيس السوري بشار الأسد مرشحاً أكيداً فيه.

وكانت خطة تركيا إنشاء مرفأ بحري في منطقة رأس البسيط تستعمله المعارضة السورية المسلحة في عمليات التزود بالسلاح وبالرجال عبر البحر بدل المرور عبر تركيا، التي لا تريد الدخول في سجال مع واشنطن في الموضوع السوري، خصوصاً أن حكومة رجب طيب أردوغان كانت تعاني مأزقا في الموضوع الكردي العالق دونما تسوية تذكر رغم وعود أردوغان الكثيرة التي لم يعد يصدقها الأكراد، فيما العلاقات الخارجية لتركيا تتسم بالتوتر مع جيرانها العرب (العراق وسوريا) وليست على ما يرام مع إيران، وهي دخلت في موضوع القرم بطريقة إستفزازية وسياسة تحد مباشرة ضد روسيا بعد الإجتماع الذي حصل في كييف بداية الأزمة الأوكرانية بين وزير الخارجية التركي أحمد داوود أوغلو وزعيم التتار في القرم الذين أصغوا للكلام التركي بعدم التصويت لعملية الإنضمام إلى روسيا، ويأتي الهجوم الروسي الكبير غلى الضفة الأخرى من البحر الأسود الذي تقع تركيا ضمن حوضه.

الأتراك وجماعة الإخوان المسلمين حددوا مكان بناء المرفأ البحري في رأس البسيط حيث طبيعة الشاطىء تسهل العمل في بناء مرفأ صغير، وأتت عملية إسقاط الطائرة السورية في تلك المنطقة كرسالة من تركيا بأنها سوف تحمي هذه المنطقة جواً في حال سيطرت عليها. لذلك كان الهدف الثاني يتمثل في محاولة إفشال الإنتخابات الرئاسية السورية حينها عبر فتح الحرب في الساحل السوري، المنطقة الوحيدة التي بقيت هادئة بشكل كبير طيلة فترة الحرب السورية والتي نزح اليها ملايين السوريين من المحافظات السورية الأخرى، وتعتبر هذه المنطقة قاعدة تأييد شعبية كبيرة للنظام في سوريا وللرئيس السوري شخصياً، وتعتقد المعارضة السورية ومن ورائها تركيا أن وصول الحرب إلى هذه المنطقة كان سوف يفشل إستحقاق الإنتخابات الرئاسية في سوريا ويمنع إعادة إنتخاب الأسد رئيسا لسبع سنوات أخرى.

■ **إسقاط الاسد ولو بتقسيم سوريا**

«لا يمكن لنا الضغط جدياً على الأسد طالما هناك حكومة واحدة وسلطة واحدة. يجب أن يكون هناك سلطتان معترف بهما دوليا حتى يُجبر الأسد على التنازل والتراجع». هذا الكلام لوزير خارجية تركيا أحمد داوود أوغلو ألقاه خلال إجتماع «دول أصدقاء الشعب السوري» الذي عقد في لندن يوم 15 أيار/ مايو 2014.

وعلى وقع المفاجأة التي أصابت الحاضرين من هذا الكلام التركي الداعي لتقسيم سوريا، أضاف أوغلو: «يحب علينا العمل

على إقامة سلطة مستقلة في الشمال السوري تحظى بإعترافنا ويكون لديها مقومات العيش والإستمرار».

لم يعترض أحد على كلام الوزير التركي، فيما تقول مصادر دبلوماسية فرنسية أن سعود الفيصل وزير الخارجية السعودي كان الصامت الأكبر في هذا الإجتماع، عكس كل الإجتماعات السابقة. في وقت كانت مصر ممثلة بنائب وزير الخارجية السفير حمدي لوزا، وكان ملفتاً أنه كان يدوّن كل ما يقال ولم يشارك بالنقاشات، وكان الصمت أيضاً حالَ وزير الخارجية الإماراتي الذي مثل بلاده في الإجتماع.

تركيا تترأس المواقف المتشددة من سوريا، وأردوغان يعتبر الحرب في سوريا معركته الشخصية، لذلك يتعامل في الشمال السوري من منطلق الإنفعالات الشخصية، وليس هناك لديه أية إستراتيجية بعيدة المدى باستثناء إستمرار الحرب.

واشتد التوتر التركي بعد فك الحصار عن سجن حلب المركزي في ربيع 2014 حيث أصبحت الأحياء التي تسيطر عليها المعارضة في حلب تعيش وضعاً صعباً من الناحية العسكرية، وكذلك من ناحية الإمدادات والدعم البشري، وهذا ما يمنع إقامة أية سلطة مستقلة وآمنة في حلب كما كانت تفكر تركيا منذ بداية الأزمة في سوريا، فضلاً عن الموقف التركي الذي يعتبر الجنوب السوري خارج تأثيره، كما أن أدلب المدينة بيد الدولة السورية، وليس هناك منطقة مهمة في ريف أدلب من الناحية البشرية يمكن أن تكون

عاصمة أو مقراً لسلطة مستقلة يعترف بها دولياً، وهذا الوضع الميداني يجعل الخطط التركية حبراً على ورق وغير قابلة للحياة.

أوغلو قال خلال النقاشات «يمكن لتركيا تأمين مظلة حماية عسكرية لأية سلطة سورية مستقلة في الشمال السوري، في إشارة إلى المنطقة العازلة التي تطالب بها تركيا منذ بداية الحرب السورية، وهذا السعي التركي وجد فرصته في داعش وتقدمها السريع في سوريا على حساب المعارضة السورية القريبة من تركيا تاريخياً وفي معركة عين العرب التي يطلق عليها الكرد (كوباني) بين تنظيم داعش وقوات حماية الشعب الكردية.

■ **ما الذي تخشاه تركيا من حرب أميركا على داعش؟**

في خطاب القاه الرئيس الأميركي باراك أوباما يوم 10 أيلول/ سبتمبر 2014 أعلن خطة أميركية لشن حملة عسكرية ضد تنظيم (داعش) في العراق وفي سوريا.

بعد الخطاب بخمسة ايام عُقد مؤتمر باريس حول العراق الذي جمع حوالى 28 دولة تحت راية الولايات المتحدة الأميركية لمنحها الغطاء لشن حرب أخرى في المنطقة بذريعة تنظيم (داعش)، بعدما تمدد هذا التنظيم في العراق وسوريا، وأصبح يمتلك جيشاً كبيراً ومصادر ثروة تمكنه من الإكتفاء الذاتي مالياً. انطلاقاً من هذا الواقع، كيف يمكن فهم الإستراتيجية التركية حيال الحرب الأميركية المعلنة؟ وكيف يمكن فهم الإستراتيجية الأميركية الباحثة عن إعادة

رسم خارطة جديدة للمنطقة والتي تثير قلق تركيا بتوريطها بصراع عسكري ينهكها؟

لم يخرج مؤتمر باريس لدعم العراق بما يشير إلى توافق جدي على الخطة الأميركية لقتال داعش، وكان الشيء المميز في هذا المؤتمر هو كلمة وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف فضلاً عن كلامه في الجلسة المغلقة، والتي أشارت مصادر فرنسية إلى أنها وضعت حداً لكل الأوهام بجعل هذا المؤتمر مشابهاً لمؤتمر باريس حول ليبيا عشية القصف الأطلسي لقوات معمر القذافي عام 2011.

كان هناك وزير خارجية آخر غير معني بكل الكلام عن حرب داعش، وإن كان على النقيض من الوزير الروسي، هو وزير الخارجية التركي مولود تشاووش أوغلو، وكان له في الجلسة المغلقة كلام معترض على شن حرب على داعش، ونُسب إلى الوزير التركي قوله (كان يجب على المجتمع الدولي وعلى الحاضرين شن هذه الحرب على الرئيس بشار الاسد وجيشه منذ أربع سنوات).

في هذا الموضوع يقول العقيد السابق في الجيش الفرنسي «ألان كورفيس» أن الاتراك أكثر المستفيدين من ظهور تنظيم داعش وتمدده، مضيفاً أن داعش حلت مشكلة تركية عمرها أربعون عاماً إسمها حزب العمال الكردستاني، الذي اضطر لإرسال خيرة مقاتليه من جبال قنديل إلى العراق وسوريا للدفاع عن أربيل، ودعم صمود

قوات حزب الإتحاد الديمقراطي الكردي في سوريا، في صد هجوم قوات داعش على مدينة عين العرب (كوباني) ومحيطها، الذي يضم 400 قرية كردية. وقال الخبير الإستراتيجي الفرنسي إن الأتراك أبلغوا واشنطن وباريس صراحة رفضهم المطلق لشن ضربات جوية ضد داعش لأنها سوف تقوي الرئيس السوري وتريح إيران.

وزير الخارجية التركي أشار في مؤتمر باريس إلى أن الدور السعودي في الحشد ضد داعش يثير ريبة الأتراك. والأخيرين يعتبرون وجود داعش حيوياً لإشغال المنافس الإيراني وإضعاف حليفيه في دمشق وبغداد التي تمر علاقة تركيا معهما بظروف سيئة، وتقدم داعش نحو بغداد في تموز/ يوليو 2014 أسقط خصم تركيا في العراق (نوري المالكي)، لكنه لم يصل إلى بغداد ليسقطَ الحكم المؤيد لإيران. وجود تركيا المحاذي للعراق يلعب دوراً في هذا الرفض التركي، حيث تعتمد داعش في تجارتها على شبكات التهريب التركية العاملة على جانبي الحدود والتي تسيطر على جزء كبير منها مافيا التهريب القريبة من الحزب الحاكم وهي نفسها تقوم بعمليات تهريب النفط والسلاح والمقاتلين عبر تركيا، كما أن المناطق التي تسيطر عليها داعش في العراق وسوريا محاطة بالأعداء وليس لها منفذ بحري وحيث تظهر الخريطة الجغرافية أن المنفذ الوحيد لمناطق داعش في العراق هي الأناضول التركي، وهذه المنطقة التي تسيطر عليها داعش غنية بالنفط العراقي والسوري، الذي تبحث عنه أنقرة.

في السياق نفسه، وتزامناً مع مؤتمر باريس واللغط الذي حصل حول كلام وزير الخارجية التركي أثناء النقاشات المغلقة، كان هناك حديث للدبلوماسي الهندي السفير السابق لبلاده في تركيا وفي روسيا بهادرا كهومار تناقلته وسائل الإعلام الفرنسية عن الفخ الذي تنصبه أميركا لتركيا ويثير قلق أنقرة التي ترفضه، وقال الدبلوماسي الهندي: (إن تفكيك سوريا والعراق الحاليين قد يكون هدف الولايات المتحدة، إن الدبلوماسيين والباشوات الأتراك لديهم من الذكاء ما يجعلهم يقدرون الدور الذي يحضره لهم أوباما في هذا التحالف والذي سوف يكون مختلفاً عن دور السعودية وقطر والبحرين. والخلاصة إنه إذا كان هناك دولة في الشرق الأوسط لديها القدرة حالياً على الدخول في حرب في العراق وسوريا فهذه الدولة هي تركيا، وفي حال طلبت الإستراتيجية الأميركية في هذه الحرب «بوطاً عسكرياً» على الأرض في وقت معين كما يتوقع بعض المحللين، فإنها سوف تكون تركيا، لسبب بسيط هو أن جميع الدول الأوروبية والولايات المتحدة لن ترسل جندياً واحداً إلى الميدان بينما السعودية وقطر ليس بمقدورهما خوض حرب شوارع، وهذا ما يضع الحمل على تركيا، بينما الأخيرة لا يمكنها لعب هذا الدور بسهولة لأن الذاكرة الجماعية في المنطقة ما زالت محملة بالتاريخ العثماني. وتعرف تركيا أننا ما زلنا في الأيام الأولى، وأن مخيلة أوباما دائماً مفتوحة على أفكار غريبة؛ ما الذي يمنع أن يقرر أوباما إشراك الدولة السورية في الحرب ضد داعش، وأن يكون لها الكلمة الأخيرة؟ أنقرة تعلم أن ما يسمى الجيش

السوري الحر ليس سوى مزحة، لقد طلبت تركيا من أميركا أن يكون دورها في إستراتيجية أوباما لقتال داعش محدوداً بالمساعدات الإنسانية والتزويد بالمعلومات، هل يمكن لتركيا الإفلات بهذا الدور المتواضع؟ لن تسمح الولايات المتحدة أن يتم هذا الأمر بسهولة).

■ **الخطأ الاستراتيجي**

وقعت داعش في الخطأ الإستراتيجي الكبير الذي قلب عليها كل الموازين الدولية وحرك الولايات المتحدة ضدها بعدما ساكنتها وغضت النظر عن الدعم الذي قدمه لهذا التنظيم حلفاؤها الإقليميون (تركيا وقطر والسعودية)، وكان الخطأ الإستراتيجي هذا هو إعلان الخلافة الإسلامية على كامل العالم الإسلامي وكسر الحدود القُطْرية بين سوريا والعراق والإعلان أن هذا يمثل نهاية تقسيم سايكس بيكو.

هذا الخطأ الإستراتيجي الذي وقع فيه قياديو تنظيم الدولة الذين ينتمي غالبيتهم إلى جيل العسكر أيام صدام حسين، أتى نتيجة خدعة تركية أو ضغوط تركيه. فالقيمون على حزب العدالة والتنمية لم يخفوا يوماً عقيدتهم العثمانية، وحنينهم إلى العودة إلي نفوذ السلطنة ولو عبر أساليب أخرى أولها المال والإقتصاد الذي كان السبب الأساس في وصولهم وتمكنهم من حكم تركيا طيلة عقد ونصف من الزمن، فالقيادة التركية الحالية أرادت تجربة حظوظ قيام خلافة جديدة، وحظوظ موافقة الولايات المتحدة عليها، واختارت

رمي التجربة على عاتق الجهاد العراقي الذي تتشابك مصالحها معه، فإن نجحت التجربة ولم ترفض أميركا والغرب قيامها، أمكن للأتراك انتزاعها من العراقيين في وقت لاحق، وإذا رفضت أميركا والغرب هذا الأمر تحمل العراقيون أنفسهم عواقب هذا التصرف، وهذا تحديداً ما نراه من خلال الحملة العسكرية الأطلسية على داعش.

في نظرة على خريطة الخلافة التي نشرتها داعش، نجد جميع المناطق والبلدان التي كانت خاضعة لسلطة الدولة العثمانية، إضافة إلى الأندلس، فخلافة داعش تضم من الغرب إسبانيا وكل دول أفريقيا الشمالية ونيجيريا، وتعتبر ليبيا ومصر وحدة جغرافية تحت مسمى أرض الكنانة التي تضم أيضاً في طريقها الكاميرون وإثيوبيا والصومال.

ويظهر أيضاً في هذه الخارطة الحجاز والتي تضم السعودية ومعها دول مجلس التعاون الخليجي إضافة إلى اليمن، وأيضاً هناك الدول الإسلامية في آسيا الوسطى بما فيا أذربيجان، وباكستان والجزء الغربي من الصين.

كما وتضم الخارطة إيران وتركيا وبعض مناطق أوروبا بما فيها البلقان، ويلاحظ أن الخارطة مرسومة لتوافق حدود الدولة العثمانية مع أراضيها في هنغاريا والنمسا.

■ من السجون الفرنسية إلى تركيا

فرنسا التي يأتي منها ثلث المقاتلين الغربيين الذين يحاربون في

سوريا تشكل بلد مرور ودعم للتنظيمات المذكورة التي أسست شبكات منظمة لإرسال المقاتلين إلى سوريا، حسب ما قاله لي المحامي[1] المطلع على ملف هذه الجماعات (فابريس دولند). ويقول المحامي إن هذه الشبكات تقوم أيضاً بإرسال النساء لهؤلاء المقاتلين بهدف الزواج، كما تلعب النساء قي هذه الشبكات المنظمة دور المُجنِّد والبنية اللوجستيه للتسفير إلى تركيا حيث تتسلمهم منظمات مقربة من المخابرات التركية وحزب العدالة والتنمية، ومن ثم يتم إرسالهم إلى معسكر تابع للجماعات المسلحة بالقرب من غازي عنتاب، قبل التحاقهم بهذه المجموعات في سوريا، ويضيف المحامي الفرنسي أن غالبية الفرنسيين يلتحقون بداعش.

فابريس دولند، المطلع على ملف فتاتين وَجّه لهما القضاء الفرنسي تهمة التعاون مع منظمة إرهابية والمساعدة والتحريض على القيام بعمليات مخلة بالأمن، زار دمشق أكثر من مرة للبحث مع الجهات السورية المختصة في إمكانية قيام شكل من التعاون القضائي والمعلوماتي بين القضاء الفرنسي ونظيره السوري في كل ما يتعلق بموضوع المقاتلين حاملي الجنسية الفرنسية الذين يقاتلون في صفوف داعش والنصرة.

ويؤكد المحامي الفرنسي أن هناك عشرات الموقوفين الإسلاميين في فرنسا بتهمة التعاون مع النصرة وداعش والقاعدة،

(1) وثائق خاصة بالكاتب، انظر ملف الدعوى القضائية في فرنسا.

وأخبرنا أن شقيق إحدى الفتيات القاصرات التي غادرت فرنسا إلى الرقة للزواج زار المدينة السورية، لكن داعش منعته من رؤية شقيقته، كما أخبرنا أن أحد الفرنسيين فُقدت أخبارُه في الرقة منذ بداية صيف 2014، بعدما كان يتصل بأهله بشكل شبه يومي.

في تقرير نشره يوم 17 تشرين الأول/ أكتوبر 2014 تحت عنوان «أميركا تهدد وتركيا تبتز»، أسهب معهد كارنيغي الأميركي في الحديث عن السياسة التركية المتبعة إزاء داعش وتعارضها مع السياسة الأميركية:

أطلق نائب وزير الدفاع الأميركي، جون كيري، تهديداً مبطناً لتركيا نهاية الأسبوع الجاري خلال سريان المحادثات المشتركة رفيعة المستوى في كل من أنقرة وواشنطن، إذ قال: الأتراك «ليس لديهم مصلحة فحسب، بل هناك دور ينتظرهم» داخل إئتلاف واشنطن، مستدركاً أنه «تمّ ممارسة ضغط عليهم للعب دور» مميز.

الموقف الأميركي أتى ثمرة لقاء عقد في واشنطن ليوم واحد ضم قادة عسكريين كباراً لـ 22 دولة مشتركة في الإئتلاف، لبحث توحيد الرؤية والجهود «لمحاربة الدولة الإسلامية في سورية، ترأسه قائد هيئة الأركان الأميركية، مارتن ديمبسي، كما حضر جلسة الإفتتاح الرئيس باراك أوباما. لم يفلح اللقاء في زحزحة موقف تركيا التي تسعى للضغط على واشنطن لإنشاء منطقة عازلة داخل الاراضي السورية ـ ما يتيح لأنقرة حرية الحركة وترحيل معظم اللاجئين السوريين إليها قسراً. بل ذهبت أنقره إلى إطلاق تمايز

موقفها عن موقف واشنطن، التي بلورت نظرة مختلفة استناداً إلى مصالحها الممتدة عبر العالم.

توقعات الولايات المتحدة من اللقاء كانت بالغة التواضع. إذ أوضح الناطق الرسمي بإسم قائد هيئة الأركان أن أميركا لا تتوقع أن يسفر عنه إتخاذ قرارات جديدة أو إلتزامات متوقعة من الأطراف المشاركة. وقال إن الهدف «لقاء بعضنا البعض للبحث في الرؤيا والتحديات ومعالم المسيرة المقبلة».

الرئيس أوباما أيضاً استبعد التفاؤل وصرح بجملة لا تنم عن ترتيبات ينبغي إتخاذها داخل اللقاء. وقال «طبيعة الحملة ستكون طويلة الأمد . . سنشهد فترات نحقق فيها إنجازات وأخرى تميزها الانتكاسات». كما جاء التوضيح على لسان مسؤولي إدارته بأن الاستراتيجية الأميركية الراهنة تنصبّ على «العراق أولاً».

الرئيس التركي رجب طيب أردوغان كان أشد وضوحاً من نظيره الأميركي، إذ صرح أمام طلبة جامعة مرمرة في إسطنبول أن أكبر تهديد تواجهه تركيا مصدره «لورانسات العرب الجدد» الساعين لزعزعة الإستقرار في الإقليم. وأوضح أن «الصراع في هذه المنطقة تم تصميمه قبل قرن من الزمن . . وواجبنا يستدعي إيقافه». رمى أردوغان للفت إنتباه كل من يعنيهم الأمر بأن بلاده تنوي العودة إلى حدود وترتيبات الحرب العالمية الأولى ـ قبل تقسيمات سايكس ـ بيكو، وإحياء حلم هيمنة الإمبراطورية العثمانية.

لخص معهد كارنيغي أُسّ الخلاف الأميركي ـ التركي المعلن

بالقول أن «يتبنى أعضاء الإئتلاف مفاهيم متباينة فيما يخص آلية استتباب الإستقرار في الإقليم، بل لا تتوفر أرضية مشتركة بينهم حول تعريف التهديد الأساس» الذي ينبغي التركيز عليه. وأضاف «لدينا كل هؤلاء اللاعبين الذين يتطلعون لتحقيق أهداف مختلفة وفي بعض الحالات تبرز مشاعر الكراهية العميقة بين طرف وآخر».

بعد اشتداد حدة القتال في مدينة عين العرب ـ كوباني، نأت تركيا بنفسها عن التدخل لرغبتها في توفير الظروف المناسبة لمسلحي داعش السيطرة على المدينة وإزاحة الكرد من موقع مميز بالقرب من الحدود المشتركة مع سورية. بيد أن صمود وعزم القوى الكردية واستماتتها في الدفاع عن مدينتهم مكّنها من صدّ وتراجع المسلحين من معظم أحياء المدينة ومشارفها.

مضت تركيا في ترتيب أولوياتها بمعزل عن الأهداف الأميركية، بما فيها الإنخراط المباشر في الأزمة السورية، ما وضعها في موقع مغاير لإئتلاف واشنطن في هذا الظرف بالذات، وسعت لإتزاز الأخيرة بأنها على إستعداد لدخول الحرب وإنقاذ عين العرب ـ كوباني شريطة إلتزام الولايات المتحدة بهدف تدمير، ليس الدولة الإسلامية فحسب، بل نظام الرئيس السوري بشار الأسد.

إستندت تركيا في قراءتها السياسية إلى طبيعة فهمها لديناميات الجانب الأميركي، واعتقادها أن الولايات المتحدة غير جادة وينقصها العزم الضروري لشن حملة ناجحة في المنطقة، فضلاً عن

ضيق ذرع الإدارة بقضايا الإقليم وتفضيلها بذل الجهود على المشهد الداخلي الأميركي في الفترة القصيرة المقبلة.

كما تدرك تركيا محورية دورها في المعركة الحالية، وأشدّ ما تخشاه تحملها للجزء الأعظم من القتال ضد الدولة الإسلامية فيما لو انصاعت لرغبة واشنطن؛ فضلاً عن تداعيات المعركة التي ستصبّ في صالح الدولة السورية ويحفزها إستعادة السيطرة على أراضٍ فقدتها، إلى جانب أدراكها إستغلال سورية الأوضاع وتقديم الدعم لأكراد تركيا في قتالهم ضد انقرة «انتقاماً» لدعم تركيا قوى المعارضة السورية.

استشعرت تركيا غياب تماسك الإستراتيجية الأميركية حيال الدولة الإسلامية، وتشير تصرفاتها إلى عدم الثقة بوجهة الإستراتيجية الأميركية التي تأرجحت في السنوات الثلاث الماضية بين هدف الاطاحة بالرئيس الاسد إلى التكيف مع بقائه في السلطة، ومن توفير الدعم لقوى المعارضة السورية إلى تفضيلها بقاء هياكل الدولة السورية على حالها.

الرؤية الأميركية، بالمقابل، أوجزتها صحيفة «واشنطن بوست» حديثاً أنه «باستطاعة تركيا القيام بالمزيد. بل هي تريد من الولايات المتحدة حضورها وإنجازها للمهمة» نيابةً عنها. بينما حقيقة الأمر تدل على حث الإدارة الاميركية لتركيا على الإنخراط وإنجاز المهمة بالتساوق مع إستراتيجية الرئيس أوباما المعلنة، وليس استناداً إلى ما تقتضيه المصالح التركية.

سورية بقيت في عين العاصفة الأميركية ليس في بعدها المحلي فحسب، بل في بُعْد تحالفها مع إيران ودأب الإستراتيجية الأميركية على إحداث الشرخ بينهما، أو على الأقل إبعاد سورية عن دائرة النفوذ الإيراني وترجيح كفة النظم العربية الموالية لواشنطن.

القراءة الأميركية المفرطة في تسطيح المعادلة السورية عادت عليها بالفشل، واستطاع الرئيس الاسد كسب تأييد متنامٍ من الشعب السوري، وبالمقابل تضييق ساحة المناورة والدعم لقوىً المعارضة السورية. وتدرجت حدة الحرب لتشمل أطرافاً دولية هامة مثل روسيا ودول البريكس في مواجهة الصلف الأميركي.

الدخول إلى لبنان

لا يوجد إنسان عاقل يفضل الحرب
على السلم، في الحرب يدفن الآباء أبناءهم
و في السلم يدفن الأبناء آباءهم . .

هيرودوتس

بعد ظهور داعش بدأ العشرات من حاملي الجنسية العراقية الحاصلين على إقامات شرعية في لبنان، يتوافدون بشكل طبيعي عبر طريق عرسال الرسمي إلى داخل البلدة ومنها تقوم مجموعات تابعة للملا مصطفى الحجيري الملقب (أبو طاقية) بتأمين انتقالهم إلى منطقة وادي الكشك في جرود عرسال حيث يتجمع حوالى 300 مقاتل من جنسيات سعودية وسورية ولبنانية أعلنوا بيعتهم لتنظيم «دولة الإسلام في العراق والشام» (داعش).

وترصد الجهات المختصة تحوّلات ملفتة من بعض المجموعات المسلّحة بإعلان البيعة لداعش وبخاصة من المجموعات المنضوية تحت عنوان جبهة النصرة.

المراجع الأمنية والعسكرية في الميدان تتابع باهتمام موضوع وصول أشخاص يحملون الجنسية العراقية إلى عرسال، وتشير بعض المعلومات أن هؤلاء مهمتهم إنشاء تنظيم داعش على أنقاض النصرة والجيش الحر بعد معركة وقعت منتصف حزيران في تلال الجبة بين عسال الورد ورنكوس بعدما قام حوالى 100 مسلح بهجوم واسع في المنطقة، وقد رفعت أعلام داعش لأول مرة في معركة من معارك القلمون، وقد تسلل المسلّحون من الوديان النائية في القلمون وبدا أنهم مجموعة خبيرة بشؤون القتال يقومون بهجوم إنتحاري بهدف السيطرة على المنطقة، ولكن بشكل منظم وهادف، بانت معالم التنظيم والخبرة فيه عبر القدرة العالية على كيفية استخدام الأسلحة ووجود هاون كومندوس واستعماله بحرفية في عمليات التغطية والهجوم، كما لوحظ اللباس الموحد، وقد سيطروا في بداية الهجوم على بعض النقاط لكنهم خسروها بشكل سريع وانتهت المعركة بسقوط العشرات منهم في المنطقة وانسحابهم إلى بطون الوديان والجبال.

ورصدت الجهات والمراجع الأمنية عمليات تنقلهم في الوديان، وفي الوقت ذاته يشن عليهم الطيران الحربي هجمات نتيجة الإستطلاع والرصد وتشارك المدفعية بهذا العمل الحربي، ما جعل أوضاعهم تزداد صعوبة، ويبدو أنهم في وضع تمويني وتذخيري خانق، بدأت مفاعيله تظهر عليهم عبر اضطرارهم للخروج في العراء باتجاه عرسال تحديداً، وهذا ما جعلهم صيداً سهلاً للقصف البري والجوي و للكمائن.

في منتصف شهر تموز عام 2014 تمت في منطقة وادي الميرة في القلمون، بيعة عدة فصائل لتنظيم الدولة الإسلامية وأتت هذه البيعة بعد مواجهات مسلحة بين مجموعات بقيادة (أحمد أبو السوس) الذي كان قائد لواء الفاروق في مدينة القصير وريفها بين الأعوام 2011 و2013 وبين مجموعات بقيادة المدعو (عماد جمعة) من القصير أيضاً، وكان أبو السوس يرفض مبايعة داعش، بينما يريد جمعة أن يفرض البيعة للتنظيم على كل مسلحي القلمون، وقد أُجبر (أبو السوس) على تقديم البيعة لداعش بعد يوم من المواجهة العسكرية مع مجموعات جمعة، وتمت البيعة إلى «الدولة الإسلامية في العراق والشام» من دون أن يُعلن ذلك لوسائل الإعلام.

هذا هو الظهور الأول لداعش في لبنان وعلى الحدود السورية اللبنانية. وخطط التنظيم للدخول إلى لبنان عبر مناطق القلمون السورية والبقاع الأوسط والشمال اللبناني تفيد المعلومات أن داعش وضعت خطة لمواجهة الجيش اللبناني تقوم على مبدأ خطة السيطرة على الموصل نفسها في العراق، وترتكز على محاولة التواصل مع بعض الضباط وإغرائهم بالمال ومحاولة إستمالتهم كما حصل في الموصل، ومن ثم القيام بعملية إختراق للحدود والسيطرة على مناطق واسعة وضمها إلى المناطق الخاضعة لسيطرة «الدولة الإسلامية في العراق والشام».

وبدأ تنظيم الدولة الإسلامية تحركات في بيروت لجمع الشباب السلفي وتشكيل مجموعات وخلايا في العاصمة اللبنانية تابعة له،

وقد أُوكل الأمر إلى شخص يدعى (المكاوي) الذي ينشط في بعض أحياء بيروت منذ عدة أسابيع.

وبالعودة إلى منطقة القلمون، حاول داعش إتمام حشده إلى خمسة الاف مقاتل للقيام بعملية هجوم خاطفة على إحدى القرى والبلدات المتاخمة لجبال القلمون السوري، وقد رصد التنظيم إضافة إلى عرسال، بلد الدعم اللوجيستي والغطاء السياسي اللبناني لهم في الجبال ما أسماها نقاط ضعف في رأس بعلبك، وفي منطقة النعيمات في القاع، وأتى هذا السعي لحشد خمسة آلاف مقاتل، بعدما أَفشل الجيش السوري وحزب الله منتصف تموز 2014 محاولة توغل أولى نحو بلدة يونين في البقاع الشمالي، وبادر الجيش السوري وحزب الله يومها إلى هجوم وقائي على مواقع المسلحين في أعماق جبال القلمون خصوصاً في تلة نبع الصفدي، ومنطقة الضهر بين عرسال والقلمون السوري.

التنظيم وضع خططاً لاختطاف جنود من الجيش اللبناني في محاولة لإستبدالهم بمعتقلين لدى الدولة اللبنانية، ويتركز إهتمام تنظيم داعش على إثنين من المعتقلين يبدو أنهما من المسؤولين الكبار في التنظيم، أو في بعض الخلايا التي تتواصل معه.

ويحاول التنظيم الدخول إلى لبنان عبر دفع المال الذي يملكه بكميات كبيرة، والذي يدخل إلى خزائن التنظيم من عمليات بيع النفط في الشرق السوري وفي المناطق العراقية الواقعة تحت سيطرته، وتشتري شبكات تهريب تابعة لشركات تركية النفط من

التنظيم، كما تشتري المافيات المحلية السورية كميات من هذا النفط، وتقوم الشركات التركية بتكرير النفط وإعادة بيعه إلى شركات نفط أميركية بأسعار تعادل نصف مبلغ السعر العالمي لبرميل النفط.

■ **من هو عماد أحمد جمعة؟**

هو من سكان مدينة القصير في الجمهورية العربية السورية، كان والده يملك محطة للوقود على مدخل القصير الشمالي على الطريق المؤدية إلى حمص، وكان يُعرف باسم طاهر جمعة.

ولم يُعرف عنه أي انتماء سلفي متطرف، بل عمل في تهريب المازوت من سوريا إلى لبنان، وكان لوالده علاقات مميزة مع أجهزة الأمن السورية في القصير ومحيطها.

في بداية عام 2012 كان من بين المجموعة الأولى التي حملت السلاح في القصير، ويُتهم بالمشاركة بعملية إغتيال الرئيس السابق لفرع المخابرات العسكرية في القصير العقيد (سليم عطية) في أيلول عام 2012. عمل في صفوف كتيبة الفاروق ومن ثم تسلّم مسؤولية فصيل في جبهة النصرة، وانسحب ضمن الدفعة الأولى التي غادرت القصير إلى جبال النعيمات،ليسكن بعدها في عرسال وفي مخيم (النور) الذي نصب في جوارها.

تعتبر زعامة عماد أحمد (طاهر) جمعة، جديدة على الفصائل المسلحة في القلمون، وهي تعود إلى بدايات معركة يبرود، ومكّن زعامته على الفصائل في القلمون بعد معركة خاضها مع أنصار

(أحمد أبو السوس) وحصل بعدها على بيعة لداعش وأبي بكر البغدادي وعبرها لشخصه من جميع الفصائل، وحصلت البيعة في وادي الميرة، كما سبق وذكرنا.

■ **لماذا قرر المسلحون دخول بلدة عرسال؟**

مع بداية شهر آب 2014 شنت داعش وجبهة النصرة هجوماً كبيراً على مراكز الجيش اللبناني ومواقعه في بلدة عرسال اللبنانية وتمكنت من خطف 13 جندياً لبنانياً جميعهم من اللواء الثامن ومن ثم اطلقت سراح الجنود الستّة بعدما أعدمت أحدهم وهو الجندي علي الصياد من الشمال وأبقت على الجنود الشيعة الذين بدأت عملية إعدامهم بذبح الجندي عباس مدلج ومن ثم قتل الجندي محمد حمية بإطلاق الرصاص على رأسه.

ولمعرفة الأسباب الرئيسة التي دفعت المجموعات المسلحة في جرود القلمون إلى اتخاذ القرار بدخول عرسال البلدة، يجب العودة إلى التطورات الميدانية التي حصلت في جرود القلمون في شهر تموز 2014 والتي أدت إلى تشديد الخناق على حوالى أربعة آلاف مسلح في متاهات جبال القلمون الصعبة التضاريس، وتشير التطورات الميدانية إلى عدة اسباب قاهرة جعلت المسلحين يصلون إلى المرحلة الآخيرة من خطتهم للبقاء في المنطقة والمتمثلة بدخول بلدة عرسال مباشرة، وهذه الأسباب هي التالي:

أ ـ التطورات الميدانية في الأسابيع الأخيرة وصلت إلى مرحلة السيطرة النارية للجيش السوري وحزب الله على جميع

المعابر بين عرسال والجرود المحيطة بها وهذا التطور شكل حالة حصار غذائية للمسلحين الذين خف إمدادهم بالغذاء خصوصاً بمادة الخبز من 10 آلاف ربطة يومياً إلى أقل من 1000، وبدأوا يعتمدون على الدراجات النارية في نقل إمداداتهم بعدما كانوا يعتمدون على السيارات رباعية الدفع وسيارات البيك آب.

ب ـ انقطاع شبه كامل للمعابر مع منطقة الزبداني التي منها يأتي الإمداد الأكبر بالسلاح والذخائر والمقاتلين، وهذا الوضع شكل عامل ضغط على الفصائل المسلحة التي بدأت تحسب حساب كل طلقة تستخدمها في المعركة، حيث من الصعب عليها تعويضها بسبب التطورات الميدانية التي تسير في إتجاهات معاكسة لمصلحتهم.

ج ـ وجود المئات من المقاتلين الجرحى والذين يشكلون عبئاً يومياً على باقي المسلحين، خصوصاً بعد توقف عملية تمرير جرحى المسلحين إلى المشفيات اللبنانية بطرق نظامية، وهذا ما جعل المسلحين ينقلون بعض مشافيهم الميدانية إلى خارج عرسال، غير أنهم اكتشفوا أن بُعدهم عن الأماكن الحضرية يُسرّع في عملية هزيمتهم النهائية في القلمون.

د ـ بداية عمليات إنسحاب وهروب للمسلحين من الجبال باتجاه عرسال، ما يهدد بانفراط عقد الجبهة كلها، إذا لم يتم تدارك الوضع عبر عملية إستباقية واسعة، تحظى بتغطية إعلامية كبيرة.

ويمكن القول أنه خلال صيف عام 2014 أصبح المسلحون المنتشرون في أعماق جبال القلمون أمام خيارين لا ثالث لهما: الإستسلام أو الموت في قلب الجبال الممتدة من جبال النعيمات مقابل بلدة القاع وسهلها حتى حدود الزبداني في سوريا. هذا الكلام لمصدر ميداني متابع لما يجري في جبال القلمون منذ بداية الأحداث السورية.

وكان المسلحون طلبوا بعد سقوط يبرود، طريق انسحاب بين بلدة قارة وبلدة البريج في القلمون السوري، باتجاه الجنوب السوري، وحسب العرض الذي قدموه قالوا انهم يريدون الذهاب باتجاه الجزيرة العربية، غير أن هذا الطلب رُفض لأن الطرف السوري وحلفاءه يعتبرون أن المسلحين سوف يتوجهون إلى الداخل السوري وسوف يضطر الجيش وحزب الله لمواجهتهم في المدن السورية، بينما بقاؤهم في متاهات جبال القلمون يعتبر الحل الأمثل لإنهاء المعركة حول دمشق إمتداداً إلى الجنوب السوري.

واعتمد الجيش السوري وحزب الله على الوقت وعلى حُلول فصل الشتاء القارس في تلك الجبال لإنهاء حالة المسلحين فيها. وبعد قطع تواصل المسلحين بين بلدة الزبداني وباقي جبال القلمون نارياً، زاد الخناق على حوالى أربعة آلاف وخمسمائة مسلح يتوزعون في أعماق الجبال، وزاد من حدة الخلافات بين المسلحين السوريين والأجانب الموجودين في الزبداني، وينتمي المقاتلون الغرباء إلى جنسيات سعودية وأردنية وجنسيات أخرى غير عربية،

ويعتبر هؤلاء أنَّ الطرق مسدودة أمامهم للخروج من المنطقة، ولم يقدم لهم أي حل للإنسحاب، وقد قرروا المواجهة حتى الرمق الأخير.

ويعاني المسلحون من البعد عن المناطق الحضرية والمدن في القلمون، وهذا ما يُصعِّب عليهم عمليات الإمداد والتموين حيث هم، ويجبرهم على الخروج من مخابئهم للحصول على الغذاء والتزود بالوقود، ما يجعل عملية ضربهم وإضعافهم أسهل وأسرع.

وترصد الجهات الميدانية محاولات من جانب المسلحين للعمل تحت إمرة غرفة عمليات موحدة وخوض معرك الجبهة الواحدة، غير أن تشتتهم وتفرقهم الجغرافي على شكل مجموعات في قلب الوديان والمغاور وفي مواقع متباعدة، أفشل إلى حد كبير مخططهم هذا. وتقول مصادر ميدانية أن الهجوم الكبير الذي شنَّه المسلحون في شهر حزيران 2014 قبل الدخول إلى عرسال، كان فيه تنسيق كبير واعتمد على طرق بدائية لإعلان إستعداد المجموعات وذلك عبر إصدار صوت معين من كل مجموعة تعلن فيه استعدادها للهجوم. وقد بدأت المعركة عبر إشعال نار كبيرة في تل يقع في أعماق الجبال وإطفائها بسرعة ما أخرج دخاناً كثيفاً نحو السماء في إشارة إلى المجموعات لبدء المعركة.

المصادر الميدانية تقول أيضاً إن هذا الهجوم كان كارثة فعلية على المسلحين فقدوا خلاله العشرات من خيرة مقاتليهم خلال يوم

كامل من المعارك، تمكنوا في بدايته من إحتلال إحدى النقاط لمدة ساعتين فقط، غير أن طبيعة المعركة وطريقة توزيع قوات الجيش وحزب الله فضلاً عن فقدان المسلحين لمناطق الحضر والسكن أخرج من أيديهم أية مبادرة هجومية قابلة للإستمرار والحياة، ويتوقع أن تستمر معركة براري جبال القلمون وقتاً لا بأس به حتى يتم القضاء على مجاميع المسلحين هناك وهم يعلمون أنهم سوف يفقدون معركة سورية المفيدة بشكل عملي عندما يخسرون هذه المعركة.

■ أبو مالك التلي لوجهاء عرسال: حدود دولة الخلافة في بلدتكم

لم تعد الأوضاع في عرسال كما كانت عليه سابقاً؛ لا لأهالي البلدة، ولا للاجئين السوريين، ولا للمقاتلين ولا حتى للجيش اللبناني. الكل يمر بمرحلة من التغيير في المزاج والعلاقات، والمواقف سوف تظهر نتائجها تباعاً في المستقبل القريب جداً، عندما يعود من غادر منزله من أهالي عرسال بسبب مسلّحي داعش، وعندما يقف أهالي الضحايا على وقع مصيبتهم، والمتضرّرون على تبخُّر تعب العمر في لمحة بصر.

وحده أبو مالك التلّي، لا يأبه لعرسال وأهلها، حكمهم خلال الأيام الماضية بالسيف والنار، لم يعترف بجميلهم عليه وعلى ثورته خلال الأعوام الأربعة الماضية، فكافأهم بالقتل والتهديد والإهانات، تساوى عنده الملاّ أبو طاقية، ورئيس البلدية أبو عجينة، وغيره من الأبوات وأصحاب الألقاب التي تشتهر بها عرسال.

جمع ابو مالك التلي حوالى مائة شخص من وجهاء عرسال في أحد منازل البلدة، خاطبهم بلغة الوصي والحاكم، قال لهم حسب أحد الذين حضروا الإجتماع (حدود سايكس بيكو التي تعرفونها ذهبت إلى غير رجعة، دولة الخلافة وصلت إلى عرسال وسوف تستمر في التمدد، من يفكر منكم بشق عصا الطاعة أو الخروج عن الصف، أو الغدر بنا، سوف نقوم بنحره في ساحة البلدة).

يروي بعض أهالي عرسال الذين لم يغادروها خلال الأيام الماضية، عن توزيع أدوارٍ واضح بين الجماعات المسلحة التي إحتلت عرسال، ينفون ويسخرون من الكلام عن معارك نشبت بين النصرة وداعش،كلهم واحد في إحتلال عرسال. يقول أحد أبناء البلدة أن حوالى 1000 مسلح خرجوا من مخيمات النازحين، و350 عرسالياً ساندوهم، ويتحدث عن مسلح لبناني أطلق النار على مشايخ هيئة العلماء المسلمين، ويحدد المدعو (خ.م.م.ح) الذي أطلق النار بأمر من أبي مالك، وكان يوجد طيلة الأزمة مع مجموعة مسلحين في إحد مساجد البلدة حسب المصدر العرسالي.

تغير مزاج أهل عرسال نحو المسلحين؛ يقول أحد أبناء البلدة: عرف العراسلة خلال الأزمة من هم اهلهم الحقيقيون، لقد فتحت القرى اللبنانية الشيعية أبوابها لإستقبالهم، هذا سوف يعيد باب العلاقات والتقارب خلال الفترة المقبلة، أصبح هناك غضب ونقمة على المسلحين في الجبال، وعلى النازحين في المخيمات، وهذا أيضاً سوف تظهر أثاره في الفترة المقبلة.

يردد رجل آخر من عرسال المثل المعروف: أنّ «الفاس وقع بالراس» ولن يكون بالإمكان إصلاح الحال بين الجيش والمسلحين بعد الذي حصل، لقد وقعوا في الخطيئة الكبرى بهجومهم على عرسال، قلنا لهم هذا، أدركوا منذ اليوم الثاني خطأهم، لكن المحظور كان قد وقع.

نعود إلى أبي مالك الذي قال للعراسلة، أنه سوف يبقى على بعد 4 كلم من البلدة، حتى يحافظ على طريق الإمداد والدعم، وهو ينتظر من عرسال وأهلها الإستمرار في دعمه، وإلا اضطر لإعادة إحتلال البلدة.

يقول من حضر الاجتماع أن النصرة اختبأت خلف داعش في هذه المعمعة، لكنها تشكل الجسم الاكبر في المنطقة، وكلهم اتخذوا داعش ستاراً؛ أبوطاقية، أبو عجينة، والنصرة، والحر، كُلٌّ كان له منطقته ومحوره وطرقه للخروج نحو الجرود دون الحاجة للأخر، ويتابع حديثه بالقول: داعش خططت وهاجمت والنصرة لعبت اللعبة واختبأت خلف داعش، التي ارتبك عناصرها وفقدوا زمام الأمر بعد اعتقال أحمد جمعة ومقتل الفلسطيني. ضاع أتباع داعش ولم يعد هناك من يقرر في موضوع عرسال، فتولت النصرة وأبو عجينة وأبو طاقية التفاوض عنهم والإختباء خلفهم عند كل حاجة.

■ **مجهزو السيارات المفخخة ومرسلوها بالأسماء**

شكلت عرسال منذ بداية الحرب السورية نقطة تسليح وتموين

وانسحاب للمسلحين الذين يقاتلون الجيش السوري في القلمون الدمشقي وفي القصير وصولاً إلى حمص، وكانت البلدة اللبنانية تأوي العشرات من المطلوبين للدولة السورية والدولة اللبنانية بجرم تفخيخ السيارات وإرسالها إلى لبنان منذ صيف عام 2013. وتوالت عمليات تفجير السيارات في لبنان فصولاً منذ صيف 2013 وأخذت منحىً تصاعدياً مع مرور الزمن. في عمليات التفجير لم يبتعد المنفذ كثيراً عن مناخ المنظمات التكفيرية، ومناخ الحريرية السياسية التي أمنت وتؤمن لهذه المجموعات كل البنى التحتية والمساعدات اللازمة لاستخدامها في الحرب على حزب الله.

في عرسال عمل «تيار المستقبل» مع الجماعات المسؤولة عن عمليات التفخيخ، وهذه الجماعات التي دخلت عرسال أو نبتت في داخلها والتي تشكل أقلية لا تذكر في المدينة، إنما نمت وترعرعت في ظل سيطرة الحريرية السياسية على قرار البلدة ومقدراتها منذ بداية الأزمة في سوريا.

في عمليات تفخيخ السيارات يقول من التقينا بهم في البلدة أنها تتم بغالبيتها في جرود البلدة وبعضها وفي يبرود السورية ويشارك جماعة من الموجودين في عرسال والعاملين مع (ابو طاقية) والجيش السوري الحرّ وجبهة النصرة بشكل مباشر في عمليات تفخيخ هذه السيارات وتجهيزها وإرسالها إلى الداخل اللبناني عبر المعابر الجبلية التي يتم فتحها بصورة مستمرة في الجبال والوديان المحيطة بعرسال والمتصلة بالبقاع الشمالي.

ومن أجل الإستمرار على جهوزية الطرقات وعدم إغلاقها كانت توجد بصورة مستمرة آلية لشق الطرقات في الوديان والجبال كما أن الجماعات التي تتولى أمر تفخيخ السيارات وإيصالها إلى الداخل اللبناني إعتمدت على آلات لرفع السيارات (بلاطة) من أجل نقل السيارة المفخخة لضمان عدم إنفجارها بسبب تضاريس الأرض الصعبة و عدم جودة الطرقات الترابية المحفورة في الجبال.

وتتكون شبكة تفخيخ السيارات الموجودة في البلدة من عدة أشخاص، ومحورها الأساس عراقي يعمل مرافقاً لأبو طاقية يسمونه (أبو بكر البغدادي) ويظهر البغدادي مع أبو طاقية في عرسال، وهذا الرجل هو خبير متفجرات مجرب في العراق وأتى إلى عرسال مع جماعة (الحملة الإغاثية السعودية لنصرة الأشقاء في سوريا) والتي تأتمر مباشرة بأمر وزير الداخلية محمد بن نايف، والتزم جوار الشيخ مصطفى الحجيري ويعتبر إحدى حلقات التمويل التي يحصل عليها أبو طاقية من الشيخ حسان العتيبي، واستمرار التمويل السعودي مربوط بوجود البغدادي إلى جانب الحجيري.

الشخص الثاني الذي يعمل على تفخيخ السيارات رجل تركي مقيم في عرسال والدته من قرية النبي عثمان ويدعى (محمد صباح أوزبكان) وهو يعمل حداد سيارات يطلبونه عندما يريدون توضيب المتفجرات داخل السيارة من دون أن تتغير معالمها.

الشخص الثالث كهربائي سيارات من عرسال ويدعى (م.إ.ح) مهمته تتعلق بربط العبوة كهربائياً مع كهرباء السيارة.

وتوجد علاقة تنسيق ميداني وتمويل بين شبكات التفجير العنقودية المنتشرة في عرسال و الشمال اللبناني ومخيم عين الحلوة في الجنوب حيث تخضع هذه الشبكات لآمرة قيادة واحدة، وقد أعاد القيمون على هذه الشبكات تنظيم أوضاعها مع سقوط يبرود في القلمون السوري وقطع التواصل بين عرسال والشرق نحو سوريا، وهذا عقّد عمليات التوغل جنوباً إلى دمشق أو شمالاً إلى حمص، ويبدو أن مغادرة محمد حسن الحجيري منطقة القلمون وعرسال إلى الداخل اللبناني، تأتي ضمن إستراتيجية جديدة قررت التنظيمات السلفية العمل بموجبها في الفترة المقبلة، وهي زيادة وتيرة السيارات المفخخة في الأراضي اللبنانية كافة.

وتتولى مجموعة أخرى عملية نقل السيارات إلى داخل البقاع الشمالي، ويقول من التقينا بهم أنه يتم دفع مبلغ ستة آلاف دولار للمهرب الذي يقوم بنقل السيارة، سالكة طرقات المهربين إلى أول قرية خارج عرسال، عادةً تكون الفاكهة أو رأس بعلبك، ومن هناك يتسلّمها الشخص الذي يوصلها إلى هدفها النهائي وعادة يكون هو الموكل تنفيذ التفجير.

«طرق الموت» بكل ما للكلمة من معنى، هكذا يمكن تسمية هذه الطرق الجبلية الوعرة المؤدية من مدينة عرسال في البقاع الشمالي على الحدود مع القلمون السوري إلى الداخل اللبناني والتي تمر منها السيارات المفخخة الآتية من يبرود السورية عبر عرسال إلى لبنان لتفجيرها في المدن والبلدات اللبنانية.

وتسلك السيارات المفخخة طرقاً ثلاثاً للوصول إلى الداخل اللبناني، وهذه الطرق شقها المسلّحون السوريون والعراسلة مستخدمين الجرافات وهي:

1 ـ طريق عبر (وادي حميد ـ تنية الراس) باتجاه رأس بعلبك.

2 ـ طريق (جرود عرسال ـ خربة يونين) باتجاه بلدة يونين ومنها إلى الداخل اللبناني.

3 ـ طريق شُقَّ نهاية 2013 من جرود عرسال باتجاه جرود بلدة مقراق قرب بعلبك.

خضعت هذه الطرق للمراقبة على مدار الساعة، وتعتبر منذ بداية عام 2014 خارج الخدمة بسبب المراقبة الكثيفة والدقيقة. ومنذ بداية معركة القلمون أصبح الوضع الميداني أكثر تعقيداً للجيش اللبناني بعد عمليات الخطف التي تعرض لها جنوده في عرسال صيف عام 2014.

■ **هاتف عمر الأطرش خان صاحبه وحوّله إلى أشلاء**

لم يتراجع عمر الاطرش عن عمله في نقل السيارات المفخخة من يبرود السورية إلى مناطق لبنانية مؤيدة لحزب الله رغم الكشف عن مسؤوليته في تفجير عبوة الضاحية وعن محورية شخصه في السيارات المفخخة التي انفجرت في الضاحية الجنوبية لبيروت.

كان عمر الأطرش أحد الأشخاص الذين تولوا أمر نقل السيارات المفخخة إلى البقاع الأوسط ومنه إلى بيروت ولا يعرف

عنه خبرته في تفخيخ السيارات، غير أن المعلومات تدور حول إرتباطه الوثيق بمجموعة في يبرود تقوم بتجهيز السيارات المفخخة التي كانت تعتمد عليه في عمليات التنقل على الحدود لمعرفته الدقيقة بمداخل وتشعبات جرود عرسال والمنافذ الجبلية بينها وبين البقاع الشمالي، خصوصاً ناحية رأس بعلبك المعبر الوحيد الذي بقي سالكاً بعض أوقات الليل بعدما صعبت التنقلات عبر المعابر الأخرى بسبب الرصد المحكم للطرقات ولكل شيء يخرج من عرسال باتجاه البقاعين الشمالي والأوسط.

ركب عمر سيارة مفخخة سلّمه اياها شخص سوري في مدينة عرسال وليس في الداخل السوري، واتجه الأطرش عبر طريق جبلية يستخدمها المهربون وكانت تمر عبرها الشاحنات الآتية من سوريا محملة بالخردة والمازوت ويبدو أنه اختار توقيت رحلته في وقت محدد يتعلق بعمليات تبديل في دوريات الجيش اللبناني والقوى الأمنية اللبنانية في المنطقة بحيث تكون الطريق سالكة أمامه دون أن يعترض أحد السيارة، وكانت سيارة ثانية تسير على بعد كلم واحد من السيارات المفخخة التي كان يقودها عمر الأطرش، ودور السيارة المرافقة كان التدخل لإلهاء الجيش أو القوى الأمنية في حال وجود حاجز طيار يعترض طريق سيارة الأطرش.

انفجرت سيارة عمر الاطرش في نقطةٍ تركته فيها السيارةُ المرافقة دون مراقبة وعادت أدراجها باتجاه بلدة عرسال، وكان أنّ الأطرش تلقى اتصالاً هاتفياً على هاتف كان يحمله تسبب في تفجير

السيارة التي كان يقودها، ويبدو أن عُطلاً تقنيّاً أدى إلى تفجير السيارة التي كانت معدة للتفجير عبر هاتف نقال يعمل صاعق تفجير، كما حصل في تفجير عبوتي الهرمل، ويبدو أن الهاتف الموصول بصاعق تفجير في السيارة تأثر بموجات الهاتف الشخصي الذي تلقى عليه الأطرش الإتصال الأخير، ما أدى إلى تفجير السيارة.

وهناك عدة إحتمالات في هذا التفجير، أقواها أن يكون خطأ تقني بمحض الصدفة فجّر السيارة أو أن يكون تم اختراق الهاتفين تقنياً بحيث تمت عملية التفجير بشكل متعمّد ومن جهةٍ تمتلك القدرة التقنية على القيام بهذا العمل.

يوم 27 آذار 2014 أجرى الجيش اللبناني مداهمة في أحد أحياء عرسال لإلقاء القبض على سامي الأطرش، أحد المطلوبين بأعمال إرهابية، وأثناء المداهمة حصل إشتباك ما أدى إلى مقتل الأطرش.

قتل سامي الأطرش، المطلوب بعدة مذكرات توقيف، بتهمة تفخيخ السيارات التي انفجرت في عدد من المناطق اللبنانية، وبقتل عدد من العسكريين على حاجز للجيش اللبناني في وادي حميد، وبقتل أربعة مدنيين في وادي رافق وإطلاق قذائف هاون على قرى وبلدات لبنانية ووفق بيان صادر عن مديرية التوجيه في الجيش اللبناني. وهو احد قادة جبهة النصرة في لبنان.

وكان الجيش قد أجرى مداهمة في أحد أحياء بلدة عرسال لإلقاء القبض على الأطرش، فبادرهم بإطلاق النار، وحصل اشتباك

أدى إلى إصابته ونقله إلى مستشفى دار الأمل ليفارق الحياة فيما بعد متأثراً بجراحه.

يُشار إلى أن اسم سامي الأطرش تم تداوله للمرة الأولى بأنه مشتبه فيه مع سامح بريدي في إعداد متفجرة بئر العبد الأولى.

■ **هجوم انتحاري على معسكر حزب الله في قلب البقاع الشمالي**

كانت سيارة محملة بالمتفجرات أتت من عرسال من السلسلة الشرقية لجبال لبنان في البقاع الشمالي إلى قرية صبوبا على سفوح السلسلة الغربية للبنان في البقاع الشمالي، وكان هدفها نقطة تبديل وتجمع ومراقبة لحزب الله في صبوبا. السيارة انفجرت فجر يوم الثلاثاء 17/ 12/ 3013 مثيرة الكثير من التحليلات والكلام والتكهنات، فما حقيقة ما جرى منذ انطلاق السيارة بعد ظهر الاثنين إلى حين وصولها فجر الثلاثاء؟

عملت مجموعات النصرة الموجودة في عرسال على القيام بعمليات رصد وجمع للمعلومات بالتعاون مع لبنانيين من عرسال وكان الرصد على مدار الساعة انطلاقاً من السلسة الشرقية المواجهة لبلدة القاع وعلى طول الطريق بين رأس بعلبك والقاع.

وتركزت عمليات الرصد على مفارق الطرق التي تنتشر عليها حواجز للجيش اللبناني وعلى مداخل مدينة الهرمل ناحية محطة السكة الحديد، ومن ناحية بلدة القاع في مشاريع وادي الخنزير ومنطقة وادي بعيون. وتتحدث مصادر معنية تقوم بعمليات مسح

دوري للمنطقة عن وجود آثار لمعلبات وطعام وآثار لوجود أشخاص لفترة قصيرة على مقربة من مفارق الطرق الإستراتيجية، وفي نقاط تطل على الطريق المؤدي من بعلبك إلى سهل القاع في المنطقة الممتدة من رأس بعلبك والزيتون إلى القاع، ما يدل على وجود عمليات رصد ليلي لهذه الطريق يقوم بها مسلحو المعارضة السورية ولبنانيون داعمون لهم.

هذا الرصد كان المرحلة الأولى من مراحل عملية الهجوم على نقطة حزب الله في تلة النبي موسى في قرية صبوبا البقاعية، ويبدو من مسار سيارة الـ (كيا) التي نفذت الهجوم أنَّ عمليات رصد تمت لنقطة التبديل هذه، التي يمكن استشرافها من أكثر من نقطة، هي:

أ ـ من السلسة الغربية المقابلة التي تحوي الكثير من المغاور يمكن من خلالها مراقبة النقطة الهدف.

ب ـ من قرية جبولة، وتحديداً من التلة المحيطة بدير الراهبات حيث توجد أشجار وبساتين.

ج ـ من أحد المنازل في القرى المحيطة، ويكفي إستعمال منظار متطور من على سطح منزل مهجور أو منزل يسكن أصحابه شتاءً خارج البقاع الشمالي.

د ـ من المحيط المباشر للمنطقة الهدف.

نقاط المراقبة المذكورة تجعل من المتابعة والرصد المضاد عملية معقدة ومضنية، خصوصاً في حال وجود تعاون من قبل

شخص أو مجموعة من سكان المنطقة، لذلك تتركز عمليات الرصد المضاد على محورين:

1 ـ مداخل مدينة عرسال ومنافذ الطرق الجبلية التي شقتها وتشقها الجماعات المسلحة في الجبال للوصول إلى الداخل اللبناني.

2 ـ مداخل منطقة البقاع الشمالي من نواحي دير الأحمر ومن طريق بيروت.

وتم رصد سيارة الكيا بعد ظهر الثلاثاء 17 كانون الأول عام 2013 في بلدة الفاكهة بعد وصولها من أحد المعابر الثلاثة مع جرود عرسال، وبعد ساعات من وصولها خرجت من الفاكهة عبر الطريق الرئيس المؤدي إلى المعلّقة، واتجهت جنوباً عبر طريق بعلبك حمص إلى بلدة الجديدة القريبة، ومن هناك اتخذت غرباً الطريق الزراعي أو ما يسمى بطريق النهر لتنفذ من بلدة جبولة عند دير الراهبات، وبعد وصولها إلى دير جبولة، توجهت السيارة التي كانت تحت الرصد الكثيف باتجاه الجنوب الشرقي نحو قرية صوغا ومن هناك إلى صبوبا.

كان القرار أن يتم القبض على سائق السيارة حياً، بعد ورود معلومات مؤكدة أنه ليس انتحارياً، نُصب له كمين محكم على مقربة من النقطة التي يجري عندها التبديل، حيث تم وضع ڤان في عرض الطريق عند رأس طلعة ميتة من ناحية الرؤية للسيارات القادمة ولا يمكن للسائق أن يرى الڤان إلا عند وصوله إليه وهذا ما

حصل. وللتمويه تم وضع السيارات على مقربة من الڤان لإيهام المهاجم بوجود عملية تبديل للعناصر بين الڤان والسيارات في حال قرر تفجير نفسه أو قام أحد بتفجيره عن بعد.

وصلت الكيا وتفاجأ السائق بالڤان يغلق الطريق عليه، نزل من الكيا مسرعاً، وابتعد إلى نقطة فجر منها السيارة التي دمرت الڤان والسيارات الثلاث القريبة منه، ولم تفصح الجهات المختصة عن مصير السائق؛ هل تمّ القبض عليه حياً أو قتل في الإشتباك مع الكمين.

لم تستقبل مستشفيات المنطقة، من الهرمل، إلى بعلبك أي جريح على الإطلاق على عكس ما تداولته حينها وسائل الإعلام، وعادت جميع سيارات الاسعاف التي انطلقت إلى مكان الحادثة فارغة.

■ **خطأ في المعلومات تسبب في هروب أكبر المتهمين بالتفخيخ:**

من أخطر المطلوبين للجهات الأمنية اللبنانية في قضية تفجير الرويس، يتخذ من عرسال وجردوها ملجأ له.

مساء يوم الأحد بتاريخ 22 كانون الأول 2013 رصدت الأجهزة المختصة وجود (محمد حسن الحجيري) في منطقة الهرمل متوجهاً على ما يبدو إلى الشمال اللبناني وقد علمت الأجهزة المختصة بوجود الحجيري في منطقة الهرمل وهو أبرز المطلوبين في قضية تفجير الرويس الذي حصل في آب الماضي، عبر هاتفه النقال، حيث قام الحجيري بفتح هاتفه لمدة دقيقتين شمال مدينة الهرمل

على مفترق الطريق بين الهرمل وبلدة القصير المحاذية للحدود السورية.

وفور تيقن الأجهزة المختصة من مكان وجود محمد حسن الحجيري عمّمت صورة شمسية له، ووضعت الحواجز للقبض عليه، غير أن لغطاً كبيراً دار حول الصورة الموزعة للرجل ليتبين في الأخير أن الصورة ليست للحجيري ولكنها تعود لشخص آخر مطلوب للأجهزة الأمنية اللبنانية والسورية بتهمة الإنتماء لتنظيم القاعدة وهذا الشخص يدعى (عدنان كرومبي) وهو يتنقل بين الرقة وعرسال كما أكد البعض.

■ **نزّال نزّال، جيت لوحدك ما حدا جابك . . .**

يوم 24 تشرين اول عام 2014 عند السادسة مساء ألقى الجيش اللبناني القبض على أحمد محمد شهاب سوري الجنسية مواليد عام 1996، مدينة القصير في الجمهورية العربية السورية. وهو من المجموعات المسلحة التي خطفت الجنود اللبنانيين في عرسال الشهر الماضي. وتم توقيف شهاب على حاجز ضهر البيدر عندما تم التعرف إليه من قبل أحد الذين كانوا ضمن الجنود والشرطة اللبنانيين المخطوفين.

وفور رؤية الشخص المذكور لشهاب تعرّف إليه وقال له» «نزال نزال جيت لوحدك ما حدا جابك».

وقد اعترف شهاب بالمشاركة بخطف الجنود اللبنانيين. وقد اقتيد إلى وزارة الدفاع للتحقيق معه.

وتطرح عملية إلقاء القبض على شهاب أسئلة محرجة عن حرية تحرك المجموعات المسلحة وعناصرها بين القلمون وجميع المناطق اللبنانية بحرية تامة وربما بغطاء سياسي وأمني.

محمد شهاب كان في بيروت وكان يحمل بطاقة هوية لبنانية مزورة عند توقيفه. وهو ليس الوحيد من العناصر المسلحة التي خطفت الجنود اللبنانيين الذين يتنقلون بحرية بين القلمون والمدن والبلدات اللبنانية من دون أن يعترض طريقهم أحد.

وكان شهاب عند القبض عليه حليق الذقن ويرتدي ملابس أنيقة، وتشكل منطقة سهل القاع في البقاع الشمالي الثغرة الكبرى التي يتم عبرها تنقل المسلحين بين القلمون ولبنان بحرية كاملة.

وهناك خشية حقيقية من انفجار الوضع في مشاريع سهل القاع بطريقة مفاجئة بعد عمليات رصد لإنتقال عناصر من الجبال إلى الداخل اللبناني عبر هذه المشاريع التي يقدر جهاز أمني رسمي عدد المسلحين المحتملين فيها بخمسمئة مسلح يمكن اعتبارهم خلايا نائمة موجودة في المشاريع القريبة من مدينة القصير السورية.

وتنشط منذ بداية الحرب حركة المهربين باتجاه جبال القلمون. وعاد عشرات من هؤلاء المهربين إلى الظهور والعمل في المنطقة بعد غياب ملحوظ.

وتنتمي شبكات المهربين إلى جميع المكونات الطائفية للبقاع الشمالي وفيها سوريون من القصير ولبنانيون من البقاع الشمالي.

وتشير المعلومات إلى أن هذه الشبكات هي المسؤولة عن الكشف عن الكثير من المعلومات المتعلقة بالجيش السوري وحزب الله في منطقة القلمون كما تقوم هذه الشبكات بتزويد المسلحين بكل ما يحتاجونه من مواد غذائية مقابل أسعار باهظة للسلع.

وتشير أوساط هذه الشبكات إلى أسعار بعض السلع التي يدفعها مسلحو القلمون:

ربطة الخبز: 10 آلاف ليرة لبنانية.

كيلو الصفيحة: 100 ألف ليرة لبنانية.

علبة الطون: 25 ألف ليرة لبنانية.

ولتهريب الوقود وأسعاره قصة أخرى أكثر غرابة في سوق الموت هذا...

■ **مفارقات معركة القلمون: وقائع من أرض المعركة..**

لمعركة القلمون مفارقاتها الغريبة، وتكفي زيارة ميدانية إلى بعض المناطق هناك فضلاً عن إطلالات على بعض النقاط والمزارع التي هي معابر طبيعية يتم عبرها التنقل ليلاً والتواصل بين السهل والجبل ليرى الباحث العجب العجاب في تركيبة المناطق الحدودية بين لبنان وسوريا خصوصاً في موضوع التهريب والمهربين.

هناك نقاط تعتبر معابر التقاء المهربين الذين ينشطون بقوة في المنطقة، في الشتاء يقولون تحضيراً لموسم المازوت وبعضهم الآخر أكثر صراحة يعترف أن المازوت حجة وأن المهرب (لا دينَ

له) يبيع ويشتري كل شيء وأول هذه الاشياء المبادئ، حسب ما قال حرفياً أحد العاملين في قطاع النقل في مهنة التهريب عبر هذه السلسلة.

تتغير إستراتيجيات المسلحين في القلمون حسب الفصل والطقس. الشتاء يفرض تغييراً جذرياً أوله إلغاء مؤقت لفكرة العودة إلى القصير التي طالما تغنى بها هؤلاء، واستبدالها باستراتيجيات أخرى يتحدث عنها سكان سفوح تلك الجبال الذين يتواصلون مع مجاميع المسلحين عبر الهواتف والسكايب أو عبر قنوات المهربين وبعض الذين يتسللون بشكل فُرادى ليلاً من الجبال وإليها سيراً على الأقدام.

تبدو منطقة جبال القلمون من أطراف سهل القاع المدخل الجغرافي للقصير وجوارها حتى حمص، وسلسلة الجبال منها وصولاً إلى جرود بريتال، هادئة غير أنها مليئة بكل أسباب الإنفجار والحرب؛ في شهر أيلول عام 2014 وبعد فترة هدوء نسبية عادت المنطقة بين ليلة وضحاها ساحةَ حربٍ طاحنة من الجهة الشرقية الجنوبية المتاخمة لجرود بريتال ويونين، وداخل الجرد المشترك بين هذه البلدات وبلدة عرسال.

وفيما تبدو المنطقة الشمالية الشرقية من جهة جرود راس بعلبك وصولاً إلى جرد القاع وسهلها المؤدي إلى جوسيّة والقصير هادئة نسبياً، فإن الجو الحقيقي ينذر بما هو أخطر مستقبلاً خصوصاً بعد الضربة التي تلقاها المسلحون في الجرود الواصلة بين عسال

الورد وبريتال، رغم أنهم حققوا إختراقات في بداية هجومهم المباغت في أيلول 2014 على نقاط معزولة، إلا أن ردة الفعل كانت قوية لدرجة الهزيمة المؤلمة في خسارة تلة أم الخرج خلال ثلاث ساعات دون أن يتمكن من كان عليها من الحفاظ على هذه النقطة الإستراتيجية التي تشرف على كامل تلال وسهل عسال الورد.

يروي بعض المهربين الذي يتنقلون عبر وديان المنطقة وجبالها أن فكرة القتال للعودة إلى القصير أصبحت من الماضي في إستراتيجية المسلحين المنتشرين في جبال القلمون، على أقلّه في فصل الشتاء وحتى نهاية فصل الربيع، ويضيف الرجل الذي يقول إنه يعرف المنطقة زاوية زاوية ومغارة مغارة، أن المسلحين ليسوا جسماً واحداً، وليسوا رأياً واحداً، كما ان بعض كبار السن من الذين كانوا وجهاء في القصير وريفها، ليسوا مع المواجهة العسكرية من الأساس، ويتحدثون همسا عن ضرورة فتح باب للتواصل مع الدولة السورية لحل هذه المشكلة من أساسها.

رجل آخر من جماعة المهربين يطابق قول صاحبه، ويضيف أن إستراتيجية (فراس البيطار ـ وأبو مالك)، كما سماها، هي البقاء في جبال القلمون خلال فصل الشتاء وعدم النزول إلى السهل حتى لا يكونوا مصيدة سهلة للجيش السوري وحلفائه، فالجبال تؤمن الغطاء الجعرافي بتضاريسها بينما السهل المكشوف من جهة القاع وجوسية سوف يقضي على المسلحين فيما لو حاولوا الإقتراب منه أو التفكير في العودة إليه، ويقول الرجل، إن المفارقة هنا التي

فرضتها طبيعة القلمون تكمن في تخلي مسلحي القلمون مؤقتاً عن فكرة العودة إلى القصير بفعل إنكشافهم وعدم وجودهم في مناطق الحضر من قرى وبلدات المنطقة التي خسروها في الحرب، وهذه بداية النهاية لهم، يقول الرجل. فالفكرة بأساسها بدأت تزول من نفوسهم ومع الوقت سوف تضعف الذاكرة مع قساوة الحرب وتبدل منطق الإستراتيجيات بفعل السعي للبقاء على قيد الحياة، وهذا يشكل الهاجس الأول والأخير للمسلحين.

ولكن هل يعني هذا أنهم لن يحاولوا شن هجمات على القرى والبلدات؟

سوف يهاجمون، ليس للبقاء داخلها ولكن لمحاولة أخذ رهائن وارتكاب مجازر لإرهاب الناس، يقول أحدهم؛ هم يعرفون أنهم لن يستطيعوا البقاء في أية بلدة يدخلونها لكنهم سوف يحاولون جهدهم أن يدخلوا إلى منطقة سكنية بفعل المفاجأة ويأخذوا رهائن، وسياسة أخذ الرهائن هي هدفهم الكبير في هذا الوقت، كما أنهم سوف يقومون بعمليات إعدام وقتل سريعة قبل خروجهم بهدف إرهاب الناس وإرباك الطرف الآخر، ومحاولة جذب المقاتلين إلى صفوفهم بفعل الظهور الإعلامي، هم يريدون أن يكونوا أبطال المعارضة في الحرب السورية، بعد الهزائم التي منيت بها المعارضة وبعد صعود نجم داعش وسيطرتها على مناطق واسعة في سوريا.

في فصل الشتاء عندما يقترب موسم المازوت، يقول مهرب

مزدوج الجنسية: تبدأ الإستعدادات بين المهربين على طرفي الحدود. هناك صعوبة كبرى لكن ضرورات البقاء تفرض غض النظر فالناس أوضاعها سيئة إقتصادياً وهي إن لم تعمل في التهريب سوف تلجأ إلى العنف. كثرت حوادث السرقة بقوة السلاح خلال الفترة بين شتاء 2013 وصيف 2014، في السهل الممتد من القاع حتى سهل رأس بعلبك والفاكهة، مخابرات الجيش اللبناني تشن عمليات مداهمة ليلية في مخيمات اللاجئين المكتظة والمنتشرة بشكل عشوائي، كما يقول القيمون على المخيمات من مندوبي جمعيات تمولها (الأمم) حسب تسمية أحد المهربين، مضيفاً نحن الذين نجوب هذه المنطقة طولاً وعرضاً ونعرف خباياها نقول بكل ثقة أن لا شيء عشوائي وأن اختيار أماكن نصب المخيمات تم على تخوم المعابر والمنافذ الطبيعية بين السهل والجبل، وأن هذه المخيمات في بعض نقاطها أصبحت منطقة تواصل مع الجبال، هذا التواصل الذي فقده المسلحون قبل عام ونصف عام، عاد إليهم عبر مخيمات (الأمم).

تمر الدراجة النارية وسط تلال النعمات مخترقة السكون الثقيل، تسير باتجاه سهل القاع، حاملة رجلاً وإمراة، انظر، يقول لي؛ المهرب هذا أحد المقاتلين في القلمون يغادر إلى الشمال هم يتبعون هذه الطريقة في الخروج والفرار، وضعهم ليس مريحاً مع اقتراب الثلوج، رغم انهم في حالة تموين جيدة.

بالأمس وجدت جثة في وادي عطا مكبلة وفي الرأس طلقتان،

يبدو أنه من المقاتلين، وهناك شكوك أنه صُفِّي على يد مافيات التهريب في عرسال، وقبلها باسبوع أوقف الجيش اللبناني على مفرق رأس بعلبك سيارة (بيك أب) فيها 300 شريحة هاتف، الجندي على الحاجز سال سائق السيارة العرسالي إلى أين ذاهب؟ أجاب السائق: إلى الملاهي. مدّ الجندي يده داخل السيارة وضرب بقبضته على السقف فوجده محشواً. وأثناء التفتيش وإخراج شرائح الهاتف أتى إتصال لصاحب السيارة. أمسك الضابط المسؤول عن الحاجز بالهاتف وفتح (الميكروفون) فقال رجل بلهجة لبنانية: (وينك يا زلمة الجماعة ناطرين الأمانة لازم نوصلهم إياها اليوم، رح يجي حدا من الكسارات لهون ياخذها).

بين التلال ينتشر اللواء الثامن في الجيش اللبناني، كما ينتشر فوج المجوقل عند النعمات وعلى مداخل عرسال وعلى بعض المعابر، إضافة إلى الجيش الوطني هناك جيش من المهربين عاد إلى المنطقة خصوصاً من سهل القاع إلى سهل راس بعلبك مع وجود متصاعد للمهربين عند جرود بريتال من الجهتين. يروي المهرب أيضاً أن قساوة الطبيعة فرضت نفسها، وحالات الفرار والنزوح لدى المسلحين بدأت تتزايد، رغم أن المهربين لا يتركونهم بحاجة إلى أية سلعة، ورغم أن تزويدهم بالمؤن يتم عبر سيارات البيك أب بطريقة نظامية.

■ **كيف ذلك، سالته؟**

هناك تجار في لبنان يشترون البضائع ويقومون بنقلها إلى البقاع

الشمالي، ويتم تسليمها لتجار من عرسال عند مفرق رأس بعلبك، وهؤلاء يدخلونها بشكل نظامي إلى البلدة ومنها تخرج هذه الحمولات إلى الجبال، وعند حواجز الجيش اللبناني يقولون إن هذه الحمولة ذاهبة إلى منطقة الكسارات، الكل يغض الطرف. ويضيف: ربما لأن المعنيين يعلمون أن المسلحين لن يستطيعوا البقاء في الجبال خلال فصل الشتاء.

هم يقيمون في قمم عالية درجة الحرارة فيها خلال الشتاء لا تطاق وسوف تقوم الثلوج بدور قاطع الطريق خلال الاشهر القادمة، عددهم الكبير سوف يستنزف كل المؤن التي أوصلتها لهم شبكات التهريب، من الآن نلاحظ حركة النزوح باتجاه الشمال، هناك سوف يكون الوضع صعباً، ليس لديهم الكثير من الخيارات؛ هناك منطقتان يمكن لهم التواجد فيهما بفعالية: طرابلس المدينة، وجرود عكار المتجاورة مع جرود الهرمل. يعني هم سوف يهربون من حزب الله والجيش السوري في القلمون إلى مناطق إشتباك مع حزب الله في جرود عكار ومع الجيش اللبناني في طرابلس، مع فارق بسيط أنهم سوف يتركون كل أسلحتهم الثقيلة هنا وسوف تترك الآليات في الوديان ولن يكون بمقدورهم خوض معركة في الشمال بالإمكانيات التسلحية المتاحة لهم هنا في جبال القلمون.

أشار الرجل بيده نحو الجنوب الشرقي: هناك خلف هذه التلال لاحظنا في الأيام الماضية حركة آليات كثيفة لهم، ربما يجمعونها في الوديان قبل التفرق حتى لا تتعطل معهم في الثلوج

وتصبح مصيدة وتوابيت متنقلة لهم. ومن الواضح أنهم يستعدون لمغادرة المنطقة إلا في حال واحدة وهي أن يعيدوا الكرة ضد عرسال وإن تغض الدولة اللبنانية النظر عنهم ريثما يمرّ موسم البرد.

- **معركة البلدات والقرى في القلمون..**

ليست يبرود هي المعركة الأساس عسكرياً كما يظن الكثيرون، أو كما يكتب البعض عن القلمون السوري دونما معرفة بجغرافيا المنطقة وخريطة توزيع القوى العسكرية المعارضة فيها. بل على عكس ما يظن الكثيرون، تكاد مدينة يبرود تكون الحلقة الأضعف ضمن السلسة الباقية من البلدات في القلمون الدمشقي إذا ما قورنت ببلدة عسال الورد حيث الثقل الحقيقي لجبهة النصرة أو برنكوس في آخر السلسة والتي تحوي القوة العسكرية الأكبر للمعارضة، فضلاً عن السحل وهي البلدة المطلة مباشرة على يبرود والتي شهدت ظهر الاثنين حركة حشد مسلح من قرى القلمون كافة بعد تهديد ضابط المخابرات العسكرية في الجيش السوري ومقره في النبك باقتحام السحل، غير أن للمدينة أهمية إستراتيجية بسبب وجود ورشات السيارات المفخخة داخلها فضلاً عن كبرها الجغرافي الذي جعلها عاصمة المعارضة في القلمون.

- **خريطة توزيع الكتائب المسلحة**

هناك فارق كبير في تقدير عدد مقاتلي المعارضة السورية المنتشرين في القلمون، فبينما تقدر الجهات المختصة السورية

عددهم بأربعة الآف مسلح ينتشرون من السحل إلى رنكوس مروراً بيبرود وعسال الورد ومزارع ريما وفليطة، وبين هؤلاء الكثير من القادمين من خارج القلمون الدمشقي خصوصاً من حمص والقصير وريف دمشق وبعض القادمين من البادية السورية ـ وهناك بعض العرب لكنهم ليسوا كثيري العدد على عكس ما يشاع. وتتركز قيادات الجماعات المسلحة في القلمون في أشخاص سوريي الجنسية بعضهم ضباط منشقون.

ومن مفارقات القلمون أن زهران علوش الموجود بقوة في ريف دمشق، ليس له وجود يذكر في بلدات وقرى القلمون رغم محاولاته المتكررة الدخول إليها، وتتركز القوة الأساس لجبهة النصرة ومن بعدها لداعش، وتاتي كتائب الجيش الحر التي تتألف من ضباط منشقين عن الجيش العربي السوري ثالثاً، وهذه الجهة ضعفت كثيراً بعدما انسحب الكثير من الضباط من الحرب ويحاول الكثير منهم إعادة ترتيب أوضاعه مع الدولة السورية فيما الآخرون تسود بينهم وبين النصرة وداعش حالة من عدم الثقة الدائمة، وقد حصل أكثر من صدام مسلح بين الطرفين آخره يوم أمس الإثنين عندما هاجمت مجموعة يقودها ضابط منشق مخفر يبرود وانتزعته من مجموعة من الحماصنة ينتمون لجبهة النصرة في وضح النهار مستغلة حالة الفوضى والخلاف التي سادت المنطقة بعد تهديد الجيش باجتياح السحل وحشد النصرة قواتها في التلال خارج يبرود وفي السحل المطلة عليها. وكانت يبرود شهدت منذ ثلاثة أسابيع

اشتباكات بين الطرفين ذهب ضحيتها سبعة قتلى إنتهت بسيطرة النصرة على وسط المدينة.

ويقود جبهة النصرة في يبرود سوري يدعى أبو مالك من التل، ويتنقل بين يبرود ورنكوس ومساعده يدعى أبو عزام الكويتي وهذا نصف سوري أمه من القلمون، والكويتي هذا يقيم في يبرود ويتولى أمر راهبات دير معلولا ويقيم معهن في البناء نفسه حيث يحتل وعائلته الطابق الأرضي في هذا البناء.

وعلى مقربة من يبرود هناك بلدة عسال الورد وهي قرية صعبة جغرافياً وفيها مجموعات عسكرية من البلدة متماسكة عسكرياً فضلاً عن وجود لجبهة النصرة وداعش. في بداية الأحداث كان هناك رجل إسمه فراس الخطيب تولى أمر المجموعات المسلحة فيها ومن ثم توجه بعد فترة إلى الغوطة الشرقية وتولى مكانه في قيادة الجماعات محمد شداد، الذي أحكم قبضته على البلدة وعلى المجموعات المسلحة المنتمية إليها وتمكن من فرض رؤيته على جبهة النصرة التي يقودها في عسال رجل من التل (أبو خالد) وفي بخعة رجل ثان من يبرود وفي رأس المعرة رجل آخر من حمص (أبو خالد الحمصي).

وفي رنكوس التي تعتبر أقوى المناطق وأصعبها يقود الجماعات المسلحة (أسد الخطيب)، بينما يتولى داعش التي بدأت تستقر وتقوى في المنطقة رجل سعودي يدعى (أبو مالك) وهو غير

أبو مالك مسؤول النصرة في يبرود، وهي تتألف من الفارين من بابا عمرو في حمص وبعض العرب.

في هذا الوضع، الصعب والمعقد، يعمل الجيش السوري وحلفاؤه على التواصل مع شريحة مهمة من السكان من أجل التخفيف من خسائر أية معركة قادمة والتي يعرف الجميع أنها سوف تكون صعبة ومكلفة خصوصاً للسكان، وسوف يكون وسط مدينة يبرود نقطة الإشتباك العسكري الأقل صعوبة بينما الوضع سوف يكون مختلفاً في بلدة السحل المطلة على يبرود وفي التلال المشرفة على مزارع ريما القريبة من يبرود وهذه التلال تقع تحت سيطرة جبهة النصرة التي تمتلك دبابات وصواريخ حرارية في تلك الجبهة، وهذا ما يجعل من المنطقة مركز تجاذب تفاوضي حالياً يحاول تجنيب المنطقة معركة قاسية ومكلفة، وقد يأتي الوقت المناسب لكشف تفاصيل ما يدور من مبادرات تفاوضية في المنطقة.

ولا يمكن لأي كان ممن يمتلك المعطيات الحقيقية للوضع على الأرض إعطاء أية مهل زمنية لإمكانية بدء المعركة وإنتهائها اللهم إلاّ إذا كان من باب التخمين غير المسؤول على طريقة المنجمين الذين يجتاحون شاشاتنا وبيوتنا هذه السنوات.

بعد ظهر يوم الإثنين 10 شباط 2014 حضر مختار قرية السحل إلى النبك واجتمع مع ضابط المخابرات العسكرية هناك الذي أبلغه أن الجيش قرر دخول القرية وعلى المسلحين إخلاءها وإلا سوف

يتم قصفهم بداخلها، وقد أربك هذا التهديد وضع مسلحي المعارضة الذين حشدوا في السحل من يبرود ورنكوس وعسال الورد وفليطة، فيما توتر الوضع في السحل بين الأهالي وجبهة النصرة حيث طالبها الأهالي بالإنسحاب ورفضت النصرة هذا المطلب ما سبب حركة نزوح من البلدة إستغله بعض من أهالي فليطة ومن الحماصنة الذين عمدوا إلى سرقة المنازل التي غادرها أهلها، في عملية عقاب منظم قامت به جبهة النصرة بحق الأهالي.

لم يحرك الجيش ساكناً بينما كان فعل التهديد أكبر من فعل أي هجوم عسكري خصوصاً في توسيع الشرخ بين النصرة والسكان المحليين.

في الوقت نفسه كانت مخابرات الجيش اللبناني تلقي القبض على عقيد ونقيب منشقين عن الجيش السوري، العقيد تم إيقافه في وادي حميد ويدعى (محمود عباس)، بينما الصيد الثمين كان بتوقيف نقيب من القصير يدعى (فاضل فاضل) وهذا كان من القيادات العسكرية التابعة لجبهة النصرة في القصير وريفها وقد أوقف على حاجز الجيش اللبناني أثناء محاولته الدخول إلى عرسال.

■ **معركة يبرود**

شكلت مختلف الجماعات المسلحة في القلمون غرفة عمليات موحدة مركزها مدينة عسال الورد لخوض معركة يبرود، وطلب ضباط في غرفة العمليات الموحدة من (فراس البيطار) وهو ضابط

منشق عن الجيش العربي السوري، الحضور من الغوطة الشرقية في دمشق إلى عسال الورد للمشاركة في إدارة عمليات معركة يبرود، غير أن البيطار إشترط أن يكون هو قائد غرفة العمليات الموحدة، ولم تقبل جبهة النصرة بهذا الشرط، وتعتبر المعارضة السورية فراس البيطار الضابط الذي أمَّن لها السيطرة على بلدات وقرى القلمون في عام 2012 وعلى غالبية الغوطة الشرقية لاحقاً.

وقد عمل الجيش السوري وحزب الله على عزل يبرود عن محيطها قبل إقتحامها وتمت السيطرة على غالبية المرتفعات والمنافذ الحيطة بالمدينة، وشمل أيضاً السيطرة على جميع المعابر المتبقية وعددها 6 معابر تقود إلى (فليطة وعرسال) (فليطة، عسال الورد، الريف الدمشقي).

وتقوم إستراتيجية حزب الله والجيش السوري منذ سنتين على السيطرة على كامل الحدود السورية اللبنانية عند السلسلة الشرقية للبنان، ما يؤمن الإستراتيجية التالية:

1 ـ حماية ظهر العاصمة السورية دمشق.

2 ـ إضعاف جبهة المسلحين في الريف الدمشقي الذي يحصل على الكثير من إمداداته من منطقة القلمون عبر الحدود اللبنانية.

3 ـ تأمين الطريق السريع بين دمشق وحمص ومن ثم نحو حلب والشمال.

4 ـ حماية منطقة القصير ومنع مسلحي المعارضة من التفكير في

إعادة التواصل بين المنطقة الوسطى في سوريا والبحر عند طرابلس.

5 ـ حماية طريق الساحل ـ حمص ـ دمشق، وطريق الهرمل الساحل السوري.

وفي تكرار لسيناريو القصير والتحركات التي سبقت إنسحاب مسلحي المعارضة منها، نظمت جبهة النصرة عملية إعلامية واسعة تبرز نقاط قوة الجماعات المسلحة في يبرود، وأشاروا إلى أنهم يمتلكون 1200 صاروخ سوف يتم استخدامها دفعة واحدة في قصف دمشق ولبنان في حال قرر الجيش وحلفاؤه اقتحام يبرود. غير أن خلافات كثيرة حصلت على خلفية هذه الخطة حيث يعترض بعض أطراف المعارضة ومجموعات من ريف دمشق على خطة قصف العاصمة في حال الهجوم على يبرود. وينقل كلام عن المعترضين قولهم لقيادة جبهة النصرة التي تشكل عصب الكتائب المسلحة في القلمون (إذا قصفتم دمشق فماذا ستستفيدون وعلى من سوف تسقط الصواريخ في دمشق؟).

مسار الحرب في يبرود حاكى تماماً مسار الحرب في القصير مع مراعاة فارق الطبيعة الجغرافية الجبلية الصعبة في القلمون على عكس القصير التي تقع في منطقة سهلية منبسطة، ولعبت عمليات قضم محكمة ومدروسة، الدور الأكبر سقوط يبرود بطريقة مشابهة لسقوط القصير من ناحية عامل المباغتة والمفاجأة، خصوصاً أن المدينة التي كانت شبه خالية من المدنيين تعرضت لقصف مركز ومحدد لعدة لأيام عدة، وكان الجيش السوري وحزب الله مرتاحين

في إبقاء المسلحين محاصرين في المدينة ما أخرجهم من معادلة المعركة في باقي القلمون وفي الريف الدمشقي، وقد تنبّه المسلحون إلى هذه النقطة ونفذوا انسحاباً مفاجئاً من يبرود كما حصل في القصير، وقام الطيران السوري برمي مناشير أنذر فيها المسلحين بالإستسلام والإنسحاب من يبرود قبل فوات الأوان، فيما وصلت رسائل إلى قيادات الكتائب المسلحة أن أمامهم معبر آمن للإنسحاب عبر فليطة.

وأثناء المعركة قتل (مثقال حمامة) قائد كتيبة المهام الخاصة التابعة للواء تحرير الشام الذي خطف راهبات دير معلولا وقالت المصادر المعارضة في تواصل مباشر معها أن حمامة قتل عند تل (سن مارون) الإستراتيجي المشرف على يبرود، وقد رفضت المصادر المعارضة طلبنا بث فيديو أو إرسال صورة تثبت مقتل (مثقال حمامة)، وكان هناك مسعى من قبل المسلحين لإستغلال قصية الراهبات لوقف هجوم الجيش السوري على يبرود، أو أن أمراً ما حصل أجبر قيادة المسلحين في يبرود على إعلان خبر موت حمامة دون بث أي فيديو أو صورة تثبت مقتلة. يذكر أن مثقال حمامة هو الذي دخل دير معلولا بتاريخ 2 كانون الأول عام 2013 وخطف الراهبات من داخله وسلمهم فيما بعد إلى (أبو مالك) مسؤول جبهة النصرة في يبرود، وحمامة هو من قرية بخعة في القلمون.

■ الانعكاسات السورية والإقليمية لمعركة يبرود

يوم 16 آذار عام 2014 سقطت يبرود عاصمة جبهة النصرة والجيش الحر وكل مجاميع المقاتلين الفارين من المنطقة

والوسطى، ومن ريف دمشق والبادية السورية. كان السقوط مدوياً لدرجة فاجأت أنصار المعارضة السورية المحليين والإقليميين قبل أن تفاجىء خصومهم. فالطريقة التي دخل فيها الجيش السوري وحلفاؤه مدينة يبرود وسرعة السيطرة عليها وعلى أحيائها وتحصيناتها تذكر بمعركة القصير وتحريرها وسقوط تحصيناتها بسرعة كبيرة وخلال ساعات قليلة.

لإنتصار يبرود انعكاسات ونتائج على أرض الميدان وفي الميدان الإستراتيجي على الصعيد السوري والصعيد الإقليمي سوف تظهر نتائجها تباعاً على أرض الواقع سواءً في الحرب السورية أو في المواقف الإقليمية التي تغذي هذه الحرب وتعمل عليها وبها لإسقاط مشروع الممانعة في المنطقة، أو ما يسمى في أدبياتهم الأميركية (مشروع النفوذ الإيراني) الذي تعتبر سوريا حلقة الوصل الجغرافي فيه، والبلد القوي والمهم المحاذي لفلسطين المحتلة.

■ **الانعكاسات السورية**

تنطوي عملية تحرير يبرود على قصص نزاعات وخلافات بين فصائل المعارضة السورية في تركيبتها المناطقية والعشائرية، والتي سوف تسرع في عملية تفكك الجسم المسلح للمعارضة في المنطقة الوسطى وفي الريف الدمشقي وصولاً حتى الجنوب السوري، فضلاً عن تأثيرات إستراتيجية تمتد على طول هذه المناطق المذكورة.

ومن أسرار يبرود أن المسلحين المنسحبين من القصير وريفها

كانوا الجسم المقاتل الأكثر شراسة ووجوداً في أرض المعركة، كما أن إحصائيات القتلى والجرحي في المعركة تفيد بما لايدع مجالاً للشك أن هذه الفئة دفعت الثمن الأكبر في المعركة، كما أن منهم الوجوه الإعلامية الأبرز في تغطية المعركة وإدارتها إعلامياً ودعائياً.

وتشير المعلومات المؤكدة من منطقة القلمون ويبرود تحديداً أن المسلحين الذين يتحدّرون من القصير وريفها كانوا أول المنسحبين من ميدان المعركة تزامناً مع عملية تحرير راهبات دير معلولا، في الباصات الأربعين. وتشير المعلومات أن هذه الفئة كانت تعد بين 700 و800 مسلح كان تمركزهم في مزارع ريما وفي وسط مدينة يبرود وتم انسحابهم على دفعات عدة بدأت مع عملية تسليم الراهبات المختطفات.

وتشير المعلومات أن عملية اغتيال نائب قائد جبهة النصرة في يبرود (أبو عزام الكويتي) سرّعت في عمليات الانسحاب من يبرود، وفي انهيار المجموعات المسلحة وتفكك عِقدها الهش بطريقة أظهرت مدى الخلافات التي تعيشها مجاميع الفئات المحاربة في يبرود والقلمون.

وفيما يتهم مسلحو القصير وريفها مجاميع المسلحين في مناطق القلمون الأخرى بعدم دعمهم في بيرود والتخلي عنهم خصوصاً جماعة النصرة في رنكوس وعسال الورد، ومجموعات يقودها (فراس البيطار) في رنكوس ويبلغ تعدادها 1200 مسلح، يقول الآخرون أن جماعة القصير وريفها بدأوا منذ بداية المعركة عمليات

تواصل وإتصالات سرية مع الدولة السورية وحلفائها للوصول إلى تسوية، ومع أن أصابع الإتهام بالتواصل مع الدولة السورية وحلفائها لا تشير إلى جميع فئات مسلحي القصير وريفها، غير أن الشخصيات التي حاولت التواصل مباشرة أو عبر وسطاء، لها وزنها في التركيبة القبائلية والجِهوية ضمن تلك المجاميع.

وتشير المعلومات أيضاً أن المدعو عبدالله بركات الملقب بـ (الحرامي) وهو من عرب الطويلع من بلدة (عين الدمامل) مختص بتزوير الأوراق الثبوتية وتهريب السلاح والمخدرات وقد غادر المنزل الذي قتل فيه (أبو عزام الكويتي) قبل دقائق من وقوع التفجير وكان برفقة (هادي العبدالله) الناشط الإعلامي من آل العامر من القصير. وتشير المعلومات أيضاً أن قائد جبهة النصرة في يبرود (أبو مالك السوري) أصيب في صدره ووجهه في الانفجار وتم نقله إلى رنكوس، ويتهم بعض أتباع جبهة النصرة في القلمون فئات من مسلحي وناشطي القصير وريفها بالتعامل مع النظام والإبلاغ عن تحركات الكويتي.

من هنا يأتي الإنعكاس الأول محلياً لإنتصار يبرود، فتلك المجموعات تَعمّق الخلاف بينها بشكل يصعب رأبه وجبر المكسور وهنا أيضاً سوف تغيب قوة القصير العسكرية في أية مواجهات منظمة في ما تبقى من مناطق القلمون بفعل الخلافات المذكورة وبفعل التوزع الجغرافي المتعدد لمسلحي القصير وريفها الخارجين من يبرود، حيث ينوجد البعض منهم في عرسال والبعض الآخر في

مخيمات وادي حميد، والبعض في الجرود القاحلة الشاسعة بين لبنان وسوريا، وهولاء هم الأخطر للجهة اللبنانية. من تأثيرات إنتصار يبرود على الميدان المحلي هو غياب هذه المجاميع عن أية مواجهات منظمة في المعارك المقبلة، ما سوف يربك قُدامى الجبهات في عسال الورد ورنكوس والمعرة، ومن هنا تأتي الدعوات التي نسبت إلى الملا مصطفى الحجيري (أبو طاقية) والتي طلب فيها من مسلحي القصير عدم الدخول إلى عرسال والتوجه إلى رنكوس حيث توجد قيادة موحدة وغرفة عمليات واحدة على عكس يبرود التي كان فها ثلاث غرف عمليات واحد للنصرة واثنتان لما يسمى الجيش السوري الحر.

الإنعكاس السوري الثاني هو في إبتعاد المعارضة السورية المسلحة أكثر فأكثر عن البحر في طرابلس عبر إبتعادها عن القصير المنطقة السورية الاقرب لطرابلس، التي جعلتها المعارضة حصناً بسبب موقعها الجغرافي الذي يتحكم بعقدة الإتصالات الجغرافية والطرقات بين مختلف المناطق السورية والبحر في طرابلس لبنان.

الإنعكاس السوري الثالث يأتي على حمص التي سوف يؤدي إنهيار جبهة يبرود إلى نهاية الأمل لدى المسلحين المحاصرين في أحيائها في أي سبيل للنجاة بعد ابتعاد الجبهات المعارضة أكثر فأكثر عن حمص باتجاه الجنوب فيما تعرف هذه المجموعات أن لا أمل يرتجى من جهة الشمال بسبب فشل مخطط السيطرة على حلب وريفها وسيطرة الجيش السوري على الريف الجنوبي لمحافظتي حلب وإدلب، وهدوء منطقة حماه.

الإنعكاس السوري الرابع لإنتصار يبرود يطال الريف الدمشقي الذي يتلقى إمداده العسكري والبشري من القلمون الدمشقي المحاذي للبنان بطول يفوق المائة كلم، بينما ضعفت إمكانات الإمداد من الجنوب لأسباب كثيرة أهمها عدم وجود بنية تحتية جيدة وصحيحة للقيام بإمداد المسلحين في الريف الدمشقي من هذه المناطق، فضلاً عن الموقف الأردني غير الواضح في دعم أي هجوم من الجنوب يجعل إمكانية الدعم من منطقة درعا صعبة للغاية، وقد اشرنا بالتفصيل لهذه الصعوبات في تقرير بتاريخ 22 شباط الماضي (تركيا تطلب من الإئتلاف السوري مغادرة أراضيها خلال شهر وهجوم الجنوب مؤجل).

■ **الإنعكاسات الإقليمية**

كما ينتج إنتصار يبرود إنعكاسات سورية داخلية، وهناك انعكاسات إقليمية لهذا الإنتصار وهي كما يلي:

الإنعكاس الإقليمي الاول على لبنان في شقين ميداني وسياسي. وفي الميداني سوف تبرز بلدة عرسال في واجهة المتأثرين بانتصار يبرود حيث ألقي بعبء كبير على البلدة في الحرب لإسقاط الدولة السورية، وهي بعد هزيمة المعارضة في القصير، وفي يبرود أصبحت معزولة تماماً وتواجه مشاكل كبيرة مع مجاميع مسلحة غير منضبطة. وهناك إمكانية كبيرة أن تُجرّ البلدة إلى حالة من الحرب تؤدي بها إلى مصير يبرود والقصير في حال لم يسرع الحكماء والمسؤولون في لبنان خصوصاً من جماعة تيار المستقبل إلى تدارك الكارثة قبل وقوعها.

الإنعكاس الإقليمي الثاني لبناني أيضاً سوف يكون على منطقة عنجر والبقاع الغربي حيث ينتهي القلمون والسلسلة الشرقية، وهنا تظهر ملامح عرسالٍ جديدة في المنطقة سوف تؤدي بها إلى حالة حرب قريبة من العاصمة السورية دمشق والطريق بينها وبين العاصمة اللبنانية بيروت فضلاً عن قربها من جبل لبنان أكثر من البقاع الشمالي البعيد عن مراكز القرار السياسي اللبناني في بيروت وجبل لبنان.

الإنعكاس الإقليمي الثالث لبنانياً سوف يكون في طرابلس التي تشعر مثل عرسال بعزلها ميدانياً وهزيمة المشروع السعودي الذي أرادها منطقة انطلاق وتمركز وتموين وإمداد عبر البحر في الحرب الدولية ضد الدولة في سوريا فضلاً عن إنعكاسات الكباش [= الاشتباك] السياسي اللبناني الداخلي الذي يظهر في إنعطافة جديدة للنائب وليد جنبلاط هي الأكثر جدية.

الإنعكاس الإقليمي الرابع قطري سعودي خصوصاً بعد غياب زهران علوش غياباً تاماً عن معركة يبرود وهو رجل السعودية الذي روّج إعلامياً أنه يقود آلاف المسلحين في الريف الدمشقي المحاذي للقلمون، بينما أظهرت الحركة السياسية القَطَرية عبر الإفراج عن راهبات دير معلولا نفوذاً قطرياً قوياً على مجاميع المعارضة السورية تحاول السعودية الحصول عليه بدلاً من قطر..

الإتصال الأخير بين مسلحي يبرود ومصطفى الحجيري: ألفاظ نابية وإتهامات بالخيانة إذا كان إنتصار يبرود حاسماً من الناحية

العسكرية فإن التبعات السياسية والأمنية التي نتجت عن هذا الإنتصار السريع الحاسم أرخت بظلالها على المعارضة السورية المسلحة، وعلاقاتها بالجار اللبناني الداعم لها في عرسال وفي الشمال على وجه التحديد.

خسرت كتائب المعارضة السورية المحاربة ورقة يبرود وموقعها الإستراتيجي والمعنوي، وخسرت معها علاقة الثقة مع حليف لبناني تغنت به وتغنى بها خلال سنوات ثلاث من الحرب السورية، قبل أن تكتشف أو تقرر أن تكشف أن هذا الحليف استغلها سياسياً في معاركه اللبنانية الداخلية وحربه القديمة على الدولة والنظام في سوريا، وأنه جعل منها بقرة حلوباً استغلها مادياً واستغل المآسي الناتجة عن الحرب في سوريا خصوصاً لجهة النازحين والتمويل للمسلحين لتحقيق أرباح مالية طائلة بحجة نقل المساعدات ودعم الشعب السوري.

خلقت معركة يبرود وضعاً جديداً في المعادلة السورية اللبنانية، لم تكن الدولة السورية مستعدة له وتتوقع حصوله إلى أن أتت أزمة القرم بين روسيا والغرب لتحرر القيادة السورية والحليفة من ضغط روسي مستمر منذ ثلاث سنوات أقلّه في الميدان الحربي. لم يعد الظرف الروسي يسمح بالضغط على الدولة السورية وحلفائها كما حصل في مراحل سابقة عندما ضغطت روسيا في موضوع المراقبين العرب، أو كما ضغطت على الدولة السورية لإقرار الهدنة وهي منتصرة في بابا عمرو في حمص ما سمح للمعارضة بإعادة تنظيم

صفوفها واستقدام المزيد من السلاح، كل هذا تغير في يبرود حيث كانت ظلال القرم واضحة على سوريا وعلى لبنان المحاذي لها.

وقد وجه إنذاراً واضحاً إلى المسلحين في عرسال وإلى القيمين السياسيين عليهم في لبنان أن عليهم الإبتعاد عن التدخل في معركة يبرود، وإلا فإن الجيش السوري سوف يضطر إلى شن حملة عسكرية على أية منطقة لبنانية حدودية تتدخل في معركة يبرود بتقديم الدعم لكتائب المعارضة المسلحة فيها، هذا الإنذار وجِّه بعدما رصدت مراكز التنصت التابعة للجيش السوري وحزب الله إتصالات بين قيادات المسلحين في يبرود ومسؤول جبهة النصرة في عرسال مصطفى الحجيري الملقب (أبو طاقية)، يطلب فيه مسلحو المعارضة السورية إرسال المدد العسكري والبشري لهم في أرض المعركة، وفي إحدى المرات طلبت قيادة غرفة عمليات النصرة في القلمون من (أبو طاقية) فتح معركة بين عرسال والجوار اللبناني لتخفيف الضغط عنها في الميدان.

الطرف اللبناني القيِّم سياسياً على الوضع في عرسال تبلغ جدية التهديد السوري، وظهر التشدد الروسي في القرم والإنشغال الغربي والأميركي بأزمة أوكرانيا فرصة تحرك إستراتيجية للجيش السوري لا يمكن للدولة السورية أن تدعها تمر دون استغلالها ولا يمكن فيها لحليف المعارضة السورية في لبنان تحمل تبعات أي تحرك سوري ضده انطلاقاً من هذه المعادلة، وهذا ما جعل القيم السياسي في لبنان على الاوضاع في عرسال يوجه تحذيراً لأبو طاقية عبر رئيس

البلدية وفعاليات البلدة تحمله شخصيا مسؤولية أي تحرك غير مسؤول لجهة التدخل في حرب يبرود، وظهرت نتائج التحذير هذه فوراً في آخر إتصال تم رصده بين قائد ميداني في فليطة ومصطفى الحجيري.

المعلومات تقول أن قائداً ميدانياً في بلدة فليطة إتصل بمصطفى الحجيري قبل يومين من سقوط يبرود طالباً منه إرسال السلاح وفتح جبهة بين عرسال وجوارها اللبناني للضغط على حزب الله وتخفيف الضغط على (الإخوة) في يبرود، مضيفاً أنه في حال لم يتم ذلك فسوف تسقط يبرود ويصبح أبو طاقية وجماعته دون تواصل جغرافي مع المعارضة السورية، غير أن (أبو طاقية) أبلغ المتصل السوري أن هذا الأمر صعب تطبيقه وأنه عرضة لضغوط وتهديد واضح من قبل رئيس البلدية وتيار المستقبل بالتخلي عنه في حال ورّط عرسال في حرب يبرود فما كان من المتصل السوري إلا أن وجه شتائم نابية لمصطفى الحجيري متهماً أياه بالغدر والخيانة ومتوعدا بجعله يدفع الثمن.

قبل السقوط المدوي لمسلحي جبهة النصرة والجيش الحر في يبرود، كانت لهجة زعيم تيار المستقبل عالية النبرة في موضوع دخول الجيش اللبناني إلى عرسال، وكان تيار المستقبل رفض قبل سقوط يبرود بيومين أي دخول للجيش اللبناني إلى عرسال، بل إن المعلومات تقول أن قياداتٍ يُشار إليها (صقور) هددت بضرب أية قوة من الجيش تدخل البلدة، غير أن مجريات الميدان في يبرود

غيرت مواقف رئيس حزب المستقبل من باريس خصوصاً بعد ورود المعلومات عن توجه عدد كبير من المسلحين إلى جرود عرسال بدل التوجه إلى رنكوس.

قيادة تيار المستقبل طلبت دخول الجيش اللبناني إلى عرسال بعد 48 ساعة من رفضها الأمر، وتم الطلب عبر الرئيس فؤاد السنيورة الذي تعهد بالتعاون مع الجيش في البلدة وتسهيل مهمته، وتشير المعلومات أن توافقاً شفهياً تمّ على أن لا يقوم الجيش بمداهمة المنازل في عرسال لأن فيها أسلحة فردية كما هو الحال في كل المناطق اللبنانية، ويشمل الإتفاق الشفهي منع أي ظهور مسلح في البلدة ومنع دخول المسلحين السوريين الموجودين في الجرد العرسالي إلى البلدة والتعاون مع الجيش في هذا الأمر.

■ **من هي الجهة الحقيقية التي خطفت الجنود اللبنانيين؟**

الجنود اللبنانيون عند خاطفي المهندسين الإيرانيين من المحطة الحرارية في حمص عام 2012، هذا ما تشير إليه المعلومات المتوفرة عن عملية الخطف من مصادر المعارضة السورية.

الجهات نفسها تشير إلى أن المجموعة الأكبر من الجنود كانت في عهدة المسؤول السابق في لواء فاروق القصير الملقب (المقنع) وهو من آل الزهوري من مدينة القصير وخاض كل المعارك في القصير وريفها قبل أن ينتقل إلى حمص ومنها إلى القلمون.

(المقنع) كان قد غادر القلمون إلى كسب التي شارك في معاركها إلى جانب أبو مالك التلي وهو من القصير أيضاً، وقد عاد

الرجلان من كسب منذ أسابيع قليلة. وأبو مالك التلي يعتبر من قادة لواء الفاروق في القلمون ويحظى بنفوذ كبير على الكثير من المسلحين المتحدّرين من القصير وريفها.

وتنقل المصادر عن أبي السائح شقيق أبو مالك التلي أن الأخير يحصل على التمويل من جماعة الإخوان المسلمين مباشرة وينسق بشكل تام مع جبهة النصرة في القلمون. ويروي أبو السائح أن الجيش اللبناني كان قد أوقف (المقنع) في شهر أيار/ مايو الماضي في أحد مخيمات اللاجئين السوريين غير أنهم لم يعرفوا شخصيته الحقيقية وأبرز لهم هوية سورية مزورة كما تجري العادة مع عشرات المسلحين السوريين الذين يتنقلون بين جرود القلمون ومخيمات اللاجئين السوريين في عرسال.

أبو مالك الشامي مسؤول جبهة النصرة في القلمون هو المسؤول عن مقتل أبو حسن الفلسطيني، بعدما ساءت العلاقة بين الرجلين جراء بيعة الفلسطيني لداعش، وقيامه بقتل الشاب أحمد عز الدين ومن ثم تصفية والده مصطفى في المسجد بعد ذلك بأسبوع وقد وصلت الأمور إلى مرحلة الصدام بين الرجلين اثناء معركة عرسال، وانتهى الصراع بينهما لصالح أبو مالك الذي قام بتصفية الفلسطيني مستغلاً معمعة حرب عرسال، وتشير معلومات إلى أن القرار اتخذ بالانسحاب من عرسال بعد اجتماع عقد في منزل مصطفى الحجيري الملقب (أبو طاقية) وحضره بعض وجوه عرسال حيث نصح الموجودون أبا مالك الشامي بالإنسحاب فوراً من

عرسال لأن غالبية أهالي البلدة أصبحوا ضدهم، وقد جرت بعض الإشتباكات بين العراسلة والمسلحين في وادي حميد وفي وادي عطا حيث قتل أربعة مسلحين، وتقول المعلومات أن أبو طاقية خرج مع جماعة أبو مالك إلى الجرد وعاد إلى عرسال.

وتم توزيع الجنود على أكثر من مكان وربما نجح الخاطفون في إدخال البعض من رهائنهم إلى سوريا، فيما المخطوفون من الأمن هم في وادي ميرة، ورغم توزيع الرهائن على أكثر من جماعة تحمل إسماً ويافطة توحي باستقلالها فإن كل هولاء يبقى مربطهم ومرجعهم أبو مالك الشامي، الذي يقوم بعملية توزيع للأدوار في عملية الخطف هذه لإخفاء الأثر وتعقيد عمل الجهات الأمنية اللبنانية والسورية في الحصول على المعلومات عن مكان احتجاز العسكريين وهوية من يحتجزهم ووضعهم الصحي.

السيطرة على الموصل

لا يهتم الأموات بالتاريخ العسكري. .

فريديريك بولوس
مارشال ألماني في معركة ستالينغراد.
1890 ـ 1957

يوم 9 حزيران 2014 سيطر تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) على مدينة الموصل ثاني مدن العراق بعد هجوم سريع وخاطف وتروي مصادر مطلعة عن قرب على هجوم داعش وعلى أوضاع الجيش العراقي، حكايات فساد قلّ نظيرها حتى في ميليشيات أدغال أفريقيا، ونراها في هذا الجيش أنها كانت السبب الأول والأخير في نجاح الهجوم على الموصل وبعض المناطق العراقية.

أحد الأسباب المهمة يعود إلى ثلاثة آلاف ضابط من الذين كانوا ضمن الأسماء المشمولة بعملية إجتثاث البعث، تمت إعادتهم من قبل حكومة رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي، رغم تقارير محلية وعربية، عن ارتباطات هؤلاء بالنظام السابق،

واستمرار تواصلهم مع رموزه وأركانه في محافظة الأنبار ومحافظات الغرب، وتعدد المصادر أسماء ضباط كبار ومسؤولي قطع عسكرية كبرى وقادة إدارات لوجيستية وتسليحية وتموينية في الجيش العراقي يتولى بعض هؤلاء قيادتها، ويعطي المالكي تبريره لإعادة هؤلاء إلى المؤسسة العسكرية، بالحاجة إلى الكوادر لبناء جيش وطني عراقي.

قصص خيالية عن الفساد في الجيش العراقي تبدأ بعملية شراء المناصب وهذا أمر معرف للجميع في العراق، حيث يمكن لمن يدفع المال أن يحصل على رتبة أعلى، وأن يصل إلى مركز مقرِّر وحسّاس ضمن قطاعات الجيش العراقي، وهذا ما حصل في القطاعات العسكرية التي ارتبطت مباشرة بأحداث الموصل أو ما سمي بمعركة الموصل التي لم تحصل أصلاً.

فساد آخر قل نظيره في أي جيش في العالم، موجود في الجيش العراقي، وهو أعداد الجنود الوهميين الموجودين على الورق لقبض المعاشات من الحكومة المركزية، بينما على أرض الواقع ليس هناك سوى أعداد قليلة من الجنود، وهذا ما حصل في الموصل الموجود فيها على الورق 5 فرق عسكرية تعداد الفرقة الواحدة 10 آلاف جندي، بينما الحقيقة معاكسة تماماً، فإحدى الفرق الورقية لم يكن فيها من أصل 10 آلاف اسم مسجلين في دوائر الدولة سوى 220 عسكرياً، بينما يقبض الضباط معاشات الجنود الوهميين، أو أنهم يتقاسمون المعاش مع الجندي الذي

يسمحون له بالعيش خارج القطعة مقابل إعطائه نصف المعاش وآخذ النصف الآخر.

أيضاً في الموصل الفرقة العسكرية الوحيدة الفعلية هي الفرقة الثانية وهي مؤلفة من أكراد ومن عساكر من مدينة الموصل والأنبار وليس فيها أي عنصر بشري من الوسط أو الجنوب، وهذه الفرقة تركت سلاحها وغادر جنودها إلى بيوتهم قبل ساعات من إطلاق أول رصاصة في الموصل التي لم يكن فيها فعلياً خارج الفرقة الثانية سوى بضع مئات من الجنود بينما العدد الورقي يصل إلى خمسين ألف جندي. وقد تعرض الجنود المتحدّرون من محافظات الوسط والجنوب إلى عمليات ترهيب كبيرة قبل أيام من الحملة، وقد كانوا أقلية في المدينة ولا يصل عددهم إلى 500 جندي على أكبر تقدير.

- **مقربون من أياد علاوي كشف تفاصل حكومة الظل قبل أسبوعين من بدء الأحداث.**

كان الهجوم عبارة عن خطة تركية قطرية، نفذت على أرض الواقع عبر اتفاق بين (أسامة النجيفي) و(مسعود برزاني) رئيس إقليم كردستان، وقد ألّف الطرفان حكومة ظل واتفقا على إقامة كونفديرالية تضم محافظات الغرب وكركوك وإقليم كردستان، وهذا ما يؤسس لكونفدبرالية في الوسط وأخرى في الجنوب، غير أن إياد علاوي رفض هذه الخطة وهذه الحكومة وسرب تفاصيلها إلى جهات إقليمية، أخبرت حكومة المالكي بها قبل أسبوعين من ساعة الصفر المحددة.

علاوي رفض الخطة بحجة أنها سوف تؤدي إلى تقسيم العراق، بينما أتى رفضه الحقيقي لها كونها تجعله خارج اللعبة السياسية بشكل تام، فهو ليس من محافظات الغرب وليس من إقليم كردستان، كما أن شعبيته في الوسط والجنوب تقارب الصفر، ما يعني انتهاء أي دور له في حال نجحت الخطة. وكشف علاوي عن كامل الخطة مع أسماء الوزراء في حكومة الظل وبعض هؤلاء الوزراء اتصل شخصياً بجهات إقليمية وعربية وأفشى المعلومات الكاملة حول الخطة والدور التركي والقطري بها واتفاق البارزاني والنجيفي، ومن المعلومات التي أبلغها بعض وزراء حكومة الظل أن طارق الهاشمي يدير المعركة من غرفة عمليات خاصة في قطر، وكان بحوزة الحكومة العراقية وجهات عربية وإقليمية حليفة لها تسجيلات موثقة لاتصالات من تركيا وقطر ومن إقليم كردستان قبل العملية وأثناءها.

■ إعادة الإعتبار لفصائل المقاومة بعدما تمّ تهميشها

لا شك أن الذي حصل في الموصل أعاد الإعتبار لفصائل المقاومة (جيش المهدي، عصائب أهل الحق، حزب الله العراقي) بعدما تمت تنحيتها جانباً عبر سياسة الحكومة العراقية التي سعت لبناء الجيش العراقي، بطريقة غير مدروسة وفيها الكثير من رواسب الخلافات الداخلية للأفرقاء السياسيين العراقيين. وقد أنتجت عملية الموصل مفاعيل عكسية بالنسبة لمخططيها، بعدما عادت فصائل المقاومة العراقية المذكورة بسرعة كبيرة وبأعداد وصلت إلى

عشرات آلاف المتطوعين خلال ساعات قليلة، وقد تمكنت من وقف تقدم داعش عن أطراف سامراء، كما أن دور هذه الفصائل سوف يعود إلى منطقة حزام بغداد من اللطيفية حتى اليوسفية وأبو غريب والتاجي، التي تشهد معارك يومية بين الجيش العراقي وداعش وجماعات النظام السابق، وكانت فصائل المقاومة قد حسمت المعركة في حزام بغداد قبل عدة سنوات ومن ثم تسلّم الجيش العراقي المنطقة وتعامل فيها بطريقة لينة، ما أعاد المسلحين إليها، وتوجهت فصائل المقاومة إلى حزام بغداد لإعادة الإستقرار إليها في الوقت ذاته الذي فشلت فيه عملية إستعادة الموصل من قبل هذه الجيش وتمددت داعش في كل الأنبار تقريباً وكل هذا بعد فشل تجربة بناء الجيش العراقي بالطريقة التي إتبعت خلال السنوات الماضية، وضرورة وضع معايير محددة ودقيقة لعملية بناء الجيش، مع ضرورة وضع عقيدة قتالية له.

أما خطأ البارزاني فقد اتى هذه المرة قاتلاً لكل إقليم كردستان العراق، فهو وقع ضحية الإستغلال التركي الذي يهدف إلى حلّ هذا الإقليم، بينما كان الطرف الإيراني محرجاً من تأييد حلفائه العراقيين لوجود الإقليم، وهذا التأييد قد انتهى كلياً الآن، ما يجعل الموقف الإيراني في هذا الموضوع في تقارب إستراتيجي مع الموقف التركي.

وبعد وقف تقدم داعش عن أطراف سامراء توجهت قوات الدولة الإسلامية إلى المناطق الكردية واحتلت جبل سنجار وهجرت

عشرات آلاف الكرد من أتباع الديانة الإيزيدية، وبدأ داعش هجوماً كبيراً على إربيل لكن تدخل سلاح الجو الأميركي والحشد الكردي الكبير أوقف هجوم الدولة الإسلامية التي انتقلت هجماتها إلى سوريا ابتداءً من الفرقة 17 في الرقة وصولاً إلى مدينة عين العرب (كوباني) ذات الاغلبية الكردية في شمال شرق سوريا. وكان من نتائج الظهور القوي لداعش عودة الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي بقوة إلى منطقة الشرق الأوسط عبر عمليات قصف جوي في العراق وسوريا.

في قمة حلف شمال الأطلسي التي عقدت في بريطانيا يوم 4 أيلول الحالي، إتفق المجتمعون على عدم قيام حلف شمال الأطلسي بالتدخل العسكري في سوريا على عكس رغبة تركيا.

وفي العراق كان قرار الحلف التدخل سياسياً، وإنسانياً ولوجيستياً، لكن على الحكومة العراقية والجيش العراقي أن يتولوا أمر مواجهة داعش.

وحاول الوفد الفرنسي في القمة التأكيد على أن الحرب على داعش لا تعني التقارب مع نظام الرئيس السوري، مضيفاً أن فرنسا تدفع باتجاه أن لا تفتح أية دولة في الأطلسي وفي أوروبا علاقات مع سوريا بحجة الحرب على الإرهاب، وأعاد الوفد الفرنسي الكلام عن ضرورة تنحي الرئيس السوري وإن لم تعد هذه العبارة تتردد كثيراً في تصريحات المسؤولين الغربيين خصوصاً في الإدارة الأميركية.

قمة خلاف الأطلسي لم تتخط السقف الموضوع أميركياً حيال روسيا واكتفت دول الحلف بإرسال إشارات تتعلق بدول البلطيق عبر الزيارة التي قام بها أوباما لهذه الدول عشية قمة الأطلسي، ويعرف الأوربيون أن الولايات المتحدة لم تعد القوة العظمى الوحيدة في العالم، بعدما هزمت في أفغانستان والعراق، لذلك هم لا يعولون على تدخل أميركي.

ويتخذ الفرنسيون موقفاً حذراً من الموضوع الأوكراني، وبدا هذا الموقف الجديد في كلمة الرئيس الفرنسي فرانسوا هولند أمام السلك الدبلوماسي الفرنسي يوم 28 آب 2014 عندما طالب المسؤولين في كييف بعدم التصعيد مع موسكو، وعدم القيام بأعمال إستفزازية، ما اعتبر هنا في باريس رسالة إيجابية من هولاند إلى بوتين تريد فرنسا من خلالها تحسين علاقاتها غير الجيدة مع روسيا لتلتحق بالركب الدبلوماسي الألماني في هذا المجال.

ولم تكن اللهجة حيال إيران سلبية بالرغم من التشدد الفرنسي في موضوع المفاوضات على النووي الإيراني.

إذن، حددت قمة الأطلسي هذه محاور السياسة الأميركية الجديدة بعد عودتها القوية إلى المنطقة عبر صعود تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) وبحجة محاربته.

■ **أميركا غير متعجلة لأية تسوية**

سوف تشهد الفترة الحالية تصعيداً سياسياً من الخارج وعسكرياً في الداخل والأمور سيئة ولا تسوية تذكر تلوح في الأفق. هذا

خلاصة الحديث الذي دار مع مجموعة من الساسة والصحافيين الفرنسيين في مطعم البرلمان الفرنسي في الدائرة السابعة من العاصمة الفرنسية باريس.

رئيس مجموعة الصداقة الفرنسية السورية في البرلمان الفرنسي تحدث عن أجواء متلبدة في الوضع السوري مشيراً إلى إلغاء زيارة كان من المقرر أن يقوم بها وفد من نواب حاليين وسابقين ومسؤولين أمنيين فرنسيين إلى دمشق بينهم (بابت) لكن الزيارة لن تتم، وتطرق النائب الفرنسي إلى موضوع استقالة الأخضر الإبراهيمي من منصبه مبعوثاً عربياً ودولياً في سوريا وقال أنها تعبر عن وضع خطير جداً وسيئ جداً وهذا يعني أنه لا توجد أية آفاق للتسوية في سوريا.

هذا الكلام أكد معناه لنا أيضاً دبلوماسي سوري في نيويورك في إتصال معه، بالقول ليس هناك من تغيير في السياسة الأميركية وليس هناك من هو مهتم بإيجاد أي تسوية حالياً.

فرنسا، وخلال فترة صعود داعش صعّدت ضد سوريا واستقبلت بشكل سري في شهر تموز 2014 (عبد الحكيم بلحاج)[1] المسؤول العسكري في تنظيم القاعدة الذي استقبل في وزارة الخارجية الفرنسية ووضعت له حماية شخصية من قبل الأمن الفرنسي وعبد الحكيم بلحاج أول من أرسل مقاتلين إلى سوريا عام

(1) صحيفة لوكانار انشينيه، تموز 2014.

2011 وذهب هو شخصياً إلى الشمال السوري لتدريب المقاتلين، كما كشف تقرير لصحيفة لوفيغارو الفرنسية يومها[1]، وهذا ما يشير إلى أن المرحلة ما زالت تسير في إتجاه إرسال المقاتلين إلى سوريا رغم الكلام عن الخوف من الجهاديين. وفي شأن الأخيرين يقول (الأن كورفيس) العقيد الركن السابق في الجيش الفرنسي أنه رغم الكلام عن الخوف من عودة هؤلاء يبقى الموضوع تحت السيطرة بالنسبة للحكومات الغربية، وعلى العكس فإن بقاءهم هناك قد يكون مطلوباً لإستمرار الحرب، وهم سوف يعودون إلى هنا في حال واحد إذا حصلت تسوية ما وهذا أمر غير متوفر حالياً.

صحيفة (لوكانار أنشينيه) القريبة من دوائر الاستخبارات الفرنسية نقلت عنى جنرال فرنسي شارك في اجتماع حلف شمال الأطلسي في باريس خلال شهر حزيران (أوباما وبوتين لديهم وحدهم الأوراق هم الفاعلون الحقيقيون وهم لا يلعبون لعبة جيدة حالياً) ونقلت الصحيفة عن مساعد لوزير الخارجية الفرنسي لن بوتين يملك ورقتين كبيرتين (الورقة الإيرانية ـ والورقة السورية) وهو يعرف حاجة أوروبا للغاز الروسي وبحاجة له للضغط على دمشق وطهران وأيضاً لمغادرة أفغانستان.

أميركا لا تتكلف شيئاً في هذه الحرب، لذلك ليست في عجلة لإيجاد حل جذري لداعش، خصوصاً في ظل التقدم الذي يحرزه الجيش السوري في جبهات مفصلية في البلاد، أو في «سوريا

(1) لوفيغارو، أيلول 2011.

المفيدة» كما يسميها معارض سوري، وسوريا المفيدة هذه تمتد حسب قوله من جنوب دمشق مروراً بالمنطقة الوسطى باتجاه الساحل واتجاه حلب وهذا لا يريح أميركا، بينما الوضع في الشرق موضع ترقب أميركي بسبب تقدم داعش وبسبب معركة عين العرب وما انتجته من خلاف أميركي تركي بسبب وجود العشائر وخلافاتها وصراعاتها على النفط وهذه المنطقة سوف يتم التعاطي معها من هذا المنطلق، هذه المنطقة لا وجود للدولة السورية فيها منذ صيف عام 2012 ومن ثم فهي منطقة نفوذ لجميع الأطياف المسلحة الموزعة بين داعش والنصرة والبيعة المتنقلة بينهما، وتالياً فإن حرية التنقل بين العراق وسوريا عبر الطرق الصحراوية لا تتوقف.

الملف النووي الإيراني

قد يكون هذا الملف هو المسألة الأساس التي تعول عليها أميركا لوقف عملية ابتزازها في سوريا والعراق، ويعتقد أوباما أنه نجح بالضغوط الاقتصادية وعبر وجود داعش في إقناع الإيراني بفصل الملف النووي عن الملفات الأخرى العالقة بين الطرفين، وهذا قد ساهم في تقدم هذه المفاوضات التي يمكن أن تصل إلى نتيجة جيدة بمعزل عن الخلافات الأخرى التي لن تتأثر بأي إتفاق نووي بينما بانت معالم إتفاق أميركي إيراني في العراق وفي سوريا.

- **إجتماعات حول العراق**

بعد سقوط الموصل بيد مقاتلي تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) حصلت إتصالات أميركية إيرانية وعقد إجتماع في المنطقة الخضراء في العاصمة العراقية بغداد، وقد حضر الإجتماعات ممثلون عن الكتل السنية وعن عشائر الأنبار، وتعهّد المفاوض الأميركي خلاله بدفع عشائر الأنبار إلى قتال داعش في حال وافقت إيران على ثني المالكي عن الترشح لولاية جديدة، واتخذ الطرف الإيراني الحياد إلتزاماً بالتوافق المرحلي مع الأميركي، وتجنّباً

للدخول في صراع مع طرف عراقي حليف له، مع وجود تأييد ضمني إيراني لتنحي المالكي، وأبلغت إيران القيادات السياسية والدينية في العراق أنها تقف على الحياد بين كل المرشحين لمنصب رئيس الوزراء، وقالت إيران للعراقيين نحن مع كل شخص تتفقون عليه وتنص عليه المواد الدستورية والأجهزة القضائية.

هذا الموقف الإيراني الذي مهد لخروج المالكي من الحكم بناء على الوضع في الأنبار وسقوط الموصل قوي نتيجة تدخل المرجع الإسلامي الأعلى أية الله السيستاني الذي أرسل إلى مرشد الثورة آية الله علي الخامنئي رسالة حول الوضع في العراق وطالبه فيها السيستاني بعدم دعم المالكي وهذا ما حصل.

في العراق يرى الإيرانيون أنهم أقوياء لدرجة أن شخصية رئيس الوزراء لا تعنيهم كثيراً طالما هو ضمن صفوف التكتلات السياسية الحليفة لهم، ومن هنا لم يشكل موضوع التخلي عن المالكي، طالما أن أميركا تريد هذا التخلي الإيراني ثمناً لتدخلها ضد داعش في العراق وفي سوريا، ولم تعلن إيران تاييدها العلني للحرب الأميركية لأنها لا تريد تحمل مسؤولية الحرب ضد إسلام سني متطرف، فضلاً عن أنها طلبت من الأميركيين ضمانات مكتوبة بعدم التعرض لمواقع الجيش السوري بالقصف وهذا ما لم تقدمه أميركا على ما يبدو رغم أن الجيش الأميركي في قصفه لداعش في سوريا إحترم الخطوط الحمر الروسية الصينية الإيرانية بعدم التعرض لمواقع الجيش السوري.

وحصل أكثر من إتصال واحد خلال صيف 2014 بين سوريا والولايات المتحدة فيما يخص مواجهة تمدد تنظيم (داعش) ومكافحته في أرض المعركة، وفتحت أميركا وسوريا قناتي اتصال بينهما عبر العراق وروسيا، وحصل أكثر من إتصال بين الجهتين خلال شهر آب 2014، تبادل فيها الطرف السوري والطرف الأميركي المعلومات حول أماكن وجود تنظيم داعش وقوته وبحجة خطر داعش تخوض الولايات المتحدة الأميركية حرب عودتها من الباب العسكري الواسع إلى منطقة الشرق الأوسط، بعد خروجها من العراق عام 2011 واتخاذها مواقف حذرة من اي تدخل عسكري في الشرق الأوسط، بعد تدخلها في الحرب على ليبيا، وكان للمواقف الروسية والصينية في مجلس الأمن دور الفرامل التي أوقفت المساعي الأميركية للتدخل العسكري الجوي في سوريا تحديداً بتحريض من دول الخليج وبعض دول أوروبا لإدخال أميركا في حرب ضد سوريا.

■ **حرب طويلة الأمد**

تقول صحيفة لوكانار انشينيه[1] الفرنسية أن حلف شمال الأطلسي يتوقع خوض حرب مداها ثلاث سنوات أو أكثر في العراق، ونقلت الصحيفة عن خبير في الشأن العسكري قوله أن مُعِدّي خطط الحلف يقولون أن الحرب ضد تنظيم داعش قد تستمر ثلاث سنوات أو أكثر، وذكرت الصحيفة أن خطط حلف شمال

---

(1) لوكانار انشينيه، أيلول 2014.

الأطلسي لحرب داعش سوف يحددها الأميركي بعيداً عن التحالف الدولي المعلن وأن الدول العشر الأوائل في هذا الحلف المقدس هي (أميركا، بريطانيا، فرنسا، ألمانيا، كندا، إيطاليا، الدانمارك، أستراليا، وتركيا)، وكل هذه الدول توافق على القيام بضربات جوية ضد داعش من دون المشاركة في أية حملة برية باستثناء إرسال بعض فرق (الكوماندوس) البريطانية والفرنسية.

لقد حقق الطيران الأميركي الذي يقصف مواقع داعش في العراق بعض النتائج، ويريد رئيس أركان الجيوش الأميركية الجنرال (مارتن ديمبسي) قصف مواقع في سوريا تابعة لتنظيمات جهادية أخرى غير داعش، وعلى الرئيس الأميركي التفكير بكيفية القيام بهذا القصف دون أن يُعزز من وضع الجيش السوري وموقع الرئيس بشار الأسد الذي يخوض بدوره حرباً ضد داعش.

وتصف الصحيفة دفتر عمل التحالف بالمليء بالأهداف (تقديم دعم لمن تبقى من قوات الجيش العراقي، وقف تدفق الجهاديين من أوروبا وأفريقيا السوداء وشمال أفريقيا باتجاه الشرق الأوسط، تجفيف منابع تمويل داعش)، وتضيف أن المهمات التي تنتظر مساعدي أوباما صعبة حيث سيقوم وزير الحرب الأميركي (شوك هاغيل) بزيارة تركيا للتأكد من تعاون الأتراك في موضوع إغلاق حدودهم بوجه تدفق المقاتلين عبر الأراضي التركية مدججين بالسلاح والعتاد، بينما يتنقل وزير الخارجية جون كيري بين عدد من الدول العربية مثل الأردن للتأكد من تعاونه، وكل من السعودية

وقطر لإبلاغهم تمنيات أوباما عليهم أن يراهم يشاركون في تمويل التحالف الدولي في حربه ضد داعش. وتضيف الصحيفة أنه من مفارقات الزمن أن هؤلاء الممولين القدامى للجهاد العالمي يجدون انفسهم اليوم في حرب ضد من قاموا بتمويلهم في السابق.

أثناء ذلك وخلال أسابيع عدة «لم يتوقف المسؤولون في السعودية وقطر والكويت عن الإعلان عن إرادتهم بفك إرتباطاتهم مع داعش والإنخراط في التحالف الدولي الذي في حال أردنا تصديق أن أوباما يهدف للقضاء على الجهاديين الخبثاء» تقول الصحيفة الفرنسية، التي تنقل عن دبلوماسي قوله «إن عودة هذه الدول إلى تعقلها أتى متأخراً»، ولا يمضي يوم إلا وتنشر وسائل الإعلام المرئية والمكتوبة والمسموعة أخباراً عن الدور المشبوه لهذه العائلات الملكية والشخصيات الدينية، والأمراء، في دعم إسلام غير متسامح رغم العلاقات الممتازة التي يتمتعون بها مع أميركا وأوروبا.

وذكرت الأسبوعية الفرنسية المقربة من أجهزة المخابرات في فرنسا أنَّ أخبار التمويل القطري والسعودي والكويتي لهذه التنظيمات لا تكشف أمراً جديداً، فالمخابرات الفرنسية قدمت في آذار/ مارس عام 2012 تقريراً مفصلاً لقصر الإليزيه والحكومة الفرنسية عن التمويل الذي تقدمه قطر للإسلاميين، مضيفة أن جهاز الإستخبارات العامة الفرنسية قدم أكثر من تقرير عن مكرمات قطر والسعودية في تمويل الجهاديين الذين يقاتلون ضد القوات الفرنسية في مالي والساحل، وفي تقديم التمويل للجهاديين في سوريا

والعراق واليمن، ورغم هذه التقارير ما زال المسؤولون السعوديون يزورون قصر الإيليزيه بشكل دوري، ويحظون بكل بروتوكولات الشرف التي تليق بمناصبهم رغم كل ما نعرفه عنهم.

■ قراءة في بنود إستراتيجية أوباما في مواجهة روسيا

منذ بداية الحرب السورية استعرت الحرب الباردة بين روسيا والولايات المتحدة الأميركية على أكثر من جبهة، وإن لم يطلق عليها هذا المسمى لحد الآن، لكن كثرة الجبهات المفتوحة بين الطرفين وتشعبها في نواحي الأرض الأربعة تجعل من مستقبل العلاقات الروسية الأميركية محكومة بحرب باردة جديدة ربما تكون أقسى من الحرب التي كانت بين الإتحاد السوفييتي وأميركا.

وتحدثت الأوساط الفرنسية في باريس عن إستراتيجية أميركية تتألف من بنود أربعة وضعها أوباما، لمواجهة روسيا حول العالم وحسب ما يجري تداوله في باريس:

أولاً: لا ترى الولايات المتحدة في إتفاق (مينسك) بين الموالين لروسيا والحكومة الأوكرانية والتي استبعدت منها أميركا، إتفاقية تفاوض وطني تنهي الأزمة في أوكرانيا.

ثانياً: يجب أن تبقى العقوبات ضد روسيا جاهزة في المستقبل حتى تعلم موسكو أن اجتياز الخطوط الحمر مع أوروبا لن يمرّ بدون ثمن.

ثالثاً: تبدي واشنطن رضاها عن كل ما تحقق حتى الآن على

المستوى السياسي، من وصول نظام موال للغرب في كييف، إعادة الحياة لحلف شمال الأطلسي، إرسال قوات أميركية وأطلسية إلى دول البلطيق وبولونيا وهذا أمر لم يكن يحلم فيه حتى الامس القريب، إعادة التاكيد على القيادة الأميركية للغرب الأطلسي، وجود نقاط إتفاق أميركي أوروبي يضعف روسيا سياسياً وإقتصادياً، إبقاء الأزمة الأوروبية الروسية مفتوحة والضغط من باب تقنية استخراج البترول خصوصاً في سيبيريا والتي تعتمد على التقنية الغربية.

رابعاً: يتاكد أن إدارة أوباما لا تستبعد أن تسوء العلاقة مع روسيا خلال ما تبقى من إدارة أوباما الرئاسية، بمعنى آخر؛ يعمل أوباما على تحويل الخلاف مع روسيا إلى نوع من العلاقات الباردة دون أن يصل الأمر إلى صدام خصوصاً في كل ما يطال المصالح الأميركية الحيوية.

وتحاول واشنطن عبر إستراتيجيتها وضع موسكو في حالة الدفاع، وهي تعتبر أن روسيا بأية حال تراجعت إلى خلف وتنتظر حاجة الغرب إليها للمساهمة في أكثر من ملف يحتاج إلى تعاون مشترك يخرجها من عزلتها.

هذا التعاون تعتقد أميركا أنه في متناول يدها في موضع الحرب على تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) لأن روسيا بدون شك، مهتمة بالقضاء على هذا التنظيم في الحروب الدائرة في الشرق الأوسط، وعلى كل حال لن تقوم روسيا بأي عمل يعرقل إستراتيجية أميركا

في الحرب على داعش في العراق وفي سوريا، لأن الحرب ضد إرهاب بأيدٍ أميركية أو غيرها يخدم روسيا، والدليل على ذلك أفغانستان حيث البراغماتية الروسية ظهرت للعيان.

أيضاً هناك التفاوض بين إيران والدول خمسة زائد واحد، حيث يعلم الجميع أن المفاوضات الحقيقية تجري بين وزير الخارجية الإيراني ووزير الخارجية الأميركي، وهنا تعتقد أميركا ان روسيا لا يمكن لها أن تعرقل أي إتفاق لأن إيران لا تقبل هذا ويتوقع أن تصل المفاوضات بين الطرفين إلى نتائج إيجابية حسب الفرنسيين.

■ **هيكلية القيادة في «داعش»**

- الأول وهو أبو بكر البغدادي (إبراهيم البدري)، الثاني النائب (أبو مسلم التركماني). اسمه الحقيقي (فاضل الحيالي)، ضابط جيش سابق من تلعفر.

الوزراء: الأول (أبو عبدالرحمن البيلاوي)، اسمه الحقيقي(عدنان إسماعيل نجم)، وهو ضابط سابق في الجيش والمسؤول العسكري الأول. قتل على يد الجيش العراقي في مدينة الموصل.

- الثاني وهو أبو قاسم، اسمه (عبدالله أحمد المشهداني)، مسؤول إستقبال العرب وتأمين الإنتحاريين.
- الثالث وهو (أبو هاجر العسافي)، اسمه الحقيقي (محمد حميد الدليمي)، مسؤول البريد في التنظيم، (وظيفة مهمة، التنسيق ونقل التعليمات).

ـ الرابع هو (أبو صلاح)، اسمه الحقيقي (موفق مصطفى الكرموش)، وهو مسؤول المالية في التنظيم.

ـ الخامس هو (أبو علي)، وكنيته الأخرى (أبو لؤي)، اسمه الحقيقي (عبدالواحد خضير أحمد)، ويشغل منصب المسؤول الأمني عام عن التنظيم.

ـ السادس (أبو محمد)، اسمه الحقيقي (بشار إسماعيل الحمداني) وهو مسؤول عن ملف السجناء.

ـ السابع (أبو عبدالقادر)، اسمه الحقيقي (شوكت حازم الفرحات)، وهو المسؤول الإداري عام في التنظيم.

■ **مكتب الحرب**

ـ (أبو كفاح)، اسمه الحقيقي (خيري عبد حمود الطائي)، وهو مسؤول عمليات التفخيخ.

ـ (أبو سجى)، اسمه الحقيقي (عوف عبد الرحمن العفري)، وهو مسؤول الشؤون الإجتماعية في التنظيم (رواتب وإعانات ورعاية أسر).

ـ (أبو شيماء)، اسمه الحقيقي (فارس رياض النعيمي)، وهو مسؤول عن مخازن السلاح في التنظيم.

■ **المحافظون**

ـ (أبو ميسرة)، اسمه الحقيقي (أحمد عبد القادر الجزاع)، وهو مسؤول التنظيم في بغداد.

- (أبو مهند السويداوي)، اسمه الحقيقي (عدنان لطيف السويداوي) وهو مسؤول داعش في الأنبار، وكان ضابطاً سابقاً في الجيش.
- (أبو جرناس) اسمه الحقيقي (رضوان طالب الحمدوني)، وهو مسؤول داعش على الحدود بين العراق وسوريا.
- (أبو فاطمة)، اسمه الحقيقي (أحمد محسن الجحيشي)، وهو مسؤول داعش في محافظات الفرات الأوسط.
- (أبو فاطمة)، اسمه الحقيقي (نعمة عبد نايف الجبوري)، وهو مسؤول التنظيم في محافظة كركوك.
- (أبو نبيل)، اسمه الحقيقي (وسام عبد زيد الزبيدي)، وهو مسؤول التنظيم في محافظة صلاح الدين، وقد قُتل بداية شهر تموز/ يوليو 2014.

ويظهر من أسماء قادة التنظيم، انهم ينتمون إلى عشائر العراق من المناطق الغربية، كما تظهر المعلومات انهم من ضباط الجيش السابق والأجهزة الأمنية في نظام صدام حسين.

وثائق الزرقاوي


بسم الله الرحمن الرحيم

بلدية الزرقاء

Zarka Municipality

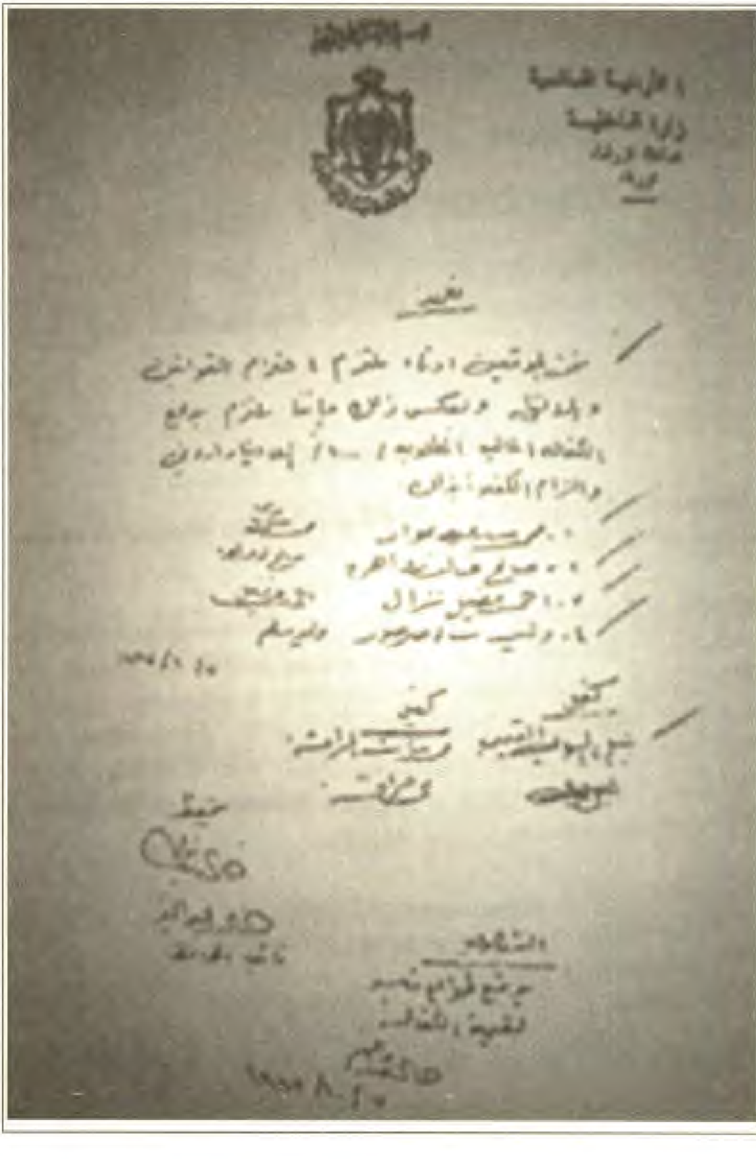
P.O.Box 34

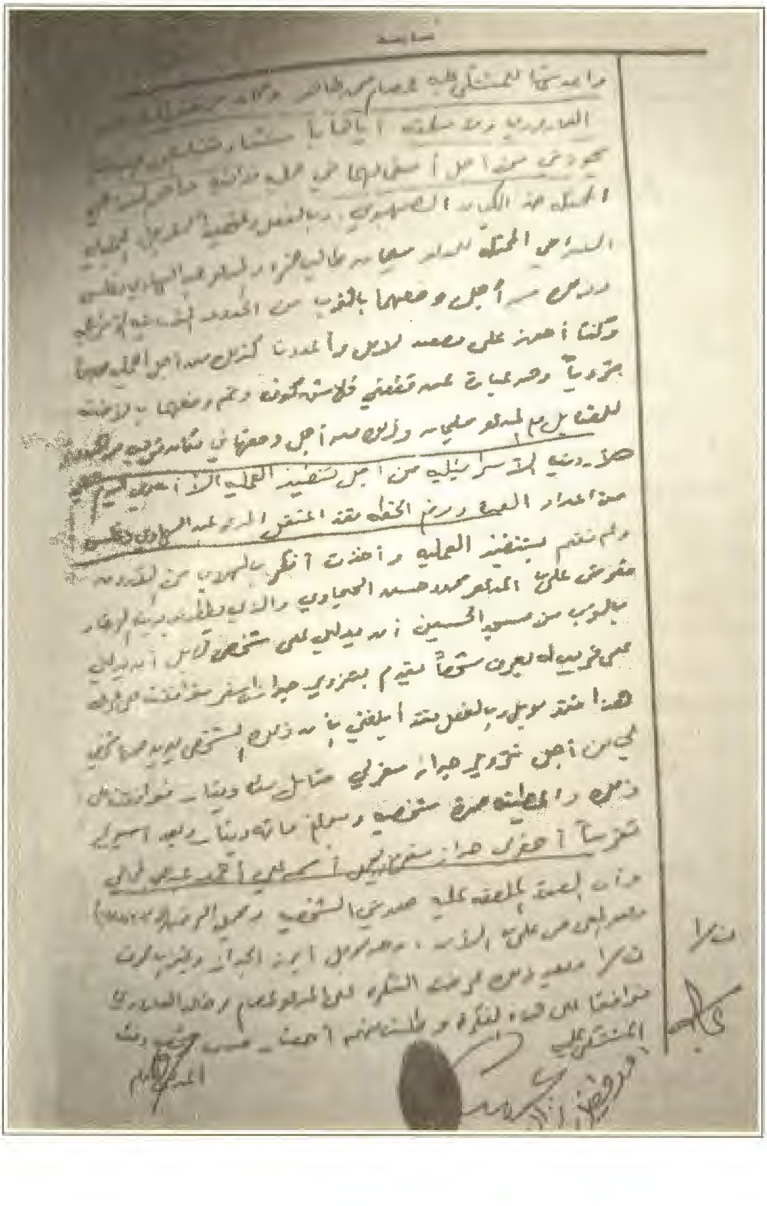
إفادة

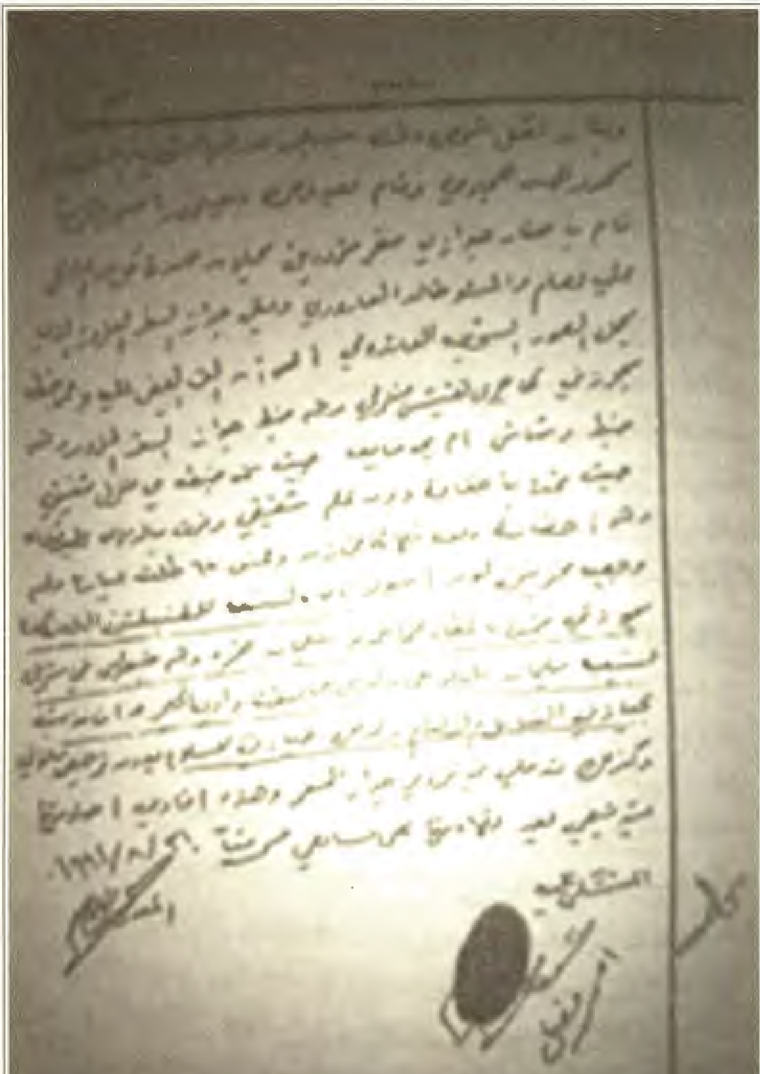
وبنا - لنقل شخص راشد مشيلي صدر عن الشعبة السلاح الجو
محمود طه الحياوي وهشام العبيدي ونعيم مرزه أسموا الرياشا
قام با حضاره جوازات سفر مزورين تحليلات مسرعة من بيت مشكلة
على العام و المسلم خالد العامري ولتقي جوازات السفر المزورة الذي
يحمل الصور الشخصية العائدة في أعلاه أن التي ألقي عليه والمرحلة
بوجودهم لما جرى التفتيش منزلهم وتم ضبط جوازات السفر المزورة وتم
ضبط رشاش ام بيجة صانيف حيث تم ضبط في منزل شقيقي
حيث تمت با حضارة ذرة بحكم شقيقي وتمت بالإحالة عليه
وتم إحضاسة وعدد ثلاثة مخازن وخمس ٦٠ طلقة عيار ٩ ملم
وهيبه محزمين لونه أسود أما بالنسبة للقنابل التي كنتا
بحوزتي هي بحضار هما المدعو سلمان حمزه وتم ضبطهم في منزل
شقيقه سلمان المدعو ... من منطقة وادي الكبير ... ١٠
بحيازتي القنابل والمسدس وكذلك جوازات السفر لاجل ...
وكذلك تدخلي في تزوير جوازات السفر وهذه إفادتي صادقة
مع شهيدي ... حيث الأخرى ... ٢٠/٥/١٩٩٤ -

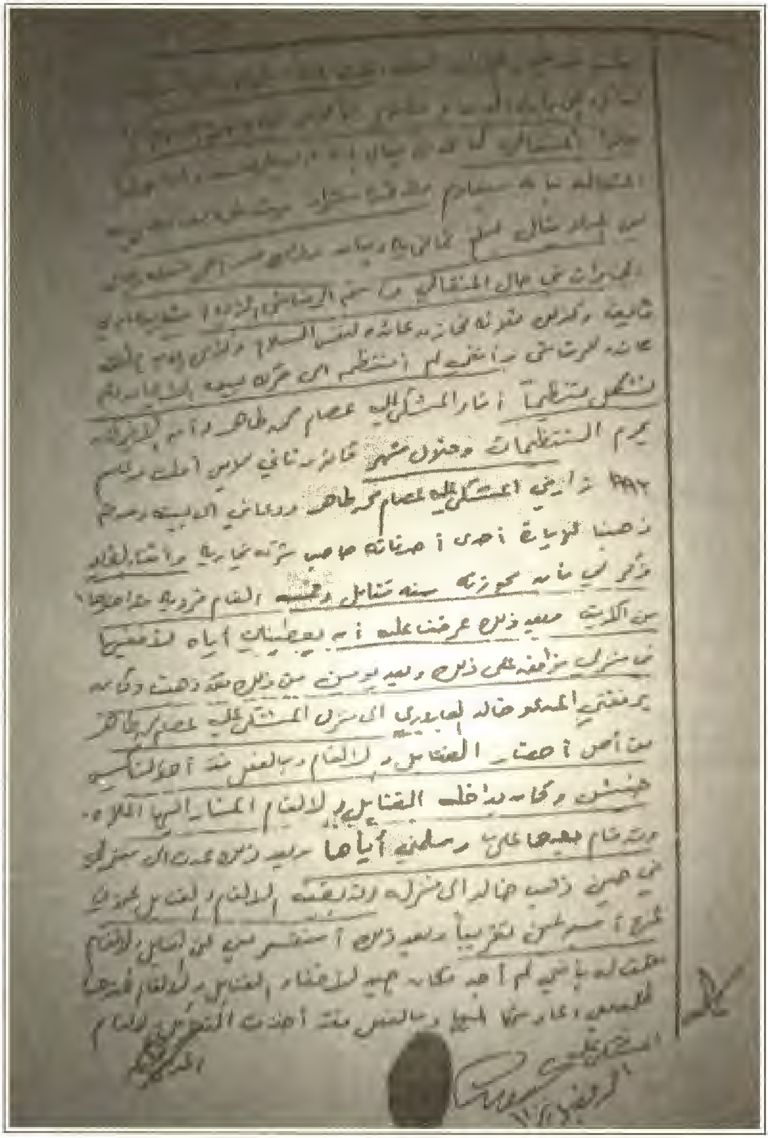
المدعي العام

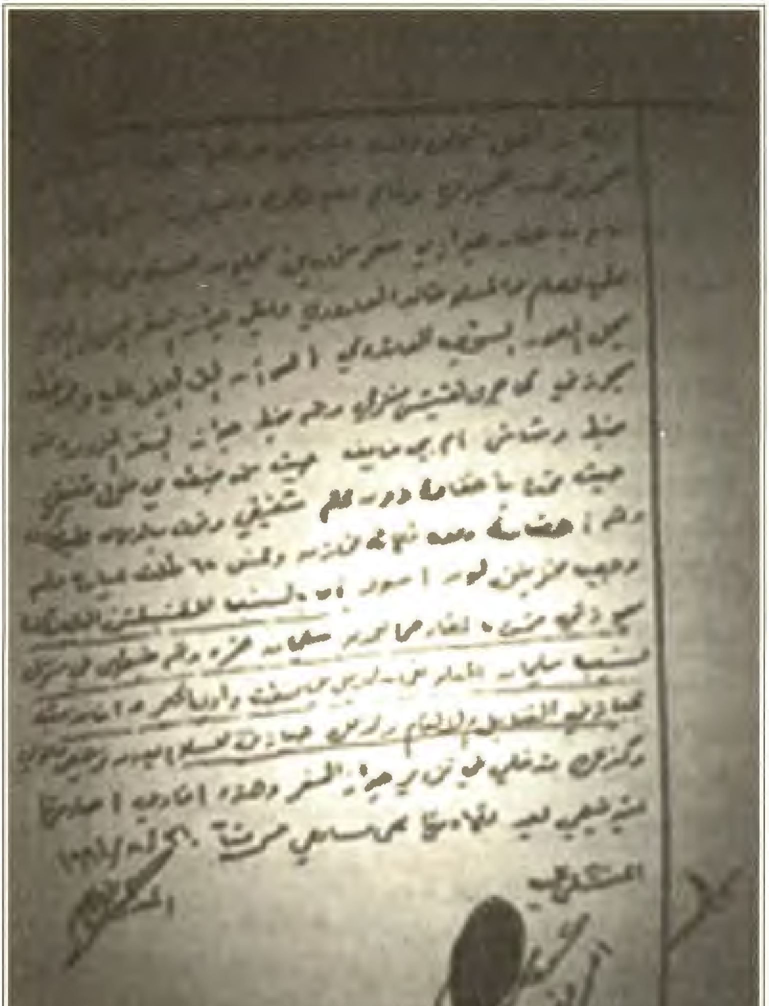
المشتكي عليه

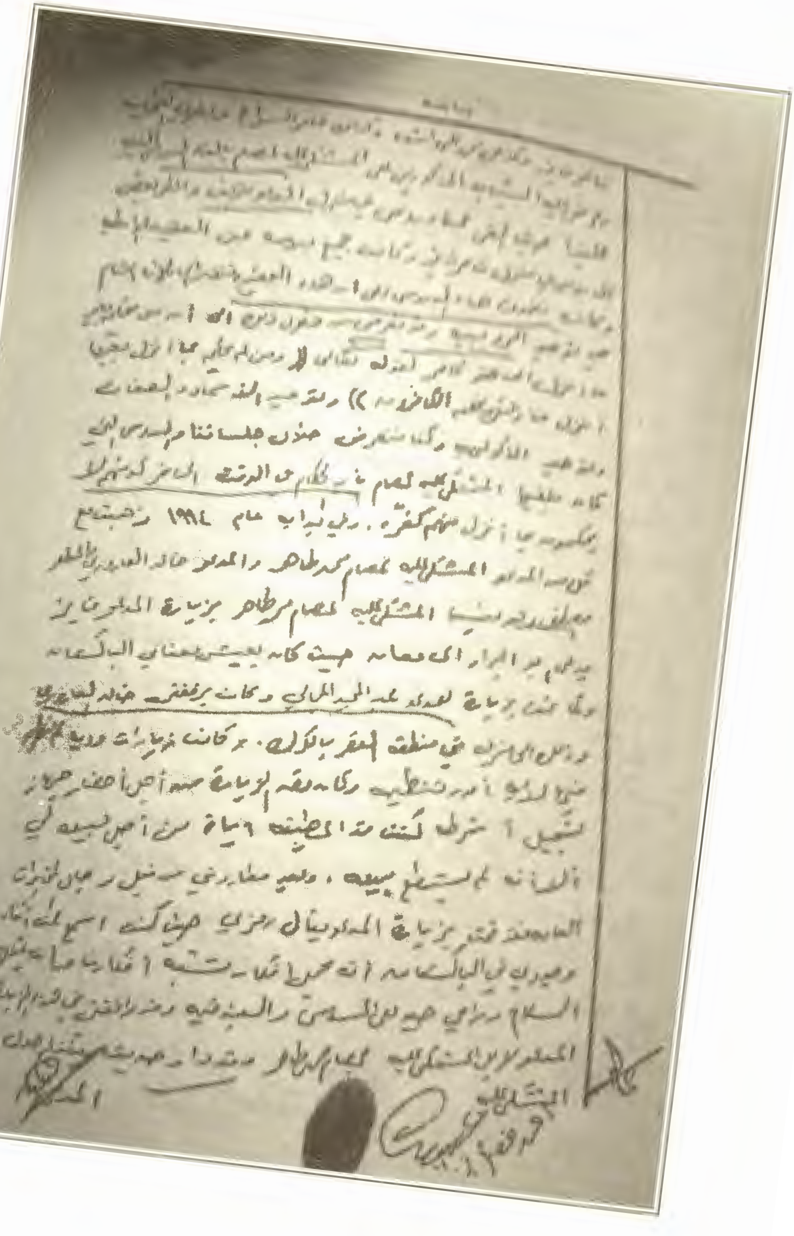

المملكة الأردنية الهاشمية
وزارة الداخلية











[illegible]
((الكافرون)) [illegible]
[illegible]
[illegible] نيسان عام ١٩٩٤ [illegible]
[illegible] المشتكى عليه عصام محمد طاهر [illegible]
[illegible] المشتكى عليه عصام محمد طاهر بزيارة [illegible]
[illegible]
[illegible] في منطقة المفرق بالكرك [illegible]
[illegible]



Avertissement adressé à Zarhaoui
par la municipalité de Zarka en 1987
(fac-similé de l'original)

بسم الله الرحمن الرحيم

بلدية الزرقاء

Zarka Municipality
Tel: 3982131 Fax: 3982455
P.O.Box 14
E-mail admin@zm.gov.jo

إنذار

العامل :- أحمد ... الخلايلة

قسم الصيانة

رئيس بلدية الزرقاء

الفهرس